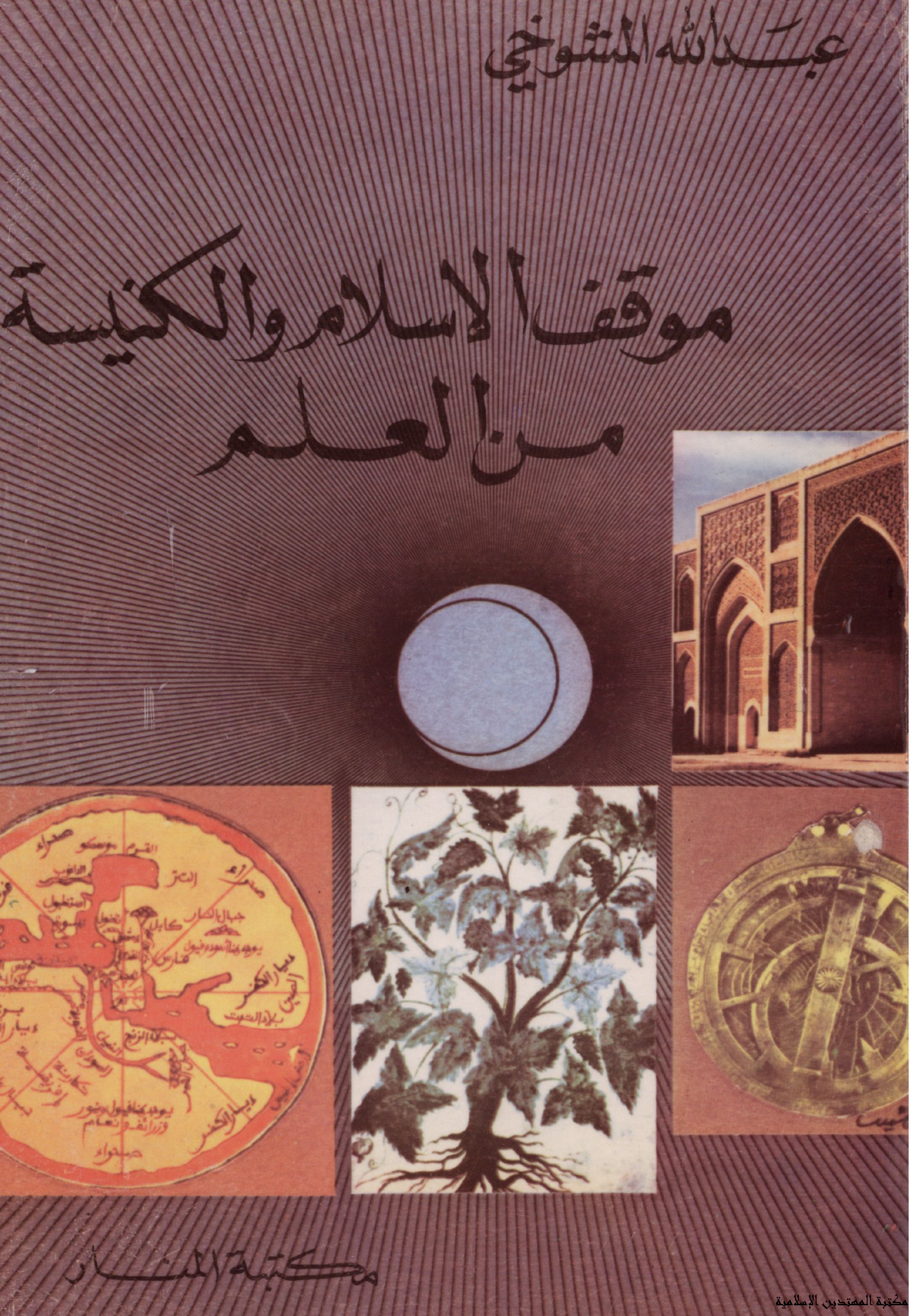


عبد الله المشوخي
موقف الإسلام والكنيسة من العلم
مكتبة المنار

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



مكتبة المنار ـ الاردن ـ الزرقاء

شارع الفاروق - جانب جمعية المركز الاسلامي - هاتف : ٨٢٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن خير ما أستهل به هذه المقدمة، ما استهل به جبريل- عليه السلام- عندما نزل بالوحي على قلب محمد- صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم»[٢]
لعل هناك أسباباً كثيرة تدعو طالب العلم لأن يختار موضوعاً معينا من بين مواضيع شتى تجول بخاطره للحصول على درجة «الماجستير»، ولعل حركة المحو البشعة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية بهدف طمس معالم تاريخها الحضاري، والقضاء على مقوماتها التاريخية، وفصل حاضر هذه الأمة عن ماضيها، كانت من الأسباب الرئيسية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، حيث تناول عدد غير قليل من الكتاب الغربيين بأقلامهم الحديث حول تاريخ الحضارة الإسلامية، أظهروها بمظهر المقلد أو الناقل عن الحضارات الأخرى، التي كانت قائمة في ذلك العصر، ولا سيما حضارتا اليونان والروم !، بهدف التشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية وقدرتها على التقدم والإزدهار.

ومن ذلك ما ذكره «برتراند رسل» في كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية» حول بعض العلوم التي برز فيها علماء المسلمين وبلغوا فيها شأواً عظيماً إذ زعم: «أن الطب مستمد من جالينوس وأما الرياضة والفلك فهي من مصادر يونانية وهندية !»[٣].

---

(١) من خطبة الحاجة — سنن ابي داود — كتاب الصلاة — باب الرجل يخطب على قوس.

(٢) سورة العلق / ١ — ٥

(٣) الجزء الثاني ص ١٩٦ / ترجمة الدكتور زكي محمود.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن الكاتب عندما يعجز عن إيجاد مصدر لينسب إليه أصل العلم تراه يعلل رقي العلوم وازدهارها إلى أسباب عرضية، ومن ذلك ما ذكره عن الكيمياء حيث يقول: «وأصالتهم في الكيمياء، إنما جاءت نتيجة عرضية لأبحاثهم في استخراج الذهب من المعادن الخسيسة»[١].

ولا شك أن مثل هذه الشبهات وغيرها تهدف بالدرجة الاولى إلى زعزعة الثقة في نفوس أبناء المسلمين في قدرة دينهم على مسايرة الركب الحضاري، كما تغرس في نفوس الضعفاء منهم، أنه لا سبيل للتقدم والرقي إلا بترك الدين جانباً ونبذه كما حدث في أوروبا !.

ولا عجب أن تصدر مثل هذه الإفتراءات حول الإسلام وأهله من قبل أعداء الإسلام فهذا أمر متوقع لما تحمله قلوبهم من كيد وحقد وكراهية، ولكن مما يندى له الجبين و يدعو إلى الحزن والأسى أن يتأثر بمثل هذه الشبهات بعض حملة الأقلام في العالم الإسلامي، الذين استعبدت عقولهم لأوروبا، وتجرعوا سموم أفكارها وأخذوا يرددون ما يردد القوم هناك !، حتى أنهم تخيلوا كنيسة في الشرق الإسلامي مماثلة لكنيسة في الغرب المسيحي، وأن ما انتهى إليه الصراع بين الكنيسة من جهة، ورجال العلم من جهة أخرى، يجب أن يحدث مثله في العالم الإسلامي، لينتصر العلم على الدين كما انتصر في فرنسا وسائر أوروبا!.

وصدق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حيث يقول: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لا تبعتموهم، قلنا يا رسول الله: آليهود والنصارى، قال: فمن»[٢].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أخذوا يشيدون بأوروبا ويمجّدونها ويفضلونها على الإسلام، زاعمين أن كل ما في الغرب المسيحي أفضل من الشرق الإسلامي! بل إن الدين الإسلامي أصبح في نظرهم العقبة الكبرى التي تحول دون التقدم والإزدهار!، ومن ذلك ما ذكره الدكتور «طه حسين» إذ يقول: « والقديم الذي يحافظ عليه كثير من أبنائها- و يقصد مصر- أو يحافظ عليه أكثر أبنائها ليس كله خيراً، بل فيه الخير وفيه شر كثير يحول بينه و بين ما ينبغي له من الرقي ومن التقدم»[٣].

---

(١) المصدر السابق بتصرف / ص ١٩٦

(٢) صحيح مسلم / كتاب العلم / باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

(٣) تقليد وتجديد / ص ٦٧

وعلاوة على ذلك فقد زعم أن مصر لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من بلاد الشرق، بل كانت دائماً جزءاً لا يتجزأ من أوروبا، وكل ما جاءها من خير كان عن طريق أوروبا، وكل ما جاءها من شر كان عن طريق الشرق، حيث يقول: «وإنما كانت مصر دائماً جزءاً من أوروبا، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها»[1]، ثم ينصح الشعب المصري بالنهوض والتحرر من الشر الذي لحقه من بلاد الشرق! فيقول: «وإن من حقهم أن ينهضوا وأن يحققوا لأنفسهم حياة كريمة تلائم هذا الخطر الذي تبينوه لأنفسهم في حياة البلاد الشرقية»[2].

وللأسف الشديد، أن هذه الأفكار السامة وغيرها كانت تلقن لطلاب العلم في المدارس، بل وتدرس في الجامعات، فتخرجت أجيال معظمها تابعة للغرب في تفكيرها، تنظر إليه نظرة إعجاب وتقدير وتمجيد، وتنظر إلى الشرق نظرة إزدراء واحتقار.

... تخرجت أجيال، لا تعرف عن الإسلام إلا اسمه، وأصبح الدين في مفهومها مجرد شعائر تعبدية يؤديها الإنسان بمعزل عن سائر الجوانب الأخرى.

... تخرجت، لا تعرف من العلماء إلا «كوبرنيكوس، غاليليو، إينشتاين» وغيرهم من علماء الغرب علاوة على العلماء الأقدمين «كأرسطو، أفلاطون، فيثاغورس، أرشميدس» وغيرهم من علماء العصر الإغريقي، أما العلماء المسلمون «كابن الهيثم، الرازي، جابر بن حيان، البتاني، والإدريسي» وغيرهم، فلا ذكر لهم، وكأنها مؤامرة قصد منها حجب تاريخ الحضارة الإسلامية.

... تخرجت أجيال، لا تعرف عن الإسلام إلا الشبهات، والتخلف والجمود، وتردد ما يردد أعداء الإسلام بقصد أو بدون قصد.

... أما أن الاسلام وضع منهجاً شاملاً للحياة، وجاء ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة؟.

... أما أن المسلمين بلغوا غاية المجد والتقدم والرقي عندما كانوا متمسكين بدينهم الحنيف؟.

... أما أن اللغة العربية كانت لغة أهل العلم والمعرفة ؟.

... أما أن المؤلفات الإسلامية التي ألفها علماء المسلمين كانت بمثابة المراجع الأساسية في جامعات أوروبا ؟.

... أما أن الحضارة الأوروبية بنيت على أسس من حضارة الإسلام، ولولا ذلك لتأخرت الحضارة الأوروبية لعدة قرون؟. بل ربما لم توجد تلك الحضارة؟.

---

(١) المصدر السابق، / ص ٦٦

(٢) المصدر السابق / ص ٦٦

فهذا ـ وللأسف الشديد ـ يجهله الكثير من أبناء الأمة الإسلامية ، وعلى هذا فقد رأيت أن أكشف اللثام وأبين وجه الحقيقة لكل من موقف الإسلام والكنيسة من العلم ضرورة ملحة دفعتني لاختيار هذا الموضوع والذي عنونته ب : **« موقف الإسلام والكنيسة من العلم »** .

ولا أدعي بأنني أول من كتب حول هذا الموضوع ، فقد سبقني إليه الكثيرون ولكن معظم الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع ركزت على العلوم الشرعية التي قام بها علماء الإسلام ، أما الكتب التي تناولت الحديث عن الغرب المسيحي ، فقد ركزت على عقيدة التثليث .

أما بيان سير الحركة العلمية في أوروبا خلال القرون الوسطى ، وبيان موقف العهدين القديم والجديد من العلم وغير ذلك ، فهذا مما لم يتعرض له أغلب الكتاب .

لهذا فقد رأيت من واجبي وأنا في بداية طريقي العلمي أن أقوم بدراسة علمية تعتمد على النصوص والوقائع التاريخية من مصادرها الأساسية ، بعيدة كل البعد عن العاطفة والتعصب أو الخضوع لآراء ونتائج مسبقة ، لعلي في ذلك أستطيع أن أكشف وجه الحقيقة وأبينها .

ولقد قسمت البحث إلى : **مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.**

أولاً ـ المقدمة : وقد أشرت فيها إلى أهمية الموضوع وسبب اختياري له .

ثانياً ـ التمهيد : بينت فيه مفهوم العلم والمراد به في البحث .

ثالثاً ـ الباب الأول (موقف الإسلام من العلم) ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : (مكانة العلم في القرآن والسنة) وينقسم إلى مبحثين :

ا ـ مكانة العلم في القرآن الكريم :

بينت فيه مكانة العلم والعلماء في القرآن الكريم ، وذكرت بعض الآيات القرآنية التي أشارت إلى بعض أنواع العلوم ، والمنهج الذي وضعه القرآن الكريم للعقل الإنساني من أجل الوصول إلى المعرفة ، كما ذكرت موقف القرآن الكريم من المكتشفات العلمية .

ب ـ موقف السنة من العلم :

بينت فيه مكانة العلم والعلماء وطلبة العلم في السنة النبوية الشريفة ، ومنهجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعليم الصحابة ، كما ذكرت بعض أنواع العلوم التي علمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصحابته ، ثم ذكرت نتائج وثمرة هذه الدعوة .

الفصل الثاني: (سير الحركة العلمية بعد عصر الراشدين):

بينت فيه موقف الولاة من العلم وأهله، والنشاطات العلمية التي حدثت في ذلك العصر، ولا سيا في عصر المأمون، كما تحدثت عن الأماكن التي يأوي إليها طلبة العلم، ثم تحدثت عن الترجمة وآثارها في مبحث مستقل، وذكرت فيه جوانبها الإيجابية والسلبية.

الفصل الثالث: (مجالات الإبداع في العلوم عند المسلمين):

بينت فيه بعض أنواع العلوم التي نهض بها علماء المسلمين والجهود المضنية التي بذلوها في سبيل النهوض بالعلم، والمنهج الذي ساروا عليه في سبيل التقدم والإزدهار.

ثم تحدثت عن الطرق التي تم من خلالها انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا وأثر الحضارة الإسلامية عليها.

وبعد ذلك تحدثت عن أسباب ضعف المسلمين وتخلفهم في مبحث مستقل.

رابعاً: الباب الثاني (موقف الكنيسة من العلم) و يشتمل على تقدمة وثلاثة فصول:

التقدمة: ذكرت فيها لمحة موجزة عن نشأة الكنيسة، وموقفها من العلم والسلوك الشخصي للقائمين عليها.

الفصل الأول: (موقف العهدين القديم والجديد من العلم):

بينت فيه موقف كل من التوراة والانجيل من العلم، وكيف أن العلوم قيدت بما ورد فيها من نصوص.

الفصل الثاني: (سير الحركة العلمية في أوروبا):

بينت فيه سلطة الكنيسة وسيطرتها على مختلف مرافق الحياة، ولا سيا فيما يتعلق بالنواحي العلمية، ثم تعرضت لبعض نظريات وآراء الكنيسة فيما يتعلق ببعض أنواع العلوم، وبعد ذلك تحدثت عن موقفها من العلماء ومؤلفاتهم، والصعوبات التي كان طلاب العلم يواجهونها.

الفصل الثالث: (آثار الصراع بين الكنيسة والعلماء) و يشتمل على مبحثين:

أ ـ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة:

وقد بينت فيه المراحل التي نادى بها زعماء الاتجاه المخالف للكنيسة من أجل تغيير سياسة الكنيسة، والنتائج التي ترتبت على دعوتهم، ثم تحدثت عن المآخذ على تلك الحركة.

ب ـ فصل الدين عن الدولة:

ذكرت فيه ظهور الأفكار المناوئة لخط الكنيسة، وبعض القرارات التي صاحبت قيام الثورة الفرنسية، والحالة التي وصلت إليها الكنيسة في النهاية.

ثم وضعت موازنة إجمالية، بينت فيها موقف كل من الإسلام والكنيسة من العلم.

خامساً: الخاتمة:

وقد ذكرت فيها ابرز النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث.

وبعد، فهذا عرض سريع لما بسطت له في البحث، الذي أحمد الله ـ العلي القدير ـ الذي أعانني على إتمامه.

وأرى لزاماً علي في ختام هذه الكلمة أن اتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان بالجميل إلى **فضيلة الأستاذ الدكتور محمد صدقي البورنو** الذي تفضل وقبل مشكوراً الاشراف على هذه الرسالة فكان لي من تشجيعه، وتوجيهه السديد، وتزويده لي بالمراجع ـ رغم كثرة واجباته وتبعاته، وضيق وقته ـ أطيب العون على إتمام هذا البحث فأسأل الله العلي العظيم أن يثيبه خير الثواب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد إلي يد العون والمساعدة من الاساتذة الكرام والاخوة الاعزاء ولا سيما أساتذة قسم الثقافة الاسلامية، فجزاهم الله خير الجزاء.

وإذا كان قد اكتنف عملي هذا شيء من نقص أو زلل، فشفيعي في ذلك صدق ما بذلت من جهد، وما عانيت من تعب، وأملي أن ألقى من توجيهات الأساتذة الكرام، وآراء الأخوة الدارسين، ما يعينني على تلافي النقص والزلل، والله أسأل العون والتوفيق والسداد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله المشوخي

التمهيد

- مفهوم العلم والمراد به -

حيث ان موضوع الرسالة يدور حول موقف الاسلام والكنيسة من العلم، لهذا فقد رأيت تعريف العلم لغة و بيان أقسامه ومدلوله.

فالعلم هو: «نقيض الجهل، علم علماً وعَلُمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً»[١].

قال الراغب: «العلم، ادراك الشيء بحقيقته ... وقال (المناوي) في التوقيف العلم: هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع»[٢].

فالعلم إذاً هو إدراك حقيقة الشيء والإحاطة به وهو قسمان: علم ضروري، وعلم مكتسب.

«فحد الضروري ما لا يمكن للعالم أن يشكك فيه نفسه، ولا يدخل فيه نفسه، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، و يقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر، و يدرك ذلك من جهة الحس والعقل، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً، أو قائماً قاعداً، أو مريضاً صحيحاً في حال واحدة.

ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس، كذوق الشيء يعلم به المرارة والحلاوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة، وكرؤية الشيء يعلم بها الالوان والاجسام، وكذلك السمع يدرك به الأصوات ...، وأما العلم المكتسب، فهو ما كان طريقه الاستدلال والنظر ومنه الخفي والجلي، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى، وما بعد منها كان أخفى»[٣].

---

(١) انظر لسان العرب / باب الميم / فصل العين.

(٢) تاج العروس / باب الميم / فصل العين.

(٣) جامع بيان العلم وفضله / ج ٢ ص ٣٧

والطريق لمعرفة العلوم هو النقل والعقل، فالامور التي يمكن أن يقف عليها الانسان بفكره، و يصل إليها بمداركه البشرية، و يتوصل إليها بالبحث والاستدلال والبرهان، و يستطيع أن يميز الخطأ من الصواب فيها، فهذا ما يسمى بالعلوم العقلية، و يكون السبيل لمعرفتها عن طريق العقل.

وأما ما كان غير ذلك، ولا مجال للعقل فيها ـسواء بالاحاطة بها أم بمعرفة حقيقتهاـ فهذا ما يسمى بالعلوم النقلية و والسبيل لمعرفتها عن طريق الوحي.

وقد وضح إبن خلدون في مقدمته هذين النوعين من العلوم بقوله: «إن العلوم صنفان: صنف طبيعي للإنسان يهتدي اليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

والأول هي العلوم الحِكّمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوب تعليمها، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالاصول»[1].

وسيكون مدار البحث ـبإذن اللهـ حول الصنف الأول من العلوم ـالعلوم العقليةـ لانها كانت مدار تشجيع واضطهاد، وهذا ما سيتم توضيحه في الفصول القادمة بإذن الله كما سيتم الاشارة إلى العلوم النقلية.

---

(١) مقدمة ابن خلدون / ص ٤٠٠ — ٤٠١ / دار الشعب —القاهرة.

الباب الأول

[موقف الاسلام من العلم] و يشتمل على ثلا ثة فصول:

الفصل الأول : مكانة العلم في القرآن والسنة

الفصل الثاني : سير الحركة العلمية بعد عصر الراشدين

الفصل الثالث : مجالات الابداع في العلوم عند المسلمين

الفصل الأول

(مكانة العلم في القرآن والسنة)

أـ مكانة العلم في القرآن :

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن هناك عشرات بل مئات الآيات تدعو الإنسان إلى طلب العلم وتحثه على التفكر، والتدبر والتأمل في آيات الله وآلائه.

بل إن أول شيء نادى به القرآن هو القراءة، والحث على طلب العلم قال تعالى: (إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)[١]

فالمتأمل في أول آيات الوحي يجد تكرار كلمة (إقرأ)، هذه الكلمة العظيمة ذات المدلول الضخم تدعو الإنسان وتأمره بطلب العلم والمعرفة، وتحثه على البحث في مخلوقات الله ـ عز وجل ـ من جبال وبحار وأشجار وسماوات وأرض وغيرها من سائر المخلوقات، لأن دعوة إقرأ لم تحدد أو تقيد بعلم معين اللهم إلا أن تكون باسم الله.

وتتجلى حقيقة التعليم في السياق القرآني، بأن قرن الله ـ عز وجل ـ التعليم بالقلم لأن القلم ـ كما يقول «سيد قطب»: «كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان ...ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله ـ سبحانه ـ كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية»[٢].

---

(١) سورة العلق / ١ـ ٥

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب / ج ٦ ـ ص ٣٩٣٩ / دار الشروق.

ولا تقتصر القراءة وطلب العلم اللذان أمر بهما القرآن على علوم الدين فحسب، بل كل العلوم التي تعود على الإنسان بالخير والنفع رغب فيها القرآن وحث على معرفتها، فالمتأمل في أول آيات الوحي يجد توجيها من الله - عز وجل - لمعرفة خلق الانسان ومن ذلك قول الله - عز وجل - : «...خلق الانسان من علق»[١].

ففي هذه الآية لفت للعقل الإنساني إلى التأمل والتدبر في خلق الإنسان وكيفية تكوينه، وهذا ما يسمى اليوم بعلم التشريح.

وهناك العديد من الآيات القرآنية أشارت بصورة إجمالية إلى بعض أنواع العلوم، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، فهذه **نماذج لبعض أنواع العلوم التي أشار اليها القرآن الكريم:**

١ ـ الطب:

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن هناك عدداً غير قليل من الآيات القرآنية تحث الإنسان على التأمل والتدبر في خلقه ونشأته والمراحل التي مر بها، ومن ذلك قول الله -عز وجل- : (فلينظر الإنسان ممَّ خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب)[٢]

كما أشارت آيات أخر إلى مراحل نمو الإنسان، ومن ذلك قول الله -عز وجل- : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[٣].

ولا شك أن هذا الوصف الدقيق فيه إشارة صريحة للعقل الإنساني بأن ينشط و يبذل كل ما في وسعه من أجل التعرف على خصائص أعضائه وعلاج الأمراض التي قد يتعرض لها.

كما اهتم القرآن الكريم بما يسمى اليوم -بالطب الوقائي- حيث وردت آيات كثيرة تنهى الإنسان عن القيام ببعض الأمور لما يترتب على فعلها من ضرر جسيم، كإتيان النساء في المحيض، قال تعالى: (و يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله...)[٤].

---

(١) سورة العلق / ٢

(٢) سورة الطارق / ٥ — ٧

(٣) سورة المؤمنون / ١٢ — ١٤

(٤) سورة البقرة / ٢٢٢

كما نهى عن الزنا، لما يترتب عليه من أمراض خطيرة فقال تعالى: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)[١].

وكأكل بعض أنواع المأكولات كالميتة والدم ولحم الخنزير، حيث نهى الله -عز وجل- عن اكلها قال تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...)[٢].

وورد النهي عن شرب الخمر، قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[٣].

وهكذا يتضح من خلال هذه الآيات القرآنية وغيرها، أن القرآن الكريم وضع للناس دستوراً صحياً، لو اتبعوه لتجنبوا كثيراً من الأمراض المنتشرة بينهم.

وما كان للامراض المنتشرة اليوم -كالسيلان والزهري وغيرهما- لتحدث لو اتبع الناس توجيهات القرآن الكريم الوقائية.

٢ - الفلك:

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تشد العقل الإنساني إلى دراسة علم الفلك، والتعرف على أسرار بعض المخلوقات وكيفية الإستفادة منها، ومن ذلك قول الله -عز وجل-: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس...)[٤].

وقوله تعالى: (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب...)[٥].

وقوله: (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)[٦].

---

(١) سورة الاسراء / ٣٢
(٢) سورة المائدة / ٣
(٣) سورة المائدة / ٩٠
(٤) سورة البقرة / ١٨٩
(٥) سورة يونس / ٥
(٦) سورة الانعام / ٩٧

وقوله:(وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[١].

فمن خلال هذه الآيات وغيرها، يمكن التعرف على نوع العلاقة القائمة بين الإنسان وبعض المخلوقات، حيث أشارت الآيات الآنفة الذكر إلى أن باستطاعة الإنسان أن يستفيد من مخلوقات الله -عز وجل- التي سخرها لخدمته ومنفعته فيما لو تعمق في دراستها.

فعن طريق النجوم مثلاً يستطيع الإنسان أن يتعرف على الجهات المختلفة، وتحديد مسار الطرق، وعن طريق القمر يمكن معرفة المواقيت، وعن طريق الشمس يمكن تحديد الوقت والإستفادة من طاقتها.

٣ ـ الجغرافيا:

احتوى القرآن الكريم على بعض الآيات الكريمة التي أشارت إلى بعض الظواهر الجغرافية كذكر الجبال، والأودية، والأنهر، والبحار، والرياح، والسحاب، والأمطار، وغير ذلك، ومن بين تلك الآيات، قول الله -عز وجل- : (وألقى في الأرض رواسيَ أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون)[٢].

وقوله: (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)[٣].

وقوله: (هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون)[٤].

وقوله: (وهو الذي مرج البحرين، هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً)[٥].

وقوله: (وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[٦].

---

(١) سورة النحل / ١٦

(٢) سورة النحل / ١٥

(٣) سورة الحجر / ٢٢

(٤) سورة النحل / ١٠

(٥) سورة الفرقان / ٥٣

(٦) سورة الرعد /٣

وهكذا يتضح من خلال الآيات السابقة دعوة القرآن الكريم للعقل الإنساني للعمل والبحث والتعمق في دراسة الظواهر الجغرافية، والإستفادة منها وتسخيرها لخدمته، كما تدعوه إلى دراسة كل ما يحيط به من أجل التعرف على أسرار هذا الوجود والكشف عن نظام الكون الدقيق الذي يجعل الانسان يدرك عظمة الخالق وقدرة اليد التي ابدعت الكون ونسقته.

٤ ـ الإقتصاد:

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن هناك آيات عديدة وضعت نظاماً ثابتاً للمبادئ الأساسية لعلم الإقتصاد ومن بين هذه المبادئ التي أشار إليها القرآن الكريم:

ا ـ تحريم الربا:

قال تعالى: (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين)[١].

وقال تعالى: (...وأحل الله البيع وحرم الربا)[٢].

ومعلوم أن هناك نتائج بالغة الخطورة تترتب على الربا، حيث أن المرابي يقرض المال و يأخذ عليه نسبة معينة من الربح دون المشاركة في الخسارة، وهذا يعني زيادة المال دون أي جهد يقدمه، كما يقضي على روح التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع، علاوة على تجمع الثروات في يد طبقة محصورة في المجتمع.

ب ـ النهي عن الإسراف والتبذير:

قال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)[٣].

وقال تعالى: (...ولا تبذر تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)[٤].

ومعلوم أن الإسراف في الإنفاق، وتبذير الأموال يسببان عجزاً إقتصادياً، علاوة على ضياع الثروة وتبديدها.

ج ـ تحريم كنز الأموال:

أشار القرآن الكريم إلى تحريم كنز الأموال، ومن ذلك قول الله ـ عز وجل ـ: (...والذين يكنزون

---

(١) سورة البقرة / ٢٧٨ (٢) سورة البقرة / ٢٧٥

(٣) سورة الفرقان / ٦٧ (٤) سورة الاسراء / ٢٦ — ٢٧

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)[١].

ومعلوم أن كنز الأموال يترتب عليه أضرار إقتصادية جسيمة، حيث تفقد الأموال صلاحيتها في استثمار الموارد الإقتصادية، كما تشل حركة التبادل التجاري التي تحتاج إلى الأموال المكنوزة.

د ـ كتابة العقود المالية:

إن الأمور التجارية تحتاج إلى ضبط وربط ودقة متناهية، وهذا يقتضي تقييد العقود المالية في سجلات ووثائق تكون بمثابة الحكم فيما لو حدث خلافات مستقبلية، لهذا فقد حث القرآن الكريم على كتابة الديون، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...)[٢].

ويقاس على ذلك سائر العقود، من أجل تلافي المشاكل والخلافات.

هـ ـ تحريم التلاعب بالمكاييل والأوزان:

لكي تستقيم الأمور الإقتصادية، ويأخذ كل إنسان حقه المشروع، فقد أمر القرآن الكريم بتنظيم الموازين والمكاييل، وحذر من التلاعب بها، ووعد أصحابها بأشد العقوبات، قال تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)[٣].

وقال تعالى: (ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)[٤].

وبالاضافة الى الآيات السالفة الذكر، فهناك ايات عديدة اشارت الى اسس النظام الإقتصادي، كدفع الزكاة، وتحريم أكل اموال الناس بالباطل، والحجر على أموال السفهاء وغيرها من الآيات الكثيرة التي تدل دلالة واضحة على العناية الفائقة التي أولاها القرآن الكريم لعلم الإقتصاد.

وهكذا يتضح من خلال دراسة الآيات القرآنية، إن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تعرضت لبعض أنواع العلوم، والتي تشير بصورة واضحة إلى لفت العقل الإنساني إلى التدبر

---

(١) سورة التوبة / ٣٤ — ٣٥ (٢) سورة البقرة / ٢٨٢
(٣) سورة الرحمن / ٩ (٤) سورة المطففين / ١ — ٣

والتأمل في مخلوقات الله -عز وجل- والبحث في أسرار هذه الموجودات وكيفية الإستفادة منها، ووضع الأسس السليمة لمختلف أنواع العلوم.

غير أن المتأمل في هذه الآيات يلاحظ الآتي:

١ - ان معظم النصوص القرآنية التي تعرضت لبعض انواع العلوم تعرضت لها بصورة اجمالية، ولم تتطرق للتفصيلات، وذلك لأسباب منها:

أ - ان العلوم العقلية تدخل ضمن دائرة الانسان وقدرته، حيث يستطيع -بما وهبه الله عز وجل من عقل- ان يتوصل الى معرفة الكثير منها، والكشف عن تفصيلاتها.

ب - ان تفصيل الامور العلمية تؤدي بالانسان الى التكاسل والتقاعس، وتعطيل قدرته العقلية عن البحث والدراسة من اجل الوصول الى المعرفة طالما ان تفاصيل الأمور العلمية ذكرت في القرآن الكريم، وفي ذلك يقول الدكتور عماد الدين خليل: «في مجال الطبيعة والأشياء لم يشأ الله سبحانه أن يكشف للانسان عن قوانينها، لان هذا يعني اهمالاً لطاقات الانسان الخلاقة وقدرتها على الكشف والابتكار، ولو حدث ان وجد الانسان نفسه فجأة امام القوانين الطبيعية على حقيقتها، لالغيت اذن -وبشكل محتم كما سبق- كل قدراته ومحاولاته، ولأسلم نفسه لكسل فكري واتكالية لم يرد الله سبحانه للانسان ان يقع في اسارها»[1].

ج - ان القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لهذا فان موضوعه اضخم من التعرض لتفاصيل العلوم الطبيعية، التي هي من خواص العقل، والتي يستطيع الانسان -بما وهبه الله سبحانه من قدرة عقلية، ومواهب عظيمة، وقابلية كثيرة على التعلم- ان يتوصل الى اكتشاف القوانين الطبيعية والوقوف على حقائق الأمور وتفاصيلها، وذلك عن طريق البحث والتجربة والتطبيق.

٢ - ان المتأمل في أغلب الآيات، التي تعرضت لبعض انواع العلوم يلاحظ ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين العلم والايمان، اذ ان اغلب الآيات التي تعرضت لبعض انواع العلوم، واشارت الى بعض الظواهر الطبيعية، تنتهي بقول الله سبحانه: (... ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[2].

---

(١) تهافت العلمانية / ص ١٩

(٢) سورة الرعد / ٤

وقوله: (... ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ...)[١].

وقوله: (ان في ذلك لآيات للمتوسمين)[٢].

وهذا التعقيب فيه دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين العلم والايمان، اذ ان العقل الانساني عندما يتأمل و يتدبر في مخلوقات الله -عز وجل- فانه سيتوصل الى معرفة الكثير من اسرار هذا الكون، وسيكتشف اموراً كثيرة تدل على ان هذا الكون لابد له من مبدع، وقادر يقوم بتدبيره وتنسيقه، لهذا فان كثيراً من العلماء توصلوا نتيجة دراستهم العميقة وتجاربهم العديدة الى الايمان بالله -عز وجل-.

يقول (ألبرت ماكومب ونشنز) المتخصص في علم الاحياء: «ان اشتغالي بالعلوم قد دعم ايماني بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان عليه من قبل»[٣].

ثم يضيف مبيناً النتائج المترتبة على دراسة العلوم فيقول:

«ليس من شك ان العلوم تزيد الانسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الانسان جديداً في دائرة بحثه ودراسته زاد ايمانه بالله»[٤].

و يقول (لورد كليفلي) وهو من علماء الطبيعة البارزين: «اذا فكرت تفكيرا عميقا فان العلوم سوف تضطرك الى الاعتقاد في وجود الله»[٥].

وعلاوة على ما سبق، فان اشد الناس خشية لله -عز وجل- هم العلماء الاتقياء الذين يقدرون الله حق قدره، قال تعالى: (... انما يخشى الله من عباده العلماء ...)[٦] واذا كان القرآن الكريم قد تعرض لبعض أنواع العلوم، وحث العقل الانساني على التأمل والتدبر في مخلوقات الله -عز وجل-، فانه في نفس الوقت وضع للعقل الانساني منهجاً واضحاً يستطيع الانسان من خلاله ان يتوصل لكثير من المعارف والنظريات العلمية، ومن ذلك:

---

(١) سورة النحل / ١١

(٢) سورة الحجر / ٧٥

(٣) الله يتجلى في عصر العلم / ص ١٠٤

(٤) المصدر السابق / ١٠٤ — ١٠٥

(٥) المصدر السابق / ص ٢١

(٦) سورة فاطر / ٢٨

منهج القرآن للوصول إلى المعارف والنظر يات العلمية:

١ ـ أمر الانسان بالتفكر:

فالقارىء للقرآن الكريم يجد آيات كثيرة تحث الانسان على التفكر والتدبر، وتثنى على من يسلك هذا الطر يق، ومن ذلك قول الله سبحانه: (... قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون)[١].

وقوله: (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق ...)[٢].

وهناك آيات كثيرة، تحث الانسان على التفكير، التفكير العميق، المتبصر، المسؤول عن كل ما يحيط به من مخلوقات وأشياء، والوقوف عليها، والاستفادة منها.

٢ ـ النهي عن التقليد:

وكما أن القرآن حث على التفكر، فانه في نفس الوقت ينهى عن التقليد، و يذم الذين لا يستخدمون عقولهم، لان في التقليد تعطيلاً لقدرة الانسان العقلية، التي انعم الله بها على هذا المخلوق، لهذا نجد أن حملة القرآن ـ على مثل هؤلاء ـ عنيفة وشديدة، حيث وصفهم بانهم بهائم.

قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)[٣].

٣ ـ التجرد وعدم اتباع الهوى والظن:

فاتباع الهوى والتعصب، يلغي كثيراً من الحقائق العلمية، ويجعل صاحبها بعيداً كل البعد عن الحق، و يدفعه الى التأو يل والتحر يف من أجل ان ينتصر لرأيه، لهذا نجد ان القرآن الكريم قد نهى عن ذلك، قال تعالى: (... ما لهم به من علم الا اتباع الظن ...)[٤].

وقال سبحانه: (... وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ...)[٥].

وقال سبحانه: (افرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ...)[٦].

---

(١) سورة الانعام / ٥٠ (٢) سورة الروم / ٨

(٣) سورة البقرة / ١٧٠ — ١٧١ (٤) سورة النساء / ١٥٧

(٥) سورة الانعام / ١١٩ (٦) سورة الجاثية / ٢٣

وقال تعالى : (... ان يتبعون الا الظن، وان الظن لا يغني من الحق شيئا)[١].

٤ ـ مسئولية الحواس:

المعروف ان المعرفة تأتي عن طريق الحواس، لاجل هذا فقد حمل القرآن الكريم الحواس مسئولية ما تقوم به من بحث وتمحيص واختبار.

قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)[٢].

٥ ـ التأكيد على الأسلوب الذي يعتمد على البرهان والحجة:

فالمتأمل في القرآن الكريم يجد انه يطالب بالحجة التي تقوم على البرهان للوصول الى النتائج الصحيحة ... تلك النتائج التي تقوم على الاستقراء والمقارنة والتمحيص.

قال تعالى: (... تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[٣].

وهكذا يتضح من خلال الآيات الآنفة الذكر، وغيرها من الآيات الأخرى، الحاح القرآن الكريم على طلب العلم، وأمر الانسان بالتفكر والتدبر، كما ان هناك آيات كثيرة يلاحظها القارىء لكتاب الله ـعز وجلـ تتحدث عن المخلوقات ثم تأمر الانسان بالنظر والتدبر فيها، ومعرفة اسرارها، وتسخيرها بما يعود بالنفع عليه.

وكما ان القرآن الكريم، اعطى للعلم اهمية كبيرة، وحث على طلبه، فانه في نفس الوقت اثنى على العلماء، ورفع من شأنهم، فلقد جاء في القرآن الكريم، آيات عديدة تمجد العلماء وتعظم شرفهم.

مكانة العلماء في القران:

قال تعالى: (... قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ...)[٤].

فمن خلال هذه الآية يتضح ان الله ـعز وجلـ نفى التسوية بين اهل العلم وغيرهم.

وقال تعالى: (... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ...)[٥].

---

(١) سورة النجم / ٢٨ (٢) سورة الاسراء / ٣٦

(٣) سورة البقرة / ١١١

(٤) سورة الزمر / ٩ (٥) سورة المجادلة / ١١

قال (ابن حجر) قيل في تفسيرها: «يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعة الدرجات تدل على الفضل، اذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة»[١].

وقال سبحانه: (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ...)[٢].

فالله -سبحانه- استشهد بأولي العلم دون غيرهم من البشر، كما انه سبحانه قرن شهادتهم وشهادة الملائكة مع شهادته، وهذا يدل على عظم شرف العلماء عند الله -عز وجل-، وفي هذا يقول (الغزالي) رحمه الله:

«فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً»[٣].

كما ان القرآن الكريم حض على سؤال العلماء، فقال تعالى: (... فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[٤].

وهكذا يتضح من خلال الآيات الكريمة، مكانة العلماء في القرآن الكريم، وكيف ان لهم مرتبة وقدراً فوق سائر البشر، وهذا يدل على مدى العناية والأهمية التي أولاها القرآن للعلم وأهله.

القرآن ... والمكتشفات العلمية:

سبق القول، بأن القرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات التي تعرضت لبعض انواع العلوم، غير ان هناك كتاباً اسرفوا في تفسير تلك الآيات، وحاولوا ان يصبوها في قالب ضيق، حتى تتفق مع النظريات او الحقائق العلمية.

وكأن النظريات العلمية أصبحت الأصل التي يقاس عليها خطأ وصواب الأمور، وهذا يدل، كما يقول (سيد قطب): «على الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس ان العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، او الاستدلال له من العلم»[٥].

---

(١) فتح الباري / كتاب العلم / باب فضل العلم.

(٢) سورة آل عمران / ١٨

(٣) احياء علوم الدين / ج ١ — ص ١١

(٤) سورة النحل / ٤٣ (٥) في ظلال القرآن / ج ١ — ص ١٨٢

لهذا فقد حمّـل بعضهم بعض النصوص القرآنية ما لا تحتمل، ومن ذلك ما ذكره بعضهم حول قول الله -عز وجل- : (... ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[١].

فقال: «كيف تحمل ثمانية من الملائكة عرش الله ...؟ أم هي ثمانية صفوف، كل صف فيه ما لا نهاية من الملائكة، أم هي ثمانية قوانين فيزيقية أو ميتافيزيقية لا أحد يعلم»[٢].

ثم يضيف قائلاً : «ولعلها كائنات كهرمغنطيسية هائلة»[٣].

كما يفسر آخر قول الله -عز وجل- : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن اليها ...)[٤].

فيقول : «ان النفس هي البروتون، وان زوجها هو الالكترون، وهما العنصران اللذان تتكون منها الذرة»[٥].

ثم يضيف قائلاً : «وهذه الحقيقة العلمية التي يتيه بها العصر الحديث، قد جاء بها القرآن الكريم منذ ١٤٠٠ سنة في صراحة ووضوح»[٦].

ونسي هؤلاء الذين يقصرون النص القرآني حتى يتفق مع النظريات العلمية، ان هناك فرقاً كبيراً بين النظريات العلمية والحقائق العلمية، فالحقيقة العلمية هي التي لا تقبل التغيير او التبديل او التعديل او الاضافة او النقصان، ومثل هذه الامور لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تتعارض مع القرآن الكريم.

يقول الاستاذ «موريس بوكاي» بعد دراسته للكتب المقدسة : «لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ... وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي، استطعت أن أحقق قائمة ادركت بعد

---

(١) سورة الحاقة / ١٧

(٢) القرآن...محاولة لفهم عصري / مصطفى محمود / ص ١٦٢

(٣) المصدر السابق / ص ١٦٢

(٤) سورة الاعراف / ١٨٩

(٥) القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل / ص ١٣٦

(٦) المصدر السابق / ص ١٣٦

الانتهاء منها، ان القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث»[١].

هذا هو خلاصة ما قاله الاستاذ «بوكاي» بعد دراسته للقرآن والتوراة والاناجيل، فهو لم يجد في القرآن الكريم الأخطاء التي وجدها في التوراة والاناجيل، كما لم يجد أية معارضة بين الحقائق العلمية والنصوص القرآنية.

أما بالنسبة للنظريات العلمية، فهي قابلة للخطأ والصواب والتغيير والتبديل والأضافة والزيادة، فكيف يقصر النص القرآني على مثل هده النظريات؟ وماذا تكون النتيجة في حالة اثبات بطلانها فيما بعد؟ ألا يؤدي ذلك إلى التشكيك في كتاب الله -عز وجل ؟

يقول «سيد قطب» رحمه الله : «والذي ننبه اليه بشدة هو ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري، قابل للخطأ والصواب، وقابل للتعديل والتبديل، كلما اتسعت معارف الانسان وكثرت وتحسنت وسائله للمعرفة، فان بعض المخلصين من الباحثين يسارعون الى المطابقة بين مدلول النصوص القرآنية والكشوف العلمية -تجريبية أو افتراضية- بنية بيان ما في القرآن من اعجاز، فالقرآن معجز سواء طابقت الكشوف العلمية المتأرجحة نصوصه الثابتة ام لم تطابقها.

ونصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف، القابلة دائماً للتبديل والتعديل، بل للخطأ والصواب من الأساس!»[٢].

ثم يبين ما هو الموقف أمام هذه الكشوفات قائلاً : «وكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير نصوص القرآن، هو توسيع مدلولها في تصورنا كلما اطلعنا العلم على شيء مما تشير اليه اشارات مجملة من آيات الله في الأنفس والآفاق، دون ان يحمل النص القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه العلم»[٣].

وهكذا يتضح لنا موقف القرآن من العلم والعلماء، وكيف ان القرآن الكريم أعطى أهمية

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / ص ١٣

(٢) في ظلال القرآن/ج ٦ — ص٣٤٥١

(٣) المصدر السابق/ج ٦ — ص ٣٤٥١

كبيرة للعلم وأهله، وحث على التفكر والنظر والتدبر والمعرفة لأسرار الكون، بما يعود بالخير والنفع على الانسان

اما موقف السنه من العلم، فهذا ما سيتم توضيحه باذن الله.

ب- موقف السنة من العلم:

إهتمت السنة النبوية الشريفة غاية الاهتمام بطلب العلم، وتشجيع العلماء وطلاب العلم، فكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على تفهم أمور دينهم ودنياهم، فيأمرهم أن يسألوه عن الأمور التي يجهلونها، وأحياناً يسألهم ليجيبوه، وأحياناً يلقي العلم إلقاءً دون أن يسأل أو يُسأل.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يأمر بنشر العلم ويحذر من كتمانه و يوصي بطلاب العلم خيراً، وفي هذا المبحث سيتم بيان مكانة العلم في السنة، ومنهجه -عليه الصلاة والسلام- في تعليم الصحابة، وحثه على تبليغ العلم والتحذير من كتمانه، كذلك سيتم بيان منزلة العلماء وطلاب العلم، وثمرة هذه الدعوة ... باذن الله.

١ - مكانة العلم في السنة:

حض الرسول -عليه الصلاة والسلام- على طلب العلم، و بين منزلته وأهميته فقال عليه السلام: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1].

وهذا الأمر يشمل الذكور والاناث، واذا حُمل هذا الامر على امور الدين، فان العلوم الأخرى التي يحتاج اليها المسلمون في حياتهم تكون من باب فرض الكفاية.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يحث أصحابه على طلب العلم، فقال: (أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك)[2].

كما كان يحثهم على الذهاب الى أماكن العلم كي يتعلموا، فقال: (... أفلا يغدو أحدكم

---

(١) مجمع الزوائد/ج ١ — ص ١٢٠

(٢) المصدر السابق / ج ١ — ص ١٢٢

الى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله -عز وجل- خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث واربع خير له من أربع ومن اعدادهن من الابل)[١].

وكان من شدة حرصه على العلم، يأمر بتعليم الرجل من أول لحظة من دخوله الاسلام، ومثال ذلك ما حدث مع «عمير بن وهب الجمحي»[٢]، كما جعل فداء أسرى بدر، بأن يقوم الأسرى بتعليم الصحابة القراءة والكتابة، «فعن -ابن عباس[٣]- رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال. فجعل رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[٤].

كما جعل -عليه الصلاة والسلام- العلم من الأمور التي لا ينقطع أجرها بعد الموت فقال -عليه الصلاة والسلام- : (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاثة: الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[٥].

ولم يقتصر حض الرسول -عليه الصلاة والسلام- على طلب العلم الشرعي، بل دعاهم الى تعلم كل علم يفيد المسلمين، ومثال ذلك امره «زيد بن ثابت»[٦] ان يتعلم اللغة العبرية «عن زيد بن ثابت قال: لما قدم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- المدينة قال لي: تعلّم كتاب اليهود فاني والله ما آمن اليهود على كتابي، قال: فتعلمته في أقل من نصف شهر»[٧].

---

(١) صحيح مسلم / كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به / باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.

(٢) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن جمح القرشي الجمحي — يكنى ابا امية، اسلم بعد غزوة بدر، وعاش حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه / انظر الاصابة ج ٤ — ص ٧٢٦

(٣) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، امه ام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية / انظر الاصابة / ج ٤— ص ١٤١

(٤) زاد المعاد في هدى خير العباد / ج ٢ — ص ٦٧

(٥) صحيح مسلم / كتاب الوصية / باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته.

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، كان من كتبة الوحي، وكان من علماء الصحابة، وهو الذي جمع القرآن في عهد ابي بكر رضي الله عنه، توفي عام ٤٥هـ على الارجح.

(٧) طبقات ابن سعد / ج ٢ — ص ٣٥٨ — ٣٥٩

وفي رواية قال له -عليه الصلاة والسلام- : «فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال: السريانية فقلت: نعم، قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة»[1].

ولم يقتصر الامر عند هذا الحد، بل ان الرسول -عليه الصلاة والسلام- وجه عنايته واهتمامه لجميع مرافق الحياة، فكان تعليمه -عليه الصلاة والسلام- شاملاً لجميع النواحي الانسانية، وهذه نماذج لبعض الجوانب الانسانية التي علمها رسول الله -عليه الصلاة والسلام- للصحابة.

نماذج لبعض أنواع العلوم التي علمها رسول الله لأصحابه:

١ ـ الناحية العسكرية :

تلقى الصحابة -رضي الله عنهم- تعليمهم العسكري من خلال غزوات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسراياه، حيث استطاع -عليه الصلاة والسلام- بقيادته الحكيمة، وتخطيطه السليم، ان ينقل الصحابة من نصر الى نصر، ولقد استفاد الصحابة دروساً كثيرة من خلال توجيهاته -عليه الصلاة والسلام-.

فعلاوة على عقد الألوية وتقسيم الجيش وتجهيزه بالسلاح فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يستعمل الصحابة في مهام خطيرة، فكان يرسل البعض من اجل الاستطلاع، ومن ذلك انه أرسل «حذيفة بن اليمان»[2] الى معسكر المشركين من اجل الوقوف على أخبارهم، وفي ذلك يقول «الواقدي»: «فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: انطلق يا حذيفة الى عسكر المشركين فأتني بخبرهم، وبالذي يريدون اذا اصبحوا، فانه قد بلغني بعض الخبر، ولا تحدثن حدثاً حتى ترجع الى»[3].

كما أرسل -عليه الصلاة والسلام- البعض الآخر من أجل التعرف على صناعة الأسلحة

---

(١) المصدر السابق /ج ٢ — ص ٣٥٨

(٢) حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير، وهو صاحب سر رسول الله، استعمله عمر رضي الله عنه على المدائن، ولم يزل فيها حتى توفي عام ٣٦هـ — انظر الاصابة /ج ٢— ص ٤٤

(٣) مغاري رسول الله/ص ٢٩٣

الحديثة، ومن ذلك ما فعله الصحابيان «عروة بن مسعود[١]، وغيلان بن سلمة[٢]» حيث ذهبا الى جرش ليتعلما صناعة المنجنيق والدبابات، وفي ذلك يقول الشيخ «الكتاني»: «وكانا بجرش -و يقصد عروة وغيلان- يتعلمان صنعة العرادات[٣] والمنجنيق[٤] والدبابات[٥]، فقدما، وقد انصرف رسول الله عن الطائف فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات»[٦].

و بالاضافة الى ما سبق، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يضع للصحابة شعاراً للمعركة، لكي لا يصطدم بعضهم مع بعض ومن ذلك، ما رواه «سلمة بن الاكوع[٧]» فقال: «غزوت مع أبي بكر زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان شعارنا أمِت أمِت مرتين»[٨].

كما استفاد الصحابة -رضي الله عنهم- دروساً مهمة في الحياة العسكرية من خلال غزواته -عليه الصلاة والسلام-، ولعل إجابته -عليه الصلاة والسلام- «لسفيان الضمري» عندما قابله أثناء قيامه بمهمة استطلاعية قبيل معركة بدر، تدل دلالة واضحة على شدة حرصه وحذره من معرفة الآخرين للأسرار العسكرية، وتحركات الجنود، حيث أجابه -عليه الصلاة والسلام- عندما سأله

---

(١) عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك بن ثقيف الثقفي من اهل الطائف — وهو صحابي — وامه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف، كان احد الاكابر في قومه — انظر الاصابة / ج ٤ — ص ٤٩٢

(٢) غيلان بن سلمة بن معتّب بن مالك بن ثقيف الثقفي، من اهل الطائف، اسلم وتحته عشرة نسوة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعاً، مات في آخر خلافة عمر —انظر الاصابة / ج ٥ — ص ٣٣٠

(٣) العرادات: آلة مثل المنجنيق ولكنها اصغر منه

(٤) المنجنيق: آلة تستخدم لرمي العدو بالحجارة.

(٥) الدبابات: بيت صغير يدخل الجنود بداخله وذلك من اجل اقتحام الاسوار، حيث تحميهم من رمي العدو.

(٦) التراتيب الادارية / ج ١ — ص ٣٧٥

(٧) سلمة بن عمرو بن سنان الاكوع الاسلمي، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم عدة غزوات منها الحديبية وخيبر وحنين / الطبقات الكبرى — ابن سعد / ج ٤ — ص ٣٨

(٨) التراتيب الادارية / ج ١ — ص ٣٢٧

«سفيان» عن أتباعه فقال: «نحن من ماء، وأشار بيده نحو العراق، فقال (الضمري): من ماء العراق؟»[١] فترك عليه السلام «سفيان» في حيرة من أمره.

وعلاوة على ما ذكر فقد تعلم الصحابة خططاً حربية متنوعة، كان يستخدمها -عليه الصلاة والسلام- كحفر الخنادق، والمقاطعة الإقتصادية وإرسال العيون ومحاصرة الخصم ومباغتته، وغيرذلك من الفنون العسكرية.

ولعل انتصارات أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما بعد، تدل دلالة واضحة على قدرتهم القتالية الفائقة التي تعلموها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

٢ـ الناحية الاقتصادية:

اهتم الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالجانب الاقتصادي، حيث وضع منهجاً اقتصادياً ضمنه المبادىء الأساسية لعلم الاقتصاد ومن ذلك:

أ. أنه نهى عن الغش، لما يترتب عليه من مفاسد كثيرة، ومضار جسيمة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (من غش فليس منا)[٢].

ب. وكان ينهى عن الاحتكار والربا، واسراف المال، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (لا يحتكر الا خاطىء)[٣]، وقال: (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)[٤].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: (ان الله يرضى لكم ثلاثاً و يسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، و يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[٥].

ج. انه كان يستعمل عمالاً أكفاء من أجل إدارة الاسواق والاشراف عليها، ومن ذلك أنه

---

(١) مغازي رسول الله / ص ٣٦

(٢) سنن الترمذي / كتاب البيوع / باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع.

(٣) المصدر السابق / كتاب البيوع / باب ما جاء في الاحتكار.

(٤) سنن ابن ماجة / كتاب التجارات / باب التغليظ في الربا.

(٥) رواه البخاري في الادب المفرد — باب السرف في المال — ص ١١٨

استعمل -عليه الصلاة والسلام- «(سعيد بن العاص) بعد الفتح على سوق مكة واستعمل (عمر) على سوق المدينة»[٢].

كما كان -عليه الصلاة والسلام- يحث الصحابة على استثمار الأراضي وزراعتها، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فان أبى فليمسك أرضه)[٣].

وعن «أنس»[٤] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة)[٥].

٣ - الحث على الكسب وطلب العمل :

وحتى تكتمل الجوانب الاقتصادية، و يصبح كل فرد في المجتمع إيجابياً، ولا يكون عالة على الآخرين، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يرغب في العمل، ومن ذلك قوله: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله «داود -عليه الصلاة والسلام-» كان يأكل من عمل يده)[٦].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لأن يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه)[٧].

---

(١) سعيد بن سعيد بن العاص بن امية، كان اسلامه قبل الفتح بقليل، واستشهد بالطائف / انظر الاصابة / ج ٣ — ص ١٠٥

(٢) التراتيب الادارية / ج ١ — ص ٢٨٧

(٣) صحيح البخاري / كتاب المزارعة / باب ما كان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر.

(٤) انس بن مالك بن النضر بن ضمضم الانصاري الخزرجي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه، وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة —انظر الاصابة / ج ١ — ص ١٢٦

(٥) صحيح البخاري / كتاب المزارعة / باب فضل الزرع والغرس اذا اكل منه الانسان.

(٦) المصدر السابق / كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٧) المصدر السابق / كتاب البيوع / باب كسب الرجل وعمله بيده.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يحاول أن يوجد عملاً لمن لا عمل له، ومن ذلك ما رواه «أنس بن مالك»: (أن رجلاً من الأنصار جاء الى النبي -صلى الله عليه وسلم- يسأله، فقال: لك في بيتك شيء قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء، قال: أئتني بهما، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيده، ثم قال: من يشتري هذين؟ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم؟ مرتين او ثلاثاً، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري وقال: إشتر بأحدهما طعاماً فانبذه الى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به، ففعل، فأخذه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشد فيه عوداً بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً، فجعل يحتطب و يبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: اشتر ببعضها طعاماً و ببعضها ثوباً، ثم قال: هذا خير لك من ان تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، ان المسئلة لا تصلح الا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع او دم موجع)[١].

كما كان -عليه الصلاة والسلام- يحث الصحابة على استثمار الوقت، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (ان قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فان استطاع ان لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[٢].

وعلاوة على ما سبق، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يقوم ببعض الأعمال بنفسه ومن ذلك ما رواه («حبة بن خالد، وسواء بن خالد»[٣] أنهما أتيا النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يعالج حائطاً أو بناءً له فأعاناه)[٤].

٤ - النواحي الصحية :

اهتم الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالنواحي الصحية غاية الاهتمام، فعلاوة على الفروض التي فرضها الاسلام على الفرد المسلم، من وضوء وغسل وطهارة للبدن واللباس والمكان،

---

(١) سنن ابن ماجة / كتاب التجارات / باب بيع المزايدة.

(٢) رواه البخاري في الادب المفرد — باب اصطناع المال — ص ١٢٦

(٣) حبة بن خالد الخزاعي وقيل العامري، اخو سواء بن خالد، صحابي نزل الكوفة — انظر الاصابة / ج ٢ — ص ١٤

(٤) رواه البخاري في الادب المفرد / باب من بنى / ص ١٢٠

فقد وجه -عليه الصلاة والسلام- عناية الصحابة بالنظافة العامة والخاصة، ومن ذلك انه حثهم على نظافة الأسنان فقال -عليه الصلاة والسلام-: (لولا أن أشق على المؤمنين -وفي حديث زهير على أمتي- لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[1].

كما حث على نظافة سائر الجسد والاعتناء به، وذلك كحلق الشعر وتقليم الأظافر فقال -عليه الصلاة والسلام-: (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة، الختان والاستحداد وتقليم الأظافر، ونتف الابط، وقص الشارب)[2].

وكما وجه عنايته -عليه الصلاة والسلام- للنظافة الخاصة، فقد اهتم أيضاً بالنظافة العامة، ومن ذلك نهيه -عليه الصلاة والسلام- من تلويث الشوارع والأماكن العامة فقال: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق)[3].

كما حث -عليه الصلاة والسلام- على نظافة البيوت وما يحيط بها فقال -عليه الصلاة والسلام-: (نظفوا أفنيتكم)[4].

وعلاوة على ما سبق، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يحث على التداوي، ومن ذلك ما رواه «أسامة[5] بن شريك» قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال نعم، يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داءً الا وضع له شفاء او قال دواءً الا داءً واحداً قالوا يا رسول الله: وما هو؟ قال: الهرم)[6].

وهكذا يتضح مما سبق عنايته -عليه الصلاة والسلام- بالنواحي الصحية، والاهتمام بها وإرشاده وتعليمه للصحابة.

---

(١) صحيح مسلم / كتاب الطهارة / باب السواك.

(٢) المصدر السابق / باب خصال الفطرة.

(٣) سنن ابن ماجة / كتاب الطهارة وسننها / باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق.

(٤) سنن الترمذي / كتاب الادب / باب ما جاء في النظافة.

(٥) اسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة، صحابي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة احاديث — انظر الاصابة / ج ١ — ص ٤٩

(٦) سنن الترمذي / كتاب الطب / باب ما جاء في الدواء والحث عليه.

٥ ـ النواحي الاجتماعية :

حرص رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم، لهذا فان من الامور التي أولاها عنايته، واهتم بها فور وصوله للمدينة، أنه آخى بين المهاجرين والأنصار.

كما حث على التعاون والمحبة والاحسان، وحذر من التخاصم والحسد وغير ذلك من الأمور التي تؤدي الى التفرقة والشقاق، وهذه طائفة من أحاديث رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ توضح حرصه ـعليه الصلاة والسلامـ على تعليم الصحابة مبادىء الأخوة والاجتماع، وتحذرهم من التفرقة والنزاع.

أ. حثه ـصلى الله عليه وسلمـ على المحبة، ومن ذلك ما رواه ابو هريرة عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ قال: (ان الله يقول يوم القيامة، أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي)[١].

ب. الحث على حسن الجوار، ومن ذلك ما رواه «عبد الله[٢] بن عمرو» عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ أنه قال: (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)[٣].

ج. حثه ـصلى الله عليه وسلمـ على صلة الأرحام، ومن ذلك ما رواه «جبير[٤] بن مطعم» عن أبيه قال: قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ: (لا يدخل الجنة قاطع، قال ابن أبي عمر قال سفيان: يعني قاطع رحم)[٥].

---

(١) صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والاداب / باب في فضل الحب في الله.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن لؤي القرشي السهمي، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، قال الواقدي : مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنين وسبعين — انظر الاصابة / ج ٤ — ص ١٩٢

(٣) سنن الترمذي / كتاب البر والصلة / باب ما جاء في حق الجار.

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، اسلم بين الحديبية والفتح على الارجح ومات في خلافة معاوية — انظر الاصابة / ج ١ — ص ٤٦٢

(٥) سنن الترمذي / كتاب البر والصلة / باب ما جاء في صلة الرحم.

د. نهيه -عليه الصلاة والسلام- عن الحسد والمقاطعة و ودعوته الى الأخوة والاجتماع، ومن ذلك ما رواه «أنس» قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[١].

و. نهيه -صلى الله عليه وسلم- عن الظلم والبخل، ومن ذلك ما رواه «جابر[٢] بن عبد الله» أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٣].

وهكذا يتضح حرص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على تعليم الصحابة وتوجيههم الى مختلف أنواع العلوم والمعرفة، وفي ذلك دلالة واضحة على شمولية تعليمه -صلى الله عليه وسلم-.

٢ ـ منهجه عليه الصلاة والسلام في تعليم أصحابه :

كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يعيش مع أصحابه، دون أن يكون بينهم و بينه حجاب، فكان يخالطهم في المسجد وأثناء غزواته، وفي السوق والبيت، وفي الحضر والسفر، وكان الصحابة يلازمونه و يتلقون العلم عنه في جميع شئونهم، فيستفتونه في الأمور التي يجهلونها، ويحكّمونه في قضاياهم، فكان -عليه الصلاة والسلام- معلمهم وقائدهم وإمامهم طيلة أيام حياته.

وكان منهجه -عليه الصلاة والسلام- في تعليم أصحابه أنه كان يخاطبهم على قدر عقولهم، فيّفهم البدوي بما يناسبه، والحضري بما يلائمه.

وكان يجلس مع الصحابة، يتذاكر معهم كتاب الله -عز وجل- و يعلمهم مبادىء الاسلام، يقول «أنس» -رضي الله عنه-: (إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرأون القرآن،

---

(١) المصدر السابق / باب ما جاء في الحسد.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الانصاري السَّلَمي — يكنى ابا عبد الله على الارجح، وهو احد المكثرين عن النبي عليه الصلاة والسلام، وكان آخر اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام موتا بالمدينة — انظر الاصابة / ج ١ — ص ٤٣٤

(٣) صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم.

و يتعلمون الفرائض والسنن).

وكان عليه الصلاة والسلام يستخدم أرقى الأساليب التربوية، التي تسمى اليوم بالطريقة الاستنباطية، وهي التي تعتمد على السؤال لاستخراج الجواب، ومن ذلك ما رواه «ابن عمر»[٢] -رضي الله عنهما- قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وانها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: هي النخلة)[٣].

وكان -عليه الصلاة والسلام- يأمر الصحابة بأن يسألوه عن الأمور التي يجهلونها، ويحذرهم أن يفتوا بغير علم، ومن ذلك ما ذكره «جابر» -رضي الله عنه- قال: خرجنا في سفر، فاصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر في ذلك، فقال: (قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا اذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال ... الحديث)[٤].

وكان من منهجه -عليه الصلاة والسلام- اليسر في التعليم، والنهي عن التشديد والتعقيد، عن ابن عباس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (علموا و يسروا ولا تعسروا، واذا غضبت فاسكتوا ... الحديث)[٥].

وكان من شدة حرصه على التعليم أنه كان يراقب صحابته في أفعالهم، وأقوالهم، فاذا رأى أحدهم يخطيء صحح له خطأه، وأرشده الى الصواب، ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب -رضي

---

(١) مجمع الزوائد /ج ١ — ص ١٣٢

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، من المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، هاجر وهو ابن عشر سنين وشهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام عدة غزوات، ومات سنة ٨٤هـ على الارجح -- انظر الاصابة /ج ٤ — ص ١٨١.

(٣) فتح الباري / كتاب العلم / باب طرح الامام المسئلة على اصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

(٤) سنن ابي داود / كتاب الطهارة / باب المجروح يتيمم.

(٥) مجمع الزوائد /ج ١ — ص ١٣١

الله عنه- أنه رأى رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على ظهر قدمه، فأبصره النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (ارجع فاحسن وضوءك، فرجع فتوضأ ثم صلى)[١].

وتارة يمر بالصحابة وهم يتذاكرون، فيسألهم عن نوع المذاكرة، فيجيبوا، فيعطيهم -عليه الصلاة والسلام- إجابة شافية تتعلق بموضوعهم، ومن ذلك ما رواه «حذيفة بن أسيد[٢] الغفاري» حيث قال: (اطلع النبي -صلى الله عليه وسلم- علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ فقالوا: نذكر الساعة قال: انها لن تقوم حتى تروا عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، ... الحديث)[٣].

والى جانب ذلك، فقد كان النساء يسألن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيجيبهن، بل انه خصص لهن أوقاتاً يجتمع فيها معهن حيث يتلقين منه تعاليم الاسلام، و يستمعن الى مواعظه، عن «أبي سعيد[٤] الخدري» قال: قالت النساء للنبي -صلى الله عليه وسلم-: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن: (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة واثنين؟ فقال: واثنين)[٥].

و بالاضافة الى ما ذكر، فقد كان هناك دروس عامة -يشترك فيها الرجال والنساء[٦]- يوضح فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمور الدين والدنيا، ممثلة في خطبة الجمعة وصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، وغير ذلك من المناسبات.

بهذه الروح العلمية الرفيعة، والمنهج التربوي السليم، كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يعلم الصحابة والمسلمين جميعاً أحكام الدين والدنيا.

---

(١) مسند الامام احمد /ج ١ — ص ٢٣

(٢) حذيفة بن أسيد بن غفار الغفاري يكنى [ابو سريحة] شهد الحديبية وهو ممن بايع تحت الشجرة، ثم نزل الكوفة، وروى عدة احاديث، توفي عام ٤٢هـ — انظر الاصابة /ج ٢ — ص ٤٣

(٣) انظر الصحيحين / باب الفتن واشراط الساعة.

(٤) سعد بن مالك بن سنان الانصاري الخزرجي، كان من المكثرين من الحديث، وكان من فقهاء الصحابة، مات سنة ٧٤هـ — وقيل غير ذلك — انظر الاصابة / ج ٣ — ص ٧٨

(٥) صحيح البخاري/ كتاب العلم/ باب هل يجعل للنساء يوما على حده في العلم.

(٦) دون اختلاط، حيث كان يجلس الرجال في الامام والنساء في المؤخرة.

٣ـ حث الرسول ـعليه الصلاة والسلام ـ على تبليغ العلم والتحذير من كتمانه :

ان الهدف من العلم، هو أن ينتفع منه أكبر قدر ممكن من الناس، ولا فائدة من العلم المكتوم، أو الذي يبقى في صدور العلماء، لذلك أمر الرسول ـعليه الصلاة والسلام ـ بنشر العلم وحرّم كتمانه، عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ: (من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)[1].

كما كان يأمر الصحابة، أن يبلغوا عنه ولو آية، حتى تعم الفائدة، عن «عبد الله بن عمرو» قال: قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ: (بلغوا عني ولو آية ... الحديث)[2].

وكان ـعليه الصلاة والسلام ـ يأمر الوفود التي تفد اليه أن يبلغوا من خلفهم ما حملوه من الاسلام، وأن يفقهوهم في أمور دينهم، ومن ذلك ما فعله عندما قدم اليه وفد عبد القيس، فقال ـعليه الصلاة والسلام ـ: (من الوفد أو من القوم؟ قالوا ربيعة، فقال: مرحباً بالقوم ـأو بالوفد ـ غير خزايا ولا ندامى، قالوا: إنا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ... قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم)[3].

ولم يترك ـعليه الصلاة والسلام ـ طريقة من طرق تبليغ العلم الا وسلكها، فكتب الكتب الى ملوك عصره، فقد ثبت أنه كتب الى قيصر الروم، وهرقل، والمقوقس، والى غيرهم من الملوك والأمراء.

كما أنه وجه الرسل للبلدان، ومن ذلك انه بعث الى وفد بني الحارث بعد أن ولّى وفدهم «عمرو بن حزم[4] ـ ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام»[5].

---

(١) سنن الترمذي / كتاب العلم / باب ما جاء في كتمان العلم

(٢) المصدر السابق / باب ما جاء في الحديث عن بني اسرائيل.

(٣) فتح الباري / كتاب العلم / باب تحريض النبي وفد عبد القيس على ان يحفظوا العلم والايمان ويخبروا من وراءهم.

(٤) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الانصاري، يكنى ابا الضحاك، صحابي شهد الخندق وما بعدها واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران، مات في خلافة عمر وقيل في عهد معاوية — انظر الاصابة /ج ٤ — ص ٦٢١

(٥) سيرة ابن هشام /ج ٤ — ص ٣٣٩

كما كان -عليه الصلاة والسلام- يسمح لبعض الصحابة، بتدوين النصوص، ومن ذلك ما قاله «لعبد الله بن عمرو»: (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه -ويقصد فمه عليه الصلاة والسلام- إلا حق)[١].

وكذلك أمره الصحابة بأن يكتبوا «لأبي شاه»[٢]، عندما طلب من رسول الله أن يكتبوا له، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (أكتبوا لأبي شاه)[٣].

بهذه الأساليب الرفيعة، وبهذه الطرق المختلفة، بلّغ -عليه الصلاة والسلام- رسالة الاسلام الخالدة، فكان اسوة حسنة في تبليغ العلم ونشره بين الناس.

٤ - مكانة العلماء وطلاب العلم :

لقد كرمت السنة النبوية العلماء وأشادت بهم، وبوأتهم منزلة رفيعة، وحثت الأمة على احترامهم وتقديرهم، فقال -صلى الله عليه وسلم-: (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه)[٤].

ويكفي العلماء فضلاً وفخراً حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي بين فيه منزلتهم حيث قال: (العلماء ورثة الأنبياء)[٥].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وردت أحاديث كثيرة، تشيد بالعلماء وتفضلهم على سائر البشر، بل تفضلهم على المنقطعين للعبادة، ومن ذلك ما روي عن «أبي أمامة[٦] الباهلي» قال: (ذكر

---

(١) سنن ابي داود / كتاب العلم / باب في كتابة العلم.

(٢) ابو شاه اليماني — صحابي — ورد ذكره في الصحيحين حول معنى الحديث المذكور — انظر الاصابة/ ج ٧ — ص ٢٠٢

(٣) سنن الترمذي / كتاب العلم / باب ما جاء في الرخصة فيه.

(٤) مجمع الزوائد / ج ١ — ص ١٢٧

(٥) المصدر السابق / ج ١ — ص ١٢٦

(٦) صُدَي بن عجلان بن الحارث بن اعصر الباهلي — ابو امامة — مشهور بكنيته، صحابي، روى عـ رسول الله صلى الله عليه وسلم، سكن بالشام، توفي عام ٨٦هـ — انظر الاصابة / ج ٣ — ص ٤٢٠

لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلان، أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)[١].

وهكذا من خلال الأحاديث الشريفة يلاحظ ان للعلماء مكانة عالية، ومنزلة رفيعة، نالوها بشرف علمهم.

أما بالنسبة لطلاب العلم، فقد بيّن -صلى الله عليه وسلم- ان من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله، بل جعل الطريق التي يُلتمس فيها العلم، بمثابة الطريق التي توصله الى الجنة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: (من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع)[٢].

وقال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة)[٣].

وكان -عليه الصلاة والسلام- يرحب بطلاب العلم، ويستقبلهم أحسن استقبال، ويوصي بهم خيراً، ويأمر صحابته بأن يرحبوا بهم ويفسحوا لهم في المجالس.

عن «صفوان بن عسال المرادي»[٤] قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في المسجد متكيء على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال: (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب)[٥].

٥ ـ ثمرة هذه الدعوة:

من خلال الأهمية العظيمة، التي أولاها القرآن الكريم والسنة النبوية للعلم، ومن خلال وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتبليغ العلم، كان لا بد للصحابة، ان يستجيبوا لهذه

---

(١) سنن الترمذي / كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة

(٢) سنن الترمذي / كتاب العلم / باب فضل طلب العلم.

(٣) المصدر السابق / باب فضل طلب العلم.

(٤) صفوان بن عسّال المرادي، صحابي، روى عن النبي عليه الصلاة والسلام عدة احاديث، سكن الكوفة، وذكر انه غزا مع الرسول عليه الصلاة والسلام اثنتي عشرة غزوة. انظر الاصابة / ج ٣ — ص ٤٣٦

(٥) مجمع الزوائد / ج ١ — ص ١٣١

الدعوة، فيبلغوا الأمانة، و ينشروا العلم، فكانوا -رضي الله عنهم- يتدارسون القرآن، و يتدبرون آياته، و يكتب البعض منهم القرآن، ويحفظ أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و بعضهم كان يدونها كما فعل عبد الله بن عمرو، حيث قال: (كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أريد حفظه ... الحديث)[١].

وكان من شدة حرصهم على تلقي العلم، أنه إذا تغيب أحدهم لظرف ما عن درس من دروس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسأل صاحبه عن خبر ذلك المجلس، فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يسكن في عوالي المدينة، بعيداً عن مسجد رسول الله، فلا يستطيع النزول كل يوم الى المسجد، لاشتغاله بالزراعة، فيقول: (كنت وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينزل يوماً وأنزل يوماً، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، واذا نزل فعل مثل ذلك ... الحديث)[٢].

و بلغ الاهتمام في طلب العلم درجة شملت جميع أفراد المجتمع تقريباً، فكانت **الوفود** تأتي من أقصى الجزيرة العربية لتأخذ العلم عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- كما حدث لوفد عبد القيس - كما ذُكر-.

وتجد **الاعرابي** يقطع المسافات الطويلة في سبيل طلب العلم، والسماع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك ما حدث مع «ضِمام بن ثعلبة»[٣] عندما دخل المسجد على جمل، قال أنس -رضي الله عنه-: (... فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي -صلى الله عليه وسلم- متكيء بين ظهرانيهم، فقلنا، هذا الرجل الأبيض المتكيء، فقال له الرجل -ضمام-: ابن عبد المطلب، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: قد أجبتك، فقال الرجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: اني سائلك فمشدد عليك في المسئلة، فلا تجد علي في نفسك، فقال سل عما بدا لك ... الحديث)[٤].

---

(١) سنن ابي داود / كتاب العلم / باب في كتابة العلم.

(٢) فتح الباري / كتاب العلم / باب التناوب في العلم.

(٣) ضمام بن ثعلبة السعدي، صحابي، كان يسكن الكوفة،انظر الاصابة / ج ٣ — ص ٤٨٦

(٤) فتح الباري / كتاب العلم / باب ما جاء في العلم.

ولم يقتصر الأمر على الرجال، بل ان النساء أهتممن بالعلم غاية الاهتمام، فعلى الرغم من حضورهن مجالس العلم -كما ذُكر سابقاً- وتخصيص الرسول -صلى الله عليه وسلم- لهن وقتاً، فقد كان بعض النسوة، يذهبن الى بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيسألنه أو يسألن عائشة -رضي الله عنها- قالت عائشة: (نعم النساء، نساء الانصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[١].

وها هي «أم سليم»[٢] -رضي الله عنها- جاءت الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: (يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل اذا احتلمت؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم- اذا رأت الماء ... الحديث)[٣].

وكان الصحابة -رضي الله عنهم- مولعين بالبحث والتنقيب، حريصين على فهم وحفظ كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- والمتأمل في التاريخ يلاحظ مدى حرصهم،فعلى الرغم من الحروب والفتوحات الاسلامية، ومن الفتن التي حدثت زمن الخلفاء الراشدين -على الرغم من ذلك كله- فقد اهتم ابو بكر الصديق -رضي الله عنه- غاية الاهتمام بالمحافظة على كتاب الله -عز وجل- اذ سرعان ما اقتنع بصواب فكرة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بجمع القرآن وكتابته والمحافظة عليه؛ لهذا انتدب لهذا العمل الجليل رجلاً من خيرة الصحابة هو «زيد بن ثابت» -رضي الله عنه- حيث توفرت فيه عدة خصال قل ان تتوفر في غيره من الرجال، اذ كان من حفاظ القرآن ومن كتبة الوحي، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، وكان فوق كل ذلك معروفاً بشدة ورعه ورجاحة عقله، وكمال خُلقه، وقد قام -رضي الله عنه- بتنفيذ هذه المهمة العظيمة على أكمل وجه وفي ذلك يروي البخاري في صحيحه ما ذكره زيد بن ثابت -رضي الله عنه- حول جمع القرآن فقال: (... فتتبعت القرآن أجمعه من العُسف واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، لقد

---

(١) المصدر السابق / باب الحياء في العلم.

(٢) سهلة — على خلاف — بنت ملحان بن خالد بن جندب الأنصارية، وهي ام انس خادم رسول الله عليه الصلاة والسلام، روت عن النبي عدة احاديث وكان لها شرف الصحبة. انظر الاصابة /ج ٨ — ص ٢٢٧

(٣) فتح الباري / كتاب العلم / باب الحياء في العلم.

جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر-رضي الله عنه-)[١].

ولقد كان هذا العمل الجليل، يتم تحت اشراف أبي بكر وهو الخليفة يومئذ وعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأكابر الصحابة، وفي ذلك دلالة واضحة على العناية الفائقة والاهتمام المتزايد في التثبت العلمي.

وعلاوة على ما سبق فقد قام الصحابة -رضي الله عنهم- بتدوين كتاب الله وحفظه، وحفظ أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستنبطوا الأحكام الفقهية، وركبوا المطايا في سبيل العلم، حتى أصبحت الرحلة في طلب العلم الى البلاد البعيدة أشهى أمانيهم، عن جابر-رضي الله عنه- قال: (بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاشتريت بعيراً، ثم شددت رحلي فسرت اليه شهراً حتى قدمت الشام، فاذا «عبد الله بن انيس»[٢] فقلت للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج فاعتنقني فقلت: حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخشيت ان أموت قبل أن أسمعه فقال: سمعت رسول الله ... الحديث)[٣].

كما وُجهت العناية والاهتمام لأمور عديدة شملت عدة مرافق، وعلى سبيل الذكر لا الحصر، فهذه نماذج لبعض أنواع العلوم التي اهتمت بها الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب: رضي الله عنه-.

١ ـ علم الادارة:

حرص عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، لهذا فقد كان -رضي الله عنه- يعين الرجال الأكفاء في مجال تخصصهم في جهاز الدولة، ومما

---

(١) صحيح البخاري / كتاب التفسير / باب جمع القرآن.

(٢) عبد الله بن انيس الجهني، صحابي، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي عام ٥٤هـ في بلاد الشام — انظر الاصابة / ج ٤ — ص ١٥

(٣) فتح الباري / كتاب العلم / باب الخروج في طلب العلم [انظر الشرح]

يروى عنه، انه قال: «من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت -أبي بن كعب[1]- ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت -زيد بن ثابت- ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت -معاذ بن جبل[2]- ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني-»[3].

ولكي تسير الأمور بدقة متناهية، فقد اهتم بكتابة التاريخ، فوضع للناس تاريخاً محدداً يستطيعون أن يسيروا عليه «قال -سعيد بن المسيب[4]-: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والانصار، فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: منذ خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من أرض الشرك -يعني يوم هاجر- فكتب ذلك عمر -رضي الله عنه-»[5].

فكانت تدون الحوادث والأمور على حسب ذلك التاريخ.

٢ - علم الهندسة:

اهتمت الدولة بتخطيط وترتيب المدن على أسس هندسية حيث حددت الشوارع الرئيسية والأزقة، والأماكن العامة، كالمساجد والمقابر وغير ذلك بمساحات محددة وفي ذلك يقول الكتاني: «لما أذن -أي عمر رضي الله عنه- ببناء البصرة والكوفة خطوا الشوارع على عرض عشرين ذراعاً وطول أربعين ذراعاً، والأزقة تسعة أذرع، والقطائع ستين ذراعاً، وبنوا المسجد الجامع في الوسط بحيث تتفرع الشوارع، وذلك بأمر عمر -رضي الله عنه-»[6].

---

(١) ابي بن كعب بن قيس بن النجار الانصاري، سيد القراء، صحابي، كان من اصحاب العقبة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان من كُتّاب الوحي، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر الاصابة /ج ١ — ص ٢٧

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس الانصاري الخزرجي، صحابي، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، شهد بدراً، وامّره النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن، توفي بالشام سنة ١٧هـ — انظر الاصابة /ج ٦ — ص ١٣٦

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب / جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي / ص ٧٤

(٤) سعيد بن المسيب بن حزم المخزومي القرشي المدني، سيد التابعين، واحد الفقهاء السبعة في المدينة / الوفيات — ص ٨٨

(٥) تاريخ عمر بن الخطاب — ص ٤٢

(٦) التراتيب الادارية / ج ١ — ص ٢٨٢

أما في مصر، فقد أرسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رسالة الى عمرو بن العاص رضي الله عنه -حاكمها في ذلك الوقت- ضمنها أمره بحفر خليج يربط بين النيل والبحر الاحمر، لما يترتب على ذلك من سهولة ويسر في نقل المواد الاقتصادية بين مصر وبلاد الحجاز، علاوة على اختصار الطرق التجارية ومما ذكره في تلك الرسالة: «يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقي في روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين، أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام الى المدينة ومكة»[1].

وعلاوة على ذلك، فقد كان -رضي الله عنه- يشترط على أهل الذمة إصلاح الجسور والطرق.

٣ - علم الاقتصاد :

اهتم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بالنواحي الاقتصادية، حيث كان يقوم بتوزيع بعض الأراضي على المستحقين، ويترك البعض الآخر للأجيال القادمة، ويأمر عماله بمسح الأراضي الصالحة للزراعة، ومن ذلك ما فعله بأرض العراق، حيث أرسل «عثمان بن حنيف»[2] من أجل مساحة الأرض الصالحة للزراعة، علاوة على رفضه تقسيم الأرض على الفاتحين، عندما أشاروا عليه بتقسيمها، وعلل ذلك في رسالته الموجهة الى «سعد بن أبي وقاص»[3] حيث قال: «ان قسمتها بين من حضر -ويقصد الجنود- لم يكن لمن بقي بعدهم شيء»[4].

وهذا يدل على نظرته الثاقبة فيما يتعلق بالأمور الأقتصادية.

وبالاضافة الى ذلك، فقد أنشأ **ديواناً للمال** سجل فيه من يستحق العطاء من العساكر

---

(١) فتوح مصر والمغرب / لابن عبد الحكم / ص ٢١٩

(٢) عثمان بن حنيف، صحابي، وقيل انه سكن الكوفة ومات في خلافة معاوية انظر الاصابة /ج ٤ — ص ٤٤٩

(٣) سعد بن مالك بن أهيب القرشي الزهري بن ابي وقاص، احد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتاً، صحابي روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام كثيراً وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله، مات سنة ٥٦هـ — انظر الاصابة /ج ٣ — ص ٧٣

(٤) تاريخ عمر / ابن الجوزي / ص ٦٩

والقبائل والبطون وغيرهم ، كما سجل فيه الاموال التي ترد الى بيت المال ، وكيفية توزيعها.

يقول الماوردي: «وأول من وضع الديوان في الاسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-»[1].

٤ ـ الأمن :

وعلاوة على ما سبق فقد اهتم -رضي الله عنه- بالنواحي الأمنية ، فأنشأ العسس في سبيل المحافظة على الأمن ، وكان يقوم بنفسه بالتجوال بين شوارع المدينة ، حتى يكون على معرفة تامة باحوال الرعية و يطمئن عليها.

عن السائب بن جبير مولى ابن عباس -رضي الله عنه- قال: «ما زلت أسمع حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- انه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيراً ...»[2].

يتضح مما سبق ذكره إهتمام الدولة وعنايتها بشتى أنواع العلوم والمعرفة.

وهكذا يتضح جلياً عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالعلم ، وحثهما على طلبه ونشره ، كما اتضحت مكانة العلماء وطلاب العلم ، وتجاوب الصحابة -رضي الله عنهم- مع هذه الدعوة ، حيث حملوا هذه الدعوة بعزيمة قوية ورغبة ملحة وإرادة قوية ، كان لها أثر كبير في حفظ كتاب الله وسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- علاوة على اهتمامهم -رضي الله عنهم- ولا سيما في عصر عمر -رضي الله عنه- بشتى أنواع العلوم والمعرفة والحرص على التقدم والازدهار في مختلف الميادين.

أما في عصر التابعين ، فقد اهتم الخلفاء والأمراء غاية الاهتمام بالعلم والعلماء وطلاب العلم وهذا ما سيتم بحثه -باذن الله- في الفصل القادم.

---

(١) الاحكام السلطانية والولايات الدينية — ص ١٩٩

(٢) تاريخ عمر — ص ٦٠

الفصل الثاني

سير الحركة العلمية بعد عصر الراشدين

... اتضح من خلال الفصل السابق مكانة العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكيف أن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استجابوا لدعوة الكتاب والسنة، فحملوا راية العلم وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل نشره.

...واستمرت الحركة العلمية بعد عصر الخلفاء الراشدين حيث حمل لواءها الولاة والتابعون، فهذا «عمر بن عبد العزيز»[1] -رضي الله عنه- يقوم بعمل جليل وعظيم حيث دوّن احاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجنّد لذلك العلماء، وأرسل لولاة الأنصار وكبار العلماء من أجل المحافظة على أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أما بالنسبة لموقف الخلفاء من العلم وأهله، والاعمال التي قاموا بها في سبيل نشر العلم، فهذا ما سيتم بيانه في مبحث مستقل، كما سيتم -باذن الله- بيان حركة الترجمة وآثارها في مبحث آخر.

أ- تشجيع الولاة للعلم وأهله :

امتدت الحركة العلمية في الدولة الاسلامية، بعد عصر الراشدين حيث اهتم المسلمون بالعلوم المتعلقة بكتاب الله -عز وجل- من تفسير وقراءة واستنباط احكام وأسباب النزول، وغير ذلك، كما اهتموا بأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبالفقه والسيرة ودونوا ذلك في

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي القرشي، اشتهر بعدله وقيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم، تولى الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي عام ١٠١هـ / الوفيات / ص ١٠٣

كتب خاصة، «فقد روي أن ـ وهب بن منبه[1] ـ ٣٤ ـ ١١٠هـ ألف كتاباً في المغازي، كما رووا ان ـ عروة بن الزبير[2] ـ وهو من أشهر فقهاء المدينة ومحدثيها ـ ألف في سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ»[3].

كما كانت تعقد حلقات العلم في المساجد، ومنازل العلماء، وقصور الخلفاء، حيث كان الخلفاء يشجعون العلم ويجرون الارزاق على طلاب العلم، و يستدعون العلماء لمجالسهم، فهذا ـ معاوية ـ[4] «يستدعي الى مجلسه بعض العلماء والادباء وأرباب السير ليقرأوا له ويحدثوه»[5].

ولم يقتصر امر الخلفاء على تشجيع العلم وأهله بل كانوا يبنون المدارس و يوسعون المساجد، التي كانت تعتبر ملتقى لأهل العلم، حيث تعقد المناظرات و يلتقي الطلاب بالعلماء ويجلسون حلقات حلقات، ومثال ذلك ما فعله «الوليد بن عبد الملك»[6] حيث كان يهتم بشئون الادارة «و يشجع الصناعة والتجارة بفتح الاسواق و ينشأ المدارس والمستشفيات و يوسع المساجد ويجمّلها»[7].

كما كان الخلفاء على درجة عالية من العلم، تجعلهم في مصاف العلماء، قال ابو الزناد:

---

(١) وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري، مؤرخ كثير الاخبار، تابعي جليل، ولاه عمر بن عبد العزيز قاضيا في صنعاء، وله عدة كتب تتعلق بالملوك واخبارهم، مثل [قصص الانبياء وقصص الاخيار] توفي سنة ١١٠هـ / الوفيات / ص ١١١

(٢) عروة بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي — تابعي جليل — وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان محدثاً وفقيهاً وعالماً، توفي سنة ٩٤هـ / الوفيات / ص ٨٩

(٣) فجر الاسلام / احمد امين / ص ١٥٨

(٤) معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب القرشي الاموي، امير المؤمنين، صحابي جليل، كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلاد الشام، ثم تولى الخلافة بعد موت علي رضي الله عنه، مات عام ٦٠هـ / انظر الاصابة / ج ٦ ـ ص ١٥١

(٥) تاريخ التربية الاسلامية / د. احمد شلبي / ص ٥٦

(٦) الوليد بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الاموية بالشام، تولى الخلافة سنة ٨٦هـ / الاعلام /ج ٩ — ص ١٤٠

(٧) قصة الحضارة — بتصرف — / ول ديوارنت /ج ١٣ — ص ٨٣

«كان فقهاء المدينة أربعة: ـسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب[1] وعبد الملك بن مروان[2]. وقال الشعبي[3]: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك، فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه»[4].

هذا ولم يقتصر احترام العلماء وتقديرهم من جانب الخلفاء على العلماء الذين برزوا في علوم الدين، كالفقه والحديث و... بل شمل جميع العلماء الذين برزوا في شتى العلوم.

فهذا الوليد بن عبد الملك، يغدق الأموال على الشعراء، حيث أعطى «جريراً»[5] أربعة آلاف درهم، «كما أعطى الأعرابي مثل ذلك بعد ما امتحنه في الشعر»[6].

وهذا حاكم مصر، عندما سمع «بابن الهيثم»[7] ـوهو أحد علماء الطبيعةـ «يخرج للقائه على باب القاهرة ...، ويأمر بانزاله واكرامه واحترامه»[8].

وكما كانت المناظرات، وحلقات العلم، تدور في المساجد، كان هناك حلقات ومناظرات

---

(١) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي المدني، فقيه ومحدث — تابعي — ولد عام الفتح وتوفي بدمشق عام ٨٦هـ / الوفيات / ص ٩٩

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي، خليفة اموي، ولد سنة ٢٦هـ وبويع بالخلافة سنة ٦٥هـ وتوفي سنة ٨٦هـ / الوفيات / ص ٩٥

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، تابعي جليل، وافر العلم، من رجال الحديث، وكان كثير الاتصال بعبد الملك بن مروان، مات بالكوفة سنة ١٠٥هـ / الوفيات / ص ١٠٥

(٤) الكامل في التاريخ / ابن الاثير / ج ٤ — ص ٥٢٠

(٥) جرير بن عطية بن حذيفة الكلبي اليربوعي، من تميم، اشعر اهل العصر، ولد ومات باليمامة سنة ١١٠هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ١١١

(٦) للاستزادة — انظر تاريخ التربية الاسلامية / د. احمد شلبي / ص ٥٩ وما بعدها.

(٧) محمد بن الحسن بن الهيثم، مهندس من اهل البصرة، له مؤلفات كثيرة منها «المناظر وكيفية الاظلال، والاشكال الهلالية» توفي عام ٤٣٠هـ / الاعلام / ج ٦ — ص ٣١٤

(٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء / ابن ابي اصيبعة / ص ٥٥١

تعقد في قصور الخلفاء وبحضورهم، ومن أمثلة ذلك: «ما جرى بين سيبويه[1] والكسائي[2] في مجلس يحيى البرمكي[3]»[4].

وكذلك، مناظرة الكسائي والأصمعي[5] بين يدي الرشيد[6].

ولم تقتصر مجالس العلم على قصور الخلفاء، بل كانت هناك مناظرات تعقد في قصور الوزراء، وهذا يدل على مساهمة رجال الدولة في سير الحركة العلمية، وحرصهم على تلقي العلم، ومثال تلك المجالس: «مجلس أبي عبد الله الحسين بن سعدان وزير صمصام الدولة عام ٣٧٥هـ الذي كان حافلاً بكبار العلماء والأدباء، نذكر منهم ابن مسكويه المؤرخ، وكذلك مجلس الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات»[7].

هذا وقد نشطت الحركة العلمية نشاطاً واسعاً مع بداية القرن الثاني الهجري، حيث استقرت الأحوال، ودانت أمتا الفرس والروم للدولة الاسلامية، واتصل المسلمون بغيرهم من الأمم، واطلعوا على حضارتهم واستفادوا منها.

كما اهتم الخلفاء غاية الاهتمام بنشر العلم، فأسسوا المدارس، والمكتبات، فهذا الخليفة أبو

---

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، امام النحاة، واول من بسط علم النحو وصنف كتابه المسمى «سيبويه» توفي بالاهواز سنة ١٨٠هـ / الاعلام / ج ٥ — ص ٢٥٢

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي — ابو الحسن الكسائي — امام في اللغة والنحو والقراءة، من اهل الكوفة، توفي عام ١٨٩هـ له مؤلفات منها «معاني القرآن ومختصر في النحو» / الاعلام / ج ٥ — ص ٩٣

(٣) يحيى بن خالد بن برمك، مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه، توفي عام ١٩٠هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ١٧٥

(٤) انظر تفصيلاً / ضحى الاسلام / احمد امين / ج ٢ — ص ٥٥

(٥) عبد الملك بن قريب بن علي بن اصمع الباهلي، ابو سعيد الاصمعي، احد ائمة اللغة والشعر، توفي بالبصرة عام ٢١٦هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٣٠٧

(٦) هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ، وكان عالماً فصيحاً، توفي عام ١٩٣هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ٤٣

(٧) الحياة العلمية في الدولة الاسلامية / محمد الحسيني عبد العزيز / ص ٣٥

جعفر المنصور «لم يألُ جهداً في بذل الوسع في درس العلوم الفلكية، وتأسيس مدارس الطب والشريعة»[١].

وهذا هارون الرشيد؛ وهو الخليفة يومئذ، يقطع المسافات الطويلة في سبيل طلب العلم والمعرفة، «قال القاضي الفاضل في بعض رسائله: ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم، إلا للرشيد، فانه رحل بولديه الأمين[٢] والمأمون[٣] لسماع الموطأ على مالك رحمه الله، ... ويقال أنه أجازه عليه بمائة ألف»[٤].

وكان بجانب ذلك يقرب من مجلسه العلماء والفقهاء والشعراء، ويستمع اليهم، رغبة في الاستفادة من علمهم، ومن ذلك: «أنه استدعى اليه الفقيه الجليل الضرير، محمد بن حازم ليسمع منه الحديث، وبعد انفضاض المجلس، دعاه للغذاء مع الحاضرين، ثم قام الفقيه الضرير ليغسل، فصب الخليفة هارون الرشيد الماء على يديه، وقال له: أتدري من يصب عليك الماء؟ فقال: لا، قال: هو أمير المؤمنين، تعظيماً للعلم وأهله»[٥].

وكان يغدق على العلماء الأموال، تقديراً لجهودهم في نشر العلم، ومثال ذلك أنه أعطى «سفيان بن عيينة[٦] مائة ألف، وأجاز إسحق الموصلي[٧] مرة بمائتي ألف، وأجاز مروان[٨] بن أبي

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي / ج ٦ — ص ٦٠٨

(٢) محمد بن هارون الرشيد، سادس الخلفاء من بني العباس، ولي الخلافة بعد وفاة ابيه سنة ١٩٣هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ٣٥٠

(٣) عبد الله بن هارون الرشيد، سابع الخلفاء من بني العباس، ولي الخلافة بعد خلع اخيه الامين سنة ١٩٨هـ، توفي عام ٢١٨هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٢٨٧

(٤) تاريخ الخلفاء / السيوطي / ص ٢٩٤ — ٢٩٥

(٥) التاريخ الاسلامي / د. ابراهيم الشريقي / ص ١٢٢

(٦) سفيان بن عيينة بن ابي عمران ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، توفي عام ١٩٠هـ / الوفيات / ص ١٤٩

(٧) اسحاق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، كان على اتصال بالخلفاء العباسيين، توفي عام ٢٣٥هـ / الاعلام / ج ١ — ص ٢٨٣

(٨) مروان بن سليمان بن يحيى بن ابي حفصة، توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ / الاعلام / ج ٨ — ص ٩٥

حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينار»[1].

وكان بجانب اهتمامه ـ هارون الرشيد ـ بنشر العلوم، يأمر بتأسيس المعاهد العلمية، و يشجع الصناعات حتى ازدهرت في عهده أنواع شتى من الصناعات، مثل صناعة السجاد والأقمشة، والأواني الخزفية، وغير ذلك.

عصر المأمون :

نشطت الحركة العلمية نشاطاً واسعاً في عهد المأمون، اذ يعتبر عصره من أزهى العصور الاسلامية في الاهتمام بالعلم ونشره، وكان الخليفة نفسه عالماً من أفذاذ العلماء، وكان بلاطه يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب، والشعراء والأطباء والفلاسفة.

كذلك نشطت حركة التدو ين، والتأليف والترجمة نشاطاً واسعاً في عصره، وحفل العالم الاسلامي بالعلماء والمؤلفين، الذين يكتبون و يؤلفون في جميع المواضيع وشتى العلوم، و يصف ابن خلدون تلك الفترة قائلاً: «فكثرت التآليف العلمية، والدواو ين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد، وسائر الأمور الكتبية»[2].

كما نشطت حركة الترجمة نشاطاً واسعاً في عصره، حيث استدعى طائفة من المترجمين، وأمرهم أن يترجموا الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وكان يجري عليهم الأرزاق[3].

كذلك اهتم ـ المأمون ـ بشتى أنواع العلوم، من طب وهندسة ور ياضيات، وغير ذلك من العلوم، فقد أفسح «لفلكييه داراً في أعلى ضاحية من بغداد بقرب باب الشماسية، لرصد النجوم رصداً دقيقاً علمياً»[4].

---

(١) تار يخ الخلفاء /السيوطي / ص ٢٨٥ — ٢٨٦

(٢) المقدمة — ص ٣٨٢

(٣) سيتم تفصيل ذلك في مبحث الترجمة.

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب / ز يغر يد هونكة / ص ١١٩

كما وجه عنايته واهتمامه في سبيل الحصول على الكتب، واهتم ببيت الحكمة اهتماماً عظيماً وقيل أنه أنفق عليها «مائتي ألف دينار»[1].

وكان يرسل الرسل والبعثات الى سائر البلاد للحصول على الكتب، فقد أرسل أكثر من بعثة الى القسطنطينية و بلاد الروم، من أجل الحصول على الكتب.

«وقد اجتمع لدى المأمون في بيت الحكمة هذا عدد من العلماء والبحاثة قل أن يجتمعوا في مكان آخر، فقد ورد ذكر حنين بن اسحاق[2] و يوحنا[3] بن ماسو يه ... كما نجد عدداً كبيراً من العلماء والفضلاء والرؤساء والوجهاء كانوا يداومون العمل في هذه الاكاديمية، مثل أبناء شاكر[4] ... وغيرهم»[5].

كما انتشرت الحركة العلمية في سائر البلاد الاسلامية، ففي قرطبة مثلاً -والتي تبوأت مكاناً رفيعاً في التقدم الحضاري، وكانت مركزاً عظيما من مراكز العلم والمعرفة، تجد المدارس والمعاهد العلمية منتشرة في جميع أنحاء البلاد، يقبل عليها طلاب العلم والمعرفة من كل الجهات ليلتحقوا بها و ينهلوا من علومها.

و يصف «الدوميلي» الحركة العلمية والنشاط الفكري في ذلك الوقت قائلاً: «كانت قرطبة في ظل عبد الرحمن الثاني[6] ٨٢١ - ٨٥٢م مركزاً رائعاً للجمال المادي، والنشاط الفكري جميعاً،

---

(١) قصة الحضارة / ول ديوارنت / ج ١٣ — ص ١٧٨

(٢) حنين بن اسحاق العبادي، طبيب ومترجم، جعله المأمون رئيساً لديوان الترجمة، توفي عام ٢٦٠هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٣٢٥

(٣) يوحنا بن ماسو يه، من علماء الطب، ومترجم، جعله هارون الرشيد امينا على الترجمة، وكان يعالج الخلفاء، له مؤلفات كثيرة منها «البرهان والازمنة» توفي عام ٢٤٣هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ٢٧٩

(٤) ابناء شاكر، هم محمد واحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر وهم مشهورون بعلم الهندسة والنجوم، وكانوا مقربين من المأمون العباسي، و وضعوا كتاباً اسمه «كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر المنجم» / الاعلام / ج ٧ — ص ٣٣٧

(٥) المكتبات في الاسلام / د. محمد ماهر حماده / ص ٦٣

(٦) عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاموي، من ملوك بني امية في الاندلس، توفي عام ٢٣٨هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٧٦

وتبوأت مقاماً عالمياً في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث ٩١٢ - ٩٦١م حامي العلوم والآداب، وبفضل تشجيع مطرد النمو أيضاً، تزايدت النهضة في حكم ابنه وخليفته الحكم الثاني ٩٦١ - ٩٧٦م الذي أبى إلا ان يكون هو نفسه من العلماء، فأرسل وكلاء عنه الى جميع اصقاع العالم الاسلامي، لابتياع الكتب أو استنساخها، ووفق في جمع مكتبة غاية في الثراء تقدر محتوياتها بأربعمائة ألف كتاب»[١].

وفي مصر اهتم الخلفاء الفاطميون، غاية الأهتمام بالعلم، ويكفيهم فخراً أنهم شيدوا الجامع الأزهر، الذي كان معهداً علمياً بجانب كونه مسجداً، كما أقيمت بجانب الجامع مساكن للطلبة، وكانت الدولة تنفق الأموال على الطلاب، ليتمكنوا من مواصلة دراستهم، وقد أمر الخليفة ـ العزيز بالله الفاطمي[٢] ـ وزيره ـ يعقوب بن كلس[٣] ـ أن يرصد الأموال للفقهاء، «فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق وأمر لهم بشراء دار وبنائها، فبنيت بجانب الجامع الأزهر»[٤].

واستمرت الحركة العلمية في عهد الأيوبيين، حيث شجعوا العلم ووفروا سبل العيش للطلبة «ورعوا العلم وما بخلوا في الاغداق عليه، وأنشأوا كثيراً من المدارس، وأوقفوا عليها الأوقاف السخية»[٥].

وهكذا يلاحظ الاهتمام الكبير، الذي أولته الدولة الاسلامية للعلم وأهله على مر التاريخ، وفي مختلف البلاد.

لهذا كان لابد من وجود أمكنة للتعليم تتوفر فيها الكتب، لينهل منها العلماء وطلاب العلم، ويتمكن الطلاب من لقاء العلماء، وتعقد فيها حلقات العلم والمناظرات، في جو يتلائم مع الحياة العلمية، وعلى هذا فيمكن حصر أماكن العلم في الآتي:

---

(١) العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد موسى / ص ٣٤٥

(٢) نزار بن معد «المعز لدين الله» العبيدي الفاطمي، صاحب مصر والمغرب، بويع بعد وفاة ابيه سنة ٣٦٥هـ، توفي عام ٣٨٦هـ / الاعلام / ج ٨ — ص ٣٣٢

(٣) يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن هارون بن كلس — وزير — توفي عام ٣٨٠هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ٢٦٧

(٤) انظر تفصيلاً — تاريخ التربية الاسلامية — ص ٣٦٣

(٥) المصدر السابق/ص ٣٦٤

١ ـ المساجد :

اتخذ الرسول ـعليه الصلاة والسلام ـ مسجد المدينة مكاناً للدراسة حيث كان يجتمع مع الصحابة فيتلوا عليهم ما ينزل من القرآن، و يعلمهم أحكام الدين بالقول والعمل، وظل المسجد يؤدي رسالته زمن الخلفاء الراشدين، واستمر في عهد الأمويين والعباسيين، و بعد ذلك، حيث كان يجلس العلماء يحدثون و يفسرون آيات الكتاب المبين، وكان المحدثون يروون أحاديث رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ وكان من بينهم الامام ـمالك بن أنس[1] ـ رضي الله عنه، كذلك كان الحال في مسجد البصرة، حيث كان يجتمع طلاب العلم حول ـالحسن البصري[2] ـ وكذلك مسجد دمشق حيث كان مركزاً هاماً من مراكز الثقافة، فكانت تعقد فيه حلقات العلم، وكان فيه «عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس، كما كان ـللخطيب البغدادي[3] ـ حلقة كبيرة يلقي فيها الدروس ويجتمع اليه الناس كل يوم»[4].

كذلك الحال في مصر، حيث كان الامام ـالشافعي[5] ـ يلتقي مع طلبة العلم في مسجد عمرو ابن العاص.

وإلى جانب ذلك، فقد إشتهرت بعض الجوامع بتدريس مختلف أنواع العلوم، وتخصص بعض المدرسين للتدريس فيها، كما كان الولاة يعينون البعض الآخر.

كما كان طلبة العلم يقبلون على هذه الجوامع من كل حدب وصوب، وقد هيئت لهم جميع

---

(١) مالك بن انس بن مالك بن الحارث الاصبحي الحميري، امام دار الهجرة، واحد الأئمة الأربعة، توفي عام ١٧٩هـ، له الموطأ / الوفيات / ص ١٤١

(٢) الحسن بن ابي الحسن يسار البصري — من التابعين — كان امام اهل البصرة، وحبر الامة في زمنه، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ / الوفيات / ص ١٠٩

(٣) احمد بن علي بن ثابت البغدادي، له مؤلفات كثيرة من اشهرها «تاريخ بغداد» توفي عام ٤٦٣هـ / الاعلام / ج ١ — ص ١٦٦

(٤) انظر تفصيلاً تاريخ التربية الاسلامية / ص ٩١

(٥) محمد بن ادريس بن العباس الهاشمي القرشي، احد الائمة الاربعة، واليه نسبت الشافعية، توفي عام ٢٠٤هـ / الوفيات / ص ١٥٥

الوسائل لأجل مواصلة دراستهم والتفرغ لها، فكانت تجرى عليهم الارزاق، وتبنى لهم المساكن، وتنفق عليهم الأموال، ومن بين هذه الجوامع :

أ- جامع الزيتونة :

تم بناء هذا الجامع بتونس زمن خلفاء بني أمية، حيث كان المؤسس الأول لجامع الزيتونة «الأمير عبيد الله بن الحبحاب»[١] ثم حصلت زيادات عديدة في الجامع سنة ٢٥٠هـ ، حيث قام «زيادة الله بن الاغلب»[٢] بتوسعته.

وكان لهذا الجامع منزلة سامية لتدريس مختلف أنواع العلوم، قام بتدريسها كبار العلماء، أمثال «أبو البقاء عبد الرحمن بن زياد المعافري»[٣] حيث كان من كبار المحدثين، وكذلك «أبو سعيد سحنون التنوخي»[٤] ومنهم «الامام المازري»[٥] وغيرهم[٦].

وكان طلاب العلم يقبلون على هذا الجامع من كل صوب لطلب العلم، حيث كانت تدرس فيه كتب التفسير والحديث والفقه واللغة.

ويصف الحشائشي الحالة العلمية في جامع الزيتونة فيقول : «كان مستبحراً بالعلوم على اختلاف أنواعها، عقلية ونقلية، مقاصد ووسائل، حتى كان يقال ان حذاء كل سارية من غالب سواريه مدرساً، وفي خزانته ما ينيف على المائتي ألف مجلد»[٧].

---

(١) عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي، امير افريقيا، وهو الذي انشأ الجامع الاعظم بتونس — جامع الزيتونة — توفي عام ١٢٣هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٣٤٥

(٢) زيادة الله بن محمد بن الاغلب، مات بتونس عام ٢٥٠هـ / الاعلام / ج ٣ — ص ٩٤

(٣) عبد الرحمن بن زياد بن انعم المعافري — قاضٍ — من العلماء، ولي القضاء بالقيروان، وتوفي بها عام ١٦١هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٧٨

(٤) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون، قاضٍ وفقيه، انتهت اليه رئاسة العلم في المغرب، تولى القضاء بالقيروان وتوفي بها، عام ٢٤٠هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ١٢٩

(٥) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، محدث ومن فقهاء المالكية، له عدة مؤلفات منها «التلقين، والكشف والانباء» توفي عام ٥٣٦هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ١٦٤

(٦) للاستزادة انظر — تاريخ جامع الزيتونة / محمد بن عثمان الحشائشي / ص ٣٦

(٧) المصدر السابق/ص ٥٥

وهذا الوصف يدل دلالة واضحة على الدور العظيم الذي كان جامع الزيتونة يقوم به في سبيل النهوض بالعلم عبر التاريخ.

ب- جامع القرويين :

تم تأسيس هذا الجامع بمدينة فاس بالمغرب، في عهد دولة الأدارسة، سنة ٢٤٥هـ، وفي سنة ٣٢٢هـ تعهد الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي بتوسعته وزيادته.

ومع أوائل القرن السادس الهجري، تم توسعة الجامع وزيادة مساحته، حتى اكتسب شهرة فائقة، وكان الجامع يمتاز بمكانته العلمية الفائقة، فكان طلاب العلم يقبلون عليه من كل صوب للتزود من معينه.

اما بالنسبة للدراسة، فقد كان الطابع العام فيه خلال المرحلة الأولى، تدريس العلوم الدينية ولا سيما فيما يتعلق بمذهب الامام مالك، ثم شملت الدراسة سائر العلوم الأخرى في عهد دولة الموحدين.

وكان لهذا الجامع ميزانية خاصة، نتيجة للأموال الموقوفة، علاوة على الأموال التي كان يتبرع بها الأمراء وغيرهم.

ونتيجة للشهرة الفائقة التي اشتهر بها الجامع، فقد كان طلاب العلم يفدون اليه من البلاد الاخرى، بل إن طلاب أوروبا أخذوا يقبلون على هذا المعهد العلمي، ومما يذكر أن الأسقف «جيربير»[1] كان من ضمن الطلاب الذين وصلوا الى جامع القرويين، كذلك القسيس «غربرت دورياق» الذي اصبح فيما بعد بابا في رومية باسم «سلفستروس» سنة ٩٩٩-١٠٠٣م، تعلم في جامع القرويين بعد أن تعلم في جامع قرطبة.

ج- جامع الأزهر:

تم انشاء هذا الجامع بقاهرة المعز، في عهد الخلفاء الفاطميين بمصر، والذي أنشأه هو القائد «جوهر الصقلي»[2] وفي ذلك يقول المقريزي: «وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت،

---

(١) انظر تفصيلاً / احد عشر قرناً في جامعة القرويين / عبد الهادي التازي — ص ١٩

(٢) جوهر بن عبد الله الرومي، باني مدينة القاهرة وجامع الازهر، توفي عام ٣٨١هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ١٤٦

لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة»[1].

ثم ان العزيز بالله -أبا منصور نزار بن المعز لدين الله[2] جدد فيه بعض الأشياء كما جدد بعض الأمراء في هذا الجامع مقصورة كبيرة للعلماء وطلاب العلم.

ونتيجة للعناية الفائقة التي أولاها الحكام المسلمون للعلم وأهله، فقد رتب الخليفة العزيز بالله أرزاقاً للعلماء وطلبة العلم، وأمر لهم بشراء دار بجانب الأزهر، وفي ذلك يقول المقريزي: «وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس، الخليفة العزيز بالله، في صلة رزق جماعة من الفقهاء، فاطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناض، وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الأزهر»[3].

كما أوقف الخلفاء الأوقاف للأزهر، وعينوا به المدرسين في مختلف أنواع العلوم، ومن ذلك ما قام به الامير الخازندار حيث «رتب جماعة من الفقهاء، لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدثاً يسمع الحديث النبوي والرقائق، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن، ورتب به مدرساً»[4].

كما كانت تدرس في الجامع علوم شتى، كالفقه والحديث والتفسير وتلاوة القرآن، والنحو، علاوة على مجالس الوعظ وحلق الذكر.

ونتيجة للشهرة الفائقة، التي امتاز بها جامع الازهر، وللتسهيلات الجمة التي كان يجدها طلاب العلم، فقد كان الطلبة يقبلون على هذا الجامع من كل صوب، حتى لقد بلغ عدد الملازمين للجامع سنة ٨١٨هـ -كما ذكر المقريزي- «سبعمائة وخمسين رجلاً ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة، ولكل طائفة رواق يعرف بهم»[5].

---

(١) الخطط المقريزية /ج ٢ — ص ٢٧٣

(٢) العزيز بالله نزار بن معد «المعز لدين الله» العبيدي الفاطمي، صاحب مصر والمغرب، بويع بعد وفاة ابيه سنة ٣٦٥هـ، توفي عام ٣٨٦هـ / الاعلام /ج ٨ — ص ٣٣٢

(٣) الخطط المقريزية /ج ٢ — ص ٢٧٣

(٤) المصدر السابق /ج ٢ — ص ٢٧٥

(٥) المصدر السابق /ج ٢ — ص ٢٧٦

واستمر هذا الجامع مركزاً علمياً مشعاً، يؤدي رسالته عبر التاريخ، فيخرج العلماء وتؤلف به المؤلفات، فكان بحق مدرسة جامعة للعلم وأهله.

وهكذا، كانت الجوامع بمثابة المعاهد العلمية المشعة، التي نهضت بالعلم عبر القرون، وخرجت العلماء الأفذاذ، الذين ساهموا في تقدم العلوم وازدهارها.

٢ ـ مجالس العلم :

كانت قصور الخلفاء والوزراء منتدى للعلماء، حيث كانوا يلتقون فيها و يتناقشون، وتجري بينهم المناظرات، وكان يشترك الخلفاء احيانا في المناظرات، كما كان يفعل المأمون، فكثيرا ما أخذ دوراً رئيسياً في المناظرات التي كانت تدور في مجلسه.

وكان لهذه المناظرات وحلقات العلم، أثر كبير في التقدم والازدهار، وكانت حافزاً على البحث العلمي.

ولم تقتصر مجالس العلم على قصور الخلفاء والوزراء، بل كان هناك مناظرات وحلقات علم تعقد في بيوت العلماء، حيث خصصوا حجرة في بيوتهم لاستقبال الطلاب.

«يروى أن يعقوب بن كلس رتب مجلساً في داره يوم الثلاثاء من كل اسبوع، يجتمع فيه العلماء والأدباء والفقهاء والقضاة، ثم تجري بينهم المناظرات»[١].

كما خصص الامام «الغزالي»[٢] مكاناً للتعليم في بيته، حيث كان يلجأ اليه طلاب العلم والمعرفة ليستفيدوا من دروسه.

٣ ـ المدارس :

وبجانب المساجد ومجالس العلم أنشئت المدارس التي كان لها أثر كبير في نشر العلم، حيث التحق بها الطلاب، وكانت الدولة تساهم في انشائها، وتنفق الأموال على طلاب العلم،

---

(١) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه / د. عبد الحليم منتصر / ص ٥٣

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي «ابو حامد» حجة الاسلام، له مؤلفات كثيرة، منها «احياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة» توفي بخراسان سنة ٥٠٥هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ٢٤٧

فمثلاً «المدارس النظامية» التي تنسب الى مؤسسها «نظام الملك»[١] والتي كانت كثيرة العدد وفي غاية الجمال، اهتم بها غاية الاهتمام «وامدها بالاساتذة والأموال والكتب»[٢].

و يصف ابن جبير المدارس في بغداد فيقول : «والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة اربع وخمسمائة، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات محبسة، تتصير الى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم»[٣].

أما بالنسبة لمصر، فيصف ابن بطوطة عدد مدارسها فيقول : «أما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها»[٤].

هذا وقد ذكر المقريزي في كتابه «الخطط المقريزية» أسماء المدارس في مصر، فذكر ما يزيد على سبعين مدرسة[٥] كانت منتشرة في مصر.

و يصف «هلام» حالة المدارس في العالم الاسلامي -في ذلك الوقت- فيما ينقله عنه بطرس البستاني قائلاً : «كان للعرب مدارس زاهرة العلوم، منتشرة من بغداد الى قرطبة، وكان لهم سبع عشرة مدرسة كلية، كانت مدرسة قرطبة أشهرها، و يقال انه كان فيها مكتبة تحتوي على ٦٠٠ ألف مجلد، وكانوا يدرسون الصرف والنحو والشعر والتاريخ والجغرافيا وعلم الهيئة وعلم النجوم والكيمياء والرياضيات والطب و ... وكان لهم مدرسة ابتدائية بجانب كل مسجد يعلمون فيها القراءة والكتابة»[٦].

ولم تقتصر الدراسة في المدارس على العلوم الدينية، بل كانت تدرس بجانبها العلوم الطبيعية،

---

(١) نظام الملك، الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي، اشتغل بالاعمال السلطانية، توفي في نهاوند عام ٤٨٥هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٢١٩

(٢) للاستزادة/انظر تاريخ التربية الاسلامية / ص ١٠١

(٣) رحلة ابن جبير / ص ٢٠٥

(٤) رحلة ابن بطوطة / ص ٢٠

(٥) للاستزادة / انظر الخطط المقريزية / ج ٢ — ص ٣٦٢ — ٤٠٠

(٦) دائرة المعارف / ج ٦ — ص ١٦١ — ١٦٢

كالهندسة والطب والرياضيات، بل كان هناك مدارس خصوصية تدرس فيها هذه العلوم، وفي ذلك يقول «هلام»: «وكان للعلوم الطبيعية مدارس خصوصية، وكانوا يعلمون الطب في المستشفيات»[١].

كما أمر الخليفة المستنصر «ان يعين طبيب حاذق بمدرسة المستنصرية يثبت عنده طلاب من المسلمين يشتغلون عليه في علم الطب»[٢].

كذلك عين نظام الملك الامام الغزالي استاذاً في المدرسة النظامية ببغداد، كما كان امام الحرمين «عبد الملك بن عبد الله الجويني»[٣] مدرساً في مكة، ثم انتقل الى نيسابور، ودرس في مدرسة الميمونية النظامية.

٤ ـ المكتبات :

للمكتبات أثر كبير في نشر العلم، بل تعتبر الينابيع الفياضة التي تغذي طلاب العلم والمعرفة كما أن كثرة المكتبات وما تلقاه من عناية واهتمام، يدل على رقي الأمة وتقدمها العلمي، ولقد ظهرت المكتبات في الدولة الاسلامية وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة، واهتمام العلماء، وطلاب العلم بالكتب، وبجانب المكتبات الخاصة التي كان يملكها العلماء وطلاب العلم، كان هناك مكتبات عامة، تشرف عليها الدولة، فتجلب لها الكتب وتنظمها وتعد لها سجلات خاصة وفهارس، وتعين الموظفين وأصحاب الإختصاص، من وراقين ومجلدين ومترجمين، وتنفق عليهم الأموال، فمكتبة «بيت الحكمة» والتي اسسها هارون الرشيد كانت تضم آلاف الكتب، ولقد ازدهرت في عهد المأمون ازدهاراً عظيماً، حيث أولاها عناية خاصة وأقام فيها طائفة

---

(١) المصدر السابق /ج ٦ — ص ١٦٢

(٢) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه / ص ٥٤

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني — امام الحرمين — له مصنفات كثيرة، منها «العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية والبرهان والشامل» توفي عام ٤٧٨هـ / الاعلام / ج ٤ — ص

من المترجمين، ليترجموا الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وكان يجري عليهم الأرزاق.

وكانت بيت الحكمة بمثابة الجامعة، حيث تؤدي الدور الذي تؤديه الجامعات والمعاهد العلمية في الوقت الحاضر، حيث كان يلتقي فيها العلماء والباحثون وطلاب العلم وغيرهم، من مؤلفين ومترجمين، وكانت بحق مركزاً علمياً يحقق للعلماء والطلاب زاداً علمياً وفيراً.

وعلاوة على ما سبق، فقد كان يشرف على هذه المكتبة مجموعة من كبار العلماء، من بينهم «بنو موسى بن شاكر، المنجم وهم ثلاثة أخوة محمد وأحمد والحسن، ويحيى بن أبي منصور الموصلي[1] المنجم المأموني، ومحمد بن موسى الخوارزمي[2] ...وغيرهم من العلماء»[3].

كما كان هناك مكتبات أخرى تؤدي نفس الدور مثل مكتبة «دار الحكمة» بالقاهرة، والتي أسست في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي وكذلك المكتبة «الحيدرية» بالنجف، وغيرها من المكتبات العامة والتي كان لها أثر كبير في نشر العلم.

ويصف المقريزي مكتبة دار الحكمة بالقاهرة فيقول: «في يوم السبت هذا- يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القراء والمنجمون، وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد ان فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم، وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين -الحاكم بأمر الله- من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم

---

(١) يحيى بن ابي منصور الفارسي الموصلي، كان من علماء الادب والفلك والكلام، توفي عام ٢٣٠هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ٢١٩

(٢) محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي فلكي مؤرخ، اقامه المأمون العباسي قيما على خزانة كتبه، وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وله كتب كثيرة منها «الجبر والمقابلة، وعمل الاسطرلاب» توفي عام ٢٣٢هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ٣٣٧

(٣) خزائن الكتب القديمة في العراق / كوركيس عواد / ص ١١٠

والآداب، والخطوط المنسوبة، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها»[1].

وهكذا صارت الحركة العلمية بعد عصر الراشدين، حيث شجع الخلفاء والولاة العلم وأهله، وساهموا مساهمة فعالة في تقدمه، فأنشأوا المدارس والمعاهد العلمية، وأغدقوا الأموال على العلماء وطلاب العلم، وإلى جانب ذلك فقد كان لحركة الترجمة التي قام بها العلماء أثر كبير في تقدم العلوم، وهذا ما سيتم بيانه في المبحث القادم إن شاء الله.

ب ـ حركة الترجمة ... وآثارها :

كان أول نقل في الإسلام بفضل (خالد بن يزيد بن معاوية)[2] حيث ترجمت له بعض الكتب من اللغة اليونانية والقبطية إلى العربية، حيث كان متعلقاً بعلم الطب والنجوم والكيمياء، وفي ذلك يقول الجاحظ «كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً، وجيد الرأي، كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء»[3].

ويزيد ابن النديم في كتابه «الفهرست» قائلاً:

«كان خالد بن يزيد بن معاوية ـ المتوفي سنة ٨٥هـ ــ ٧٠٤م ـ يسمى حكيم آل مروان. وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة[4] فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانين، ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام»[5].

---

(١) كتاب الخطط المقريزية / ج ٢ / ص ٣٣٧.

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان القرشي، خليفة اموي، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، توفي عام ٨٥هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٣٤٢

(٣) البيان والتبيين / ج ١ — ص ٣٢٨

(٤) يقصد بها علم الكيمياء، وهي تحويل المعادن الخسيسة الى نفيسة.

(٥) الفهرست / ص ٣٥٢

ولكن المتأمل في الترجمة- في ذلك الوقت- يلاحظ أنها كانت مقتصرة على ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم، كالطب والكيمياء، ولم تترجم الكتب المتعلقة بالإلهيات، والأخلاق، لعدم حاجة المسلمين إليها، يقول الدكتور عبد الحليم محمود: «وحينما بدأ المسلمون في أوائل العصر العباسي يترجمون الثقافات الأجنبية فإنهم لم يسيغوا ترجمة الإلهيات والأخلاق، ذلك أن يقينهم المطلق في نصهم المقدس جعلهم يستهينون بكل ماعداها مما يتصل بما وراء الطبيعة أو بالأخلاق»[١].

وازدادت حركة الترجمةفي عصر المأمون، حيث كان المأمون مولعاً بالكتب القديمة -خصوصاً كتب الفلاسفة- لهذا فقد وجه عنايته لجلب الكتب من شتى البلاد، فأرسل الرسل، والبعثات وراسل الملوك، حيث ثبت أنه راسل ملك الروم من أجل الحصول على الكتب، كما عين نخبة ممتازة من المترجمين، ليترجموا الكتب الأعجمية إلى اللسان العربي وكان من أشهرهم «اسحاق بن حنين»[٢] وحنين بن اسحاق، وفعل المأمون ما امتنع عنه جمهرة المسلمين، حيث ترجم الكتب الخاصة بالإلهيات والأخلاق.

ولا شك أن هذا الأمر الذي قام به المأمون مخالف لما جاء به الإسلام، حيث أن البحث العقلي في الأمور الغيبية والإلهيات أمر طبيعي بالنسبة لفلاسفة اليونان وغيرهم، الذين نشأوا في أماكن خالية من الكتب المقدسة، أما بالنسبة للبيئة الإسلامية، فإنه من غير الطبيعي أن ينشأ نقاش فلسفي عقلي -قابل للخطأ- يتناول الأمور الغيبية، سيما ما يتعلق بذات الله- سبحانه- مع وجود القرآن الكريم، والذي لا يشك مسلم في صحته.

بالإضافة إلى نهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخوض في مثل هذه الأمور، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره)[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا)[٤].

---

(١) التفكير الفلسفي في الاسلام / ص ٤٦٥

(٢) اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي، طبيب ومترجم خدم بعض الخلفاء من بني العباس، والف كتباً كثيرة منها «الادوية المفردة وتاريخ الاطباء» مات ببغداد سنة ٢٩٨هـ / الاعلام /ج ١ — ص ٢٨٦

(٣) + (٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير /ج ٣ — ص ٢٦٢ حيث ورد الحديث بعدة روايات، قال عنها السخاوي: «هذه الأحاديث كلها ضعيفة، لكن اجتماعها يكسبها قوة / انظر ص ٢٦٤ من نفس الكتاب

ولا يعني هذا أن الإسلام يحجر على الناس عقولهم أو يحبس أفكارهم، بل إن هذا النهي جاء صوناً للعقل البشري المحدود، وعصمة له من التردي في متاهات وضلالات لاجدوى من ورائها، فالأمور الغيبية -خاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية- أكبر من ان تحيط بها العقول، أو تدرك حقيقتها الأفكار البشرية، وكم هناك من قوى نستخدمها في حياتنا اليومية تعجز العقول عن معرفة حقيقتها كالكهرباء، والقوى المغناطيسية، فإذا كان هذا الشأن في الأمور التي نلمسها فكيف بذات الله تبارك وتعالى؟.

لهذا عندما خاض بعض العلماء في مثل هذه الأمور- نتيجة لتأثرهم بالكتب الفلسفية -ضلوا الطريق، وساروا في متاهات لا نهاية لها، وترتب على ذلك ظهور الفتن، وتناحر الفرق والجماعات بسبب تلك الأفكار الدخيلة على الإسلام.

آثار الترجمة:

لا شك أن الترجمة أسهمت في تقدم الحركة العلمية، بل ان كثيراً من العلوم كعلم الطب والهندسة والرياضيات وغير ذلك من العلوم ازدهرت بسبب الترجمة، حيث اطلع العلماء المسلمون على المؤلفات العلمية عند غيرهم، واستفادوا من مجهودات الأمم السابقة، فصححوا الأخطاء فيها، وكملوا الناقص منها، بالاضافة الى العلوم التي ابتكروها، لهذا فقد بلغت العلوم في ذلك الوقت عصرها الذهبي، لأنها كانت مزيجاً من النقل والابتكار، ولا شك أن هذه الفائدة حصلت بسبب ترجمة الكتب العلمية، كالطب والهندسة والكيمياء وغيرها من كتب العلماء، ككتب جالينوس و أبقراط وغيرهم.

ولكن كان بجانب ذلك تتم ترجمة الكتب الفلسفية، ككتب أرسطو وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة، والتي كان لها جانب سلبي في سير الحركة العلمية، حيث نشأ الفلاسفة وأخضعوا كل شيء لعقولهم، حتى الأمور الغيبية، وأخذوا يقيمون الأدلة والحجج والبراهين الفلسفية لتأييد مذهبهم.

ويمكن ذكر الجانب السلبي للترجمة في الآتي:

أ. كان جميع المترجمين باستثناء أفراد معدودين من غير المسلمين، وكان أغلبهم من النصارى، أمثال حنين بن اسحاق، و يوحنا بن ماسويه، وكان بعضهم يستلم مركزاً اداريأ هاماً كرئاسة

بيت الحكمة، مثل يوحنا بن ماسو يه «حيث جعله المأمون سنة ٢١٥هـ رئيساً لبيت الحكمة»[1].

وكانوا أثناء ترجمتهم للكتب اليونانية وغيرها ينقلون الأمور المتعلقة بالالهيات وفق عقائدهم، وفي ذلك يقول الاستاذ «فالزر ر يتشارد» : «وكانوا ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين، كالمنطق والطب والر ياضيات، أما الالهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والعقائد المسيحية»[2].

و يز يدنا الاستاذ «ت. ج. ديبور» قائلاً : «غير أن مطابقة الترجمة للأصل تبدوا في كتب المنطق والعلم الطبيعي أكثر مما تبدوا في كتب الاخلاق أو ما بعد الطبيعة فقد حذفوا كثيراً من غوامض هذين العلمين ... واحلوا عناصر نصرانية محل كثير مما هو وثني، فبطرس و يوحنا تظهر أحياناً بدل سقراط وأفلاطون وأرسطو»[3].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ان هناك كثيراً من الأفكار والآراء صبغوها بالصبغة النصرانية، وأدخلوها في الكتب المترجمة، وفي ذلك يضيف «بور» قائلاً : «ثم نرى أفكاراً كفكرة الدنيا أو الخلود أو الخطيئة تصطبغ بالصبغة النصرانية»[4].

ب. تأثر بعض المسلمين بآراء الفلاسفة، حيث عكفوا على دراسة كتبهم، واستقوا منها آراءهم وأفكارهم التي تختلف مع العقيدة والشر يعة الاسلامية، و يصف «ابن خلدون» تلك الفترة قائلاً : «ثم كان في الاسلام من أخذ بتلك المذاهب ـ الفلسفية ـ واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل الا في القليل، وذلك ان كتب اولئك المتقدمين، لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العر بي تصفحها كثير من أهل الملة، وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفار يعها»[5].

---

(١) الفلسفة في الاسلام دراسة ونقد / د. عرفان عبد الحميد / ص ٨٩

(٢) انظر تفصيلاً في كتاب الفلسفة الاسلامية ومركزها في التفكير الانساني / ترجمة الاستاذ محمد توفيق حسين.

(٣) انظر تفصيلاً — تار يخ الفلسفة في الاسلام / ترجمة محمد عبد الهادي ابور يدة / ص ٢٦

(٤) المصدر السابق / ص ٢٦

(٥) المقدمة / ص ٤٨٣

ج. تأثر بعض الفرق الاسلامية بمذاهب الفلاسفة والأخذ بكثير من آرائهم لتأييد مذهبهم، فمثلاً المعتزلة كانوا يقولون بنفي الصفات، وهذا القول هو قول الفلاسفة، حيث ينفون الصفات عن الله عز وجل، فهذا «ابن الايادي» وهو من رجال المعتزلة يزعم : «أن الباري سبحانه عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة»[١].

وهذا «ابو الهذيل»[٢] وهو من كبار المعتزلة، يقول في صفات الله : «أقول ان له علماً هو هو وانه عالم بعلم هو هو»[٣].

فنفى صفات الله عز وجل من حيث أوهم أنه أثبتها، وهذا القول «أخذه أبو الهذيل عن أرسطو طاليس، وذلك ان أرسطوطاليس قال في بعض كتبه : ان الباريء علم كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله بصر كله ... وقال : وقدرته هي هو»[٤].

د. أصبحت الكتب الفلسفية المترجمة، مرتعاً خصباً لكل من أراد أن يسيء للاسلام، حيث ظهرت آراء وأفكار في الدين الاسلامي ممزوجه بآراء الفلاسفة، فهذا «النظام»[٥] «دوّن مذاهب الثنوية و بدع الفلاسفة وشبه الملاحدة في دين الإسلام»[٦].

وها هي جماعة **اخوان الصفا** وانتي نشأت في القرن الرابع الهجري في البصرة، خلطت كثيراً من بدع الفلاسفة وأفكارهم في الشريعة الاسلامية، وزعموا أن الشريعة الاسلامية دنست واختلطت بالضلالات والجهالات، ولا بد من تطهيرها بالفلسفة حيث قالوا : «ان الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها

---

(١) مقالات الاسلاميين / الاشعري / ج ٢ — ص ١٧٧

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي — مولى عبد القيس — «ابو الهذيل العلاف» من ائمة المعتزلة، ولد بالبصرة واشتهر بعلم الكلام توفي سنة ٢٣٥هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ٣٥٥

(٣) مقالات الاسلاميين / ج ٢ — ص ١٧٨

(٤) المصدر السابق / ج ٢ — ص ١٧٨

(٥) ابراهيم بن سيار بن هانىء البصري، ابو اسحاق النظام، من ائمة المعتزلة، توفي عام ٢٣١هـ / الاعلام / ج ١ — ص ٣٦

(٦) الفرق بين الفرق / ص ١٣١

حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال»[1].

هـ. ونتيجة لتأثر هذه الفرق بالفلسفة، فقد أخذت تحكّم العقل في جميع المسائل بما في ذلك **المسائل الغيبية، حتى وصل بهم الأمر الى تقديم العقل على النقل، ومثال ذلك قولهم في القرآن بأنه مخلوق**[2] وفي ذلك يقول أحد علمائهم: «أما مذهبنا في ذلك، فهو أن القرآن كلام الله تعالى، ووحيه، وهو مخلوق محدث»[3].

وبالاضافة الى ما سبق، فقد اعتنق مذهب المعتزلة كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان من بينهم بعض الخلفاء أمثال المأمون والمعتصم، وتأثروا بهذه الآراء الفلسفية العقلية ومن بينها القول بخلق القرآن، وأخذوا في سبيل نشر هذه الآراء، يضطهدون العلماء والناس الذين يخالفونهم الرأي، كما حدث للامام «احمد بن حنبل»[4] وغيره من أئمة السلف، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «وعظم ضرر هذه البدعة ـ القول بخلق القرآن ـ ولقنها بعض الخلفاء عن أئمتهم، فحمل الناس عليها وخالفهم أئمة السلف، فاستحل لخلافهم أبشار[5] كثير منهم ودماءهم»[6].

ويزيد الأشعري في ذلك قائلاً: «ظل المعتزلة يفتلون للمأمون في الذروة والغارب، حتى أخذ الناس في عهده بالقول بخلق القرآن، وأرسل بذلك منشوراً لولاة الامصار، يأمرهم فيه بتنفيذ ذلك، وقد جاء هذا المنشور مصر في جمادى الثانية من سنة ٢١٨هـ، فامتحن والي مصر قاضيها

---

(١) انظر تفصيلاً / اخوان الصفا / عمر الدسوقي — ص ١١٢

(٢) هذا القول مخالف لصريح القرآن، حيث ذُكِرَ ان القرآن هو كلام الله، قال تعالى: (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله...) التوبة — ٦ . ومعلوم ان كلام الله غير مخلوق حيث هو صفة من صفاته الازلية.

(٣) شرح الاصول الخمسة / القاضي عبد الجبار / ص ٥٢٨

(٤) احمد بن محمد بن حنبل، ابو عبد الله الشيباني، احد الائمة الاربعة، وامام المذهب الحنبلي، صنف المسند، توفي عام ٢٤١هـ / الاعلام / ج ١ — ص ١٩٢

(٥) ابشار: جمع بشرة، اي استحل ضربهم

(٦) المقدمة / ص ٤٢٨ — ٤٢٩

حتى قال بخلق القرآن، وامتحن الشهود والمحدثين، وما زال أمر هذه الفتنة يتطاير في زمن المأمون وبعده، حتى لم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ بالمحنة»[1].

وهذه المحنة والفتنة التي تطاير أمرها زمن المأمون، ما كانت لتحدث لولا دخول الفلسفة والافكار الدخيلة على تعاليم الاسلام، نتيجة لترجمة تلك الكتب الفلسفية، والتي تأثر بها بعض الولاة الذين قاموا باضطهاد العلماء لكي يوافقوهم الرأي على بعض الأفكار المخالفة لتعاليم الاسلام.

والتاريخ الاسلامي يشهد بانه لم تحدث محنة لأي من العلماء قبل هذا التاريخ.

وهكذا يتضح -من خلال البحث- الجانب السلبي للترجمة، والذي كان من أهم أسبابه ترجمة تلك الكتب الفلسفية المتعلقة بالالهيات، والاخلاق، والتي كان المسلمون في غنىً عنها سيما وبين أيديهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وبالمقابل فقد كان لها جانب إيجابي، أدى الى ازدهار العلوم، وتقدم سير الحركة العلمية، حيث استفاد العلماء المسلمون من تلك الكتب العلمية المترجمة، والتي مكنتهم من الاطلاع على حضارات غيرهم، ومعرفة ما عندهم من معلومات، فتفتحت عقولهم، وتوسعت آفاقهم، حتى تمكنوا من الابداع في شتى العلوم، سواء بالاضافة الى العلوم التي ترجمت، أو بتكملة الناقص منها، أو بتصحيح الخطأ فيها، أو بابتكار أشياء جديدة عن طريق التجارب، وهذا ما سيتم بيانه -باذن الله عز وجل- في الفصل القادم.

---

(١) مقالات الاسلاميين / ج ١ — ص ٢٢

الفصل الثالث

مجالات الابداع في العلوم
عند المسلمين

هناك شبهة ترد على ألسنة بعضهم، وهي أن المسلمين لم يز يدوا على أن نقلوا وترجموا الحضارة من بلاد الشرق إلى بلاد الغرب! ولم يكن لهم مجال الإبداع في العلوم، وحضارتهم كلها مستمدة من مصادر يونانية وهندية ورومانية!.

ومن ذلك ما قاله أحد المستشرقين، حيث يزعم: «أن الطب مستمد من جالينوس، وأما علم الر ياضة والفلك فهما من مصادر يونانية وهندية»[1].

أما بالنسبة للعلوم التي ابتكرها علماء المسلمين فهي في نظره جاءت نتيجة عرضية حيث يقول: «وأصالتهم في الكيمياء إنما جاءت نتيجة عرضية»[2].

ثم يتهم العقلية الإسلامية بالعجز عن الابتكار فيقول: «رغم عجزهم في النشاط العقلي الضروري للابتكار»[3].

ثم يتطرق إلى الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية، زاعماً أنها لا تز يد على كونها ناقلة للمعلومات فقط! حيث يقول: «فقد كانت المدنية الإسلامية تدعو إلى الإعجاب في الفنون في كثير من الأساليب الفنية، لكنها لم تبيِّن شيئاً من القدرة على التفكير التأملي المستقل في الأمور النظر ية، فأهميتها التي لا ينبغي أن يقلل من شأنها هي أهمية الناقل»[4].

---

(١) تار يخ الفلسفة الغر بية / برتراند رسل / ترجمة د. زكي محمود — ج ٢ — ص ١٩٦

(٢) المصدر السابق /ج ٢ — ص ١٩٦

(٣) المصدر السابق /ج ٢ — ص ١٩٦

(٤) المصدر السابق /ج ٢ — ص ١٩٦

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فهناك بعض المستشرقين بزعم؛ انه حتى العادات والتقاليد والاساليب والطرق التي كانت متبعة في عهد الدولة الاسلامية كانت مقتبسة من الحضارة الرومانية، ومن ذلك ما كتبه «هاملتون جب» في كتابه «دراسات في حضارة الاسلام» حيث يقول: «ان الامويين نزعوا نزوعاً متزايداً الى اقتباس المآثر والعادات البيزنطية»[1].

هذه الشبهات وغيرها، التي يلقيها اعداء الاسلام، تهدف بلا شك الى طمس معالم تاريخ الحضارة الاسلامية، والدور الذي قام به العلماء المسلمون في النهوض بالحركة العلمية، كما تهدف الى ازالة تاريخ مجالات الابداع والابتكار التي قام بها العلماء المسلمون في شتى أنواع العلوم، في ذلك العصر.

وللرد على هؤلاء وغيرهم، يستحسن ان تكون الاجابة من قبل المستشرقين أنفسهم.

تقول المستشرقة «زيغريد هونكه»: «لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة أو تحقيق... ولعل ابلغ برهان على هذه الصفة التي كانت تقضي بألا يؤمنوا حقاً وصواباً إلا بالأشياء التي تثبت صحتها التجارب وتدعمها، ما نراه من عناوين لمخطوطات كانت تسعى الى نقد كتب ارسطو العظيم نفسه او بطليموس، والتعليق عليها، ومن أمثلة ذلك ـحول ما تجاوزه ثيونـ في حسابات كسوف الشمس والقمر، أو في ـأسباب فروقات زيجة بطليموس عن الزيجة الجرية التي حققها ثابت بن قرة[2]»[3].

ثم تضيف قائلة: «لقد طور العرب بتجاربهم وأبحاثهم العلمية ما أخذوه من مادة خامة عن الاغريق، وشكلوه تشكيلاً جديداً، **فالعرب**[4] في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي

---

(١) دراسات في حضارة الاسلام / ترجمة د. احسان عباس وآخرون — ص ٦٥

(٢) ثابت بن قرة بن زهرون الحراني، اشتغل بالفلسفة والطب، وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب الهندسة، توفي عام ٢٨٨هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٨١

(٣) انظر — بتصرف — شمس العرب تسطع على الغرب / ص ١٤٣

(٤) هناك بعض المستشرقين ينسبون الحضارة الاسلامية الى العرب، لان الحضارة كانت بلغتهم، وهناك البعض ينسب ذلك الى العرب بهدف نفي اي صلة للاسلام بالحضارة.

الحق القائم على التجربة»[١].

ثم تتطرق الى بداية البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة قائلة : «ولم يبدأ البحث العلمي الحق، القائم على الملاحظة والتجربة الا عند العرب، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات الى الكليات، واصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين، وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل»[٢].

ثم تتحدث عن الطريقة التي كان يتبعها العلماء المسلمون -في ذلك العصر- للوصول الى النتائج العلمية فتقول : «وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصى، اختبر العرب النظريات والقواعد، والآراء العلمية مراراً وتكراراً، فأثبتوا صحة الصحيح منها، وعدلوا الخطأ في بعضها. ووضعوا بديلاً للخاطيء منها»[٣].

بهذه الروح العلمية المشرفة؛ التي تقوم على التجربة والملاحظة، كان العلماء المسلمون يسيرون في بحوثهم وتجاربهم، لهذا نجد ان -شيخ الاسلام ابن تيمية[٤]- قد أولى التجربة والاستقراء أهمية كبيرة من اجل الوصول الى الحقيقة حيث قال : «ان الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة الى اليقين»[٥].

كما يلاحظ ان الكثير من علماء المسلمين، آمن بفكرة التخصص في العلوم، من أجل التعمق والتوسع في ذلك الفرع الذي وقع الأختيار عليه، قال «ابن قتيبة»[٦] : «من أراد ان يكون عالماً

---

(١) المصدر السابق / ص ٤٠١

(٢) المصدر السابق / ص ٤٠١

(٣) المصدر السابق / ص ٤٠١

(٤) احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الدمشقي الحنبلي، شيخ الاسلام، له مصنفات كثيرة منها «الفتاوى» ومجموع الرسائل، توفي سنة ٧٢٨هـ / الاعلام / ج ١ — ص ١٤٠

(٥) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / ص ٤٣٦

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من ائمة الأدب ومن المصنفين المكثرين، ومن كتبه «عيون الاخبار والامامة والسياسة» ولد ببغداد وسكن الكوفة، وتولى القضاء، توفي عام ٢٧٦هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٢٨٠

فليطلب فناً واحداً»[١].

لأجل هذا فقد نبغ الكثير من العلماء المسلمين في مختلف انواع العلوم، وابدعوا في شتى المجالات.

ففي مجال **الصناعة** مثلاً، يلاحظ انهم نهضوا بها نهضة عظيمة، حيث كانت الصناعات -في ذلك الوقت- في غاية الجودة والاتقان، وشملت انواعاً شتى، وانتشرت المصانع في طول البلاد وعرضها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد كان في الاندلس وحدها مئات المصانع لصناعة النسيج، حيث «كان في مدينة المرية ثمانمائة مصنع لنسج الحرير الفاخر»[٢].

كما كانت هناك مصانع اخرى لصناعة الزجاج، والاواني الخزفية، والحرير، والورق، واهتموا بصناعة الورق غاية الاهتمام، لما له من أهمية كبيرة في ازدهار الحركة العلمية، ونشر حركة التأليف، حيث أسس اول مصنع لصناعة الورق ببغداد سنة ٧٩٤م، وكان الورق في غاية الجودة والاتقان، وفي ذلك يقول «درابر» فيما ينقله عنه «محمد فريد وجدي» : «وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض، وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب»[٣].

و يصف «ولز» الصناعة في ذلك الوقت قائلاً : «وهم -أي المسلمين- في الصناعة قد بزوا العالم في تنوع الصنف وجمال التصميم واتقان الصنعة، كانوا يشتغلون في جميع المعادن، الذهب منها والفضة والنحاس، والبرنز والحديد والصلب، ولم يفقهم أحد أبد الدهر في صناعة المنسوجات، وصنعوا زجاجاً وخزفاً من أرق الأنواع وأميزها، وكانوا يعرفون أسرار الصباغة، وقد صنعوا الورق، وكانت لديهم طرائق عديدة لتهيئة الجلود، وكان عملهم شهيراً في كافة أرجاء أوروبا، وأنتجوا الأصباغ والعطور، والأشربة، وصنعوا السكر من القصب»[٤].

---

(١) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى / ص ٤٣٦

(٢) الحياة العلمية في الدولة الاسلامية / ص ١٤٦

(٣) دائرة معارف القرن العشرين / ج ٦ — ص ٦١٠

(٤) معالم تاريخ الانسانية / ج ٣ - ص ٦٦٦.

هذا في مجال الصناعة، أما في مجال **الزراعة** ، فقد كانت تسير وفق الطرق العلمية، واستخدموا أفضل الوسائل العلمية في سبيل النهوض بها ، لهذا فقد ازدهرت في ذلك الوقت ازدهاراً عظيماً، وقد ألفوا -بجانب تجاربهم العملية- كتباً، ذكروا فيها خلاصة تجاربهم، والوسائل التي تساعد على خصوبة الارض، وزيادة الثمر، ومثال ذلك كتاب «الفلاحة» «لابن العوام»[1]، الذي ضمنه كثيراً من تجاربه.

ويصف «ولز» الزراعة في ذلك الوقت قائلاً : «ومارسوا الزراعة بطريقة علمية، وكانت لديهم طرائق جيدة للري، وكانوا يعرفون قيمة المخصبات، وقد كيفوا محصولاتهم حسب الارض، وتفوقوا في فلاحة البساتين، وعرفوا كيف يطعمون النباتات، وكيف ينتجون أضر جديدة من الفواكه والازهار ... وكتبوا رسائل علمية في الزراعة»[2].

ولقد كان للعلماء المسلمين، مجالات علمية رفيعة في شتى العلوم والمعرفة، من طب وهندسة وكيمياء وزراعة وصيدلة وغير ذلك من العلوم.

كما كان لهم مؤلفات عظيمة في شتى العلوم، وليس من اليسر الاحاطة بتلك الانجازات الضخمة التي قام بها العلماء، لهذا سيتم ذكر بعض تلك الأعمال؛ التي كان لها أثر كبير في خدمة الحضارة الانسانية، حتى هذا الوقت!، ولا عجب في ذلك، لانه لولا تلك الانجازات، لتأخرت الحضارة التي نحياها اليوم، عدة قرون.

١ ــ علم الطب :

تبوأ الطب مكانة رفيعة، في عهد الحضارة الاسلامية، حيث سار به العلماء شوطاً كبيراً، فوضعوا له اصولاً، ومناهج نظرية، وألفوا فيه كتباً كثيرة، بجانب التجارب العملية التي كانت تدرس في المستشفيات، حيث كان طلاب الطب يدخلون على المرضى، ويحتكون بهم، ويقابلون ما درسوه نظرياً بما يشاهدونه بأم أعينهم، لهذا تخرجت طبقة من الاطباء، لم يشهد لها العالم مثيلاً في ذلك العصر.

---

(١) يحيى بن محمد بن احمد الشهير بابن العوام، عالم اندلسي، اشتهر بكتابه [الفلاحة الاندلسية]. عام ٥٨٠هـ / الاعلام / ج ٩ — ص ٢٠٨

(٢) المصدر السابق / ص ٦٦٦

والى جانب ذلك، فقد توافرت المستشفيات التي كانت بمثابة مدارس عالية، للطب، حيث كان الطلاب يتلقون فيها معلوماتهم، و يستمعون الى شرح اساتذتهم الكبار، وبجانب ذلك فقد كانت المستشفيات تتوافر فيها شروط الصحة والكمال، و يتم انشاؤها على أسس علمية «يروى انه عندما اراد السلطان ـعضد الدولة[١]ـ ان يبني مستشفى جديداً حديثاً في مدينة بغداد، أوكل الى الطبيب الذائع الشهرة ـالرازي[٢]ـ بالبحث عن أفضل مكان له، فكان ان اوصى الرازي خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم ... في كل أطراف بغداد، ثم انتظر أربعاً وعشرين ساعة، وانتقى المكان الذي ظل فيه اللحم أحسن حالة»[٣].

وأما السلطان «صلاح الدين[٤]» في القاهرة، فلقد اختار احد قصوره الفخمة، وحوّله الى مستشفى ضخم كبير، المستشفى الناصري، وانتقى في اختياره ذاك، قصراً بعيداً عن الضوضاء»[٥].

وكان الأطباء، يجرون التجارب، و يصفون العلاج، و يفحصون المرضى، و يضعون قواعد لفحص المرضى، ومن ذلك ما وصفه الطبيب «بن رضوان[٦]» المتوفى سنة ٤٥٣هـ حيث قال: «تعرف العيوب، هو ان تنظر إلى هيئة الأعضاء، والسحنة والمزاج، وملمس البشرة، وتتفقد افعال الاعضاء الباطنة والظاهرة، مثل ان تنادي به من مكان بعيد، فتعتبر بذلك حال سمعه، وان تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة، ولسانه بجودة الكلام، وقوته بشيل الثقيل والمسك والضبط والمشي وانحاء ذلك، مثل ان تنظر بمشيه مقبلاً ومدبراً، و يؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد

---

(١) عضد الدولة البويهي، احد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية في العراق توفي سنة ٣٧٢هـ / الاعلام /ج ٥ — ص ٣٦٤

(٢) محمد بن زكريا الرازي، من الائمة في صناعة الطب، له تصانيف كثيرة منها «الجدري والحصبة، المرشد، وخواص الأشياء» توفي سنة ٣١١هـ / الاعلام /ج ٦ — ص ٣٦٤

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٢٩

(٤) يوسف بن ايوب بن شاذي، صلاح الدين الأيوبي، ملك مصر واحد القواد العظام الذين وقفوا امام الحملات الصليبية، توفي عام ٥٨٩هـ / الاعلام /ج ٩ — ص ٢٩١

(٥) المصدر السابق/ص ٢٢٩

(٦) علي بن رضوان بن علي بن جعفر، طبيب، وكان رئيساً للأطباء في عصره، له عدة تصانيف منها «كفاية الطبيب» توفي عام ٤٥٣هـ / الاعلام /ج ٥ — ص ١٠٠

نصب رجليه وصفها، وتعتبر بذلك حال أحشائه، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض ... ومزاج كبده بالبول، وحال الاخلاط، وتعتبر عقله بان يسأل عن أشياء، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشياء، وأخلاقه الى ما تميل، بان تعتبر كل واحد منها بما يحركه او يسكنه.

أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس، واما فيما يتعرف بالاستدلال فاستدل عليه بالعلامات الخاصة، واما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسألة، حتى تعتبر كل واحد من العيوب، فتعرف هل هو عيب حاضر، أو كان متوقعاً، ام الحال حال صحة وسلامة»[1].

والمتأمل في وصف ابن رضوان، يخيل اليه بأنه يقرأ لأحد اساتذة الطب في العصر الحديث حيث تناول في وصفه جميع اعضاء الجسم، وسجل ملاحظاته والطرق المتبعة في فحص كل عضو سواء كان ظاهر ياً ام باطنياً.

وكما وفقوا في الطب بشكل عام، فقد وفقوا في فن الجراحة بشكل خاص، وبلغوا فيها شأواً عظيماً، فهذا الجراح الأندلسي الكبير «ابو القاسم الزهراوي[2]» المتوفى سنة ٤٢٧هـ، مهر في فن الجراحة واجراء العمليات، وأدخل تجديدات كثيرة، وكان يجري تجاربه على الحيوان قبل اجرائها على الانسان، فاذا نجحت تجربته واصل عمله، وبجانب ذلك، ألف كتباً كثيرة من أشهرها كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» وضح فيه الخطوات التي يجب على الجراح اتباعها قبل ان يستخدم مشرطه، كما رسم في كتابه، الألات الجراحية، ووصفها وصفاً دقيقاً، وشرح كل خطوة يخطوها الطبيب اثناء اجراء العملية.

ونتيجة للتجارب العملية، والابحاث القيمة، التي كان يجريها الاطباء، فقد اكتشفوا اخطاءً كثيرة لدى الاطباء القدامى، فهذا «ابن سينا»[3] الطبيب المشهور -نتيجة تجاربه الكثيرة- عارض قول القدامى، والذي يرى أن «الانسجة الطرية كالدماغ، والانسجة القاسية كالعظم لا تلتهب بتاتاً»[4] وقال عن هذه النظرية انها خاطئة.

---

(١) عيون الانباء / ابن ابي اصيبعة / ص ٥٦٥.

(٢) خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي، طبيب، واشهر من الف في فن الجراحة، توفي عام ٤٢٧هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٣٥٨

(٣) الحسين بن عبد الله بن سينا، طبيب، له عدة تصانيف منها «القانون، والشفا» توفي عام ٤٢٨هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٢٦١

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٧١

كما تناول في كتابه القيم «القانون في الطب» وصفاً للاعراض المرضية، وكيفية علاجها، ومن ذلك ما ذكره حول «ظفرة العين» ومما قاله: «هي ز يادة من الملتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين، يبتدىء في أكثر الأمر من الموق، ويجري دائماً على الملتحمة، وربما غشت القر ينة ونفذت عليها حتى تغطي الثقبة، ومنها ما هو أصلب، ومنها ما هو الين، وقد يكون اصفر اللون، وقد يكون احمر اللون وقد يكون كمد اللون، ومن الظفرة ما جاورته الملتحمة مجاورة ملتزمه، وهو ينكشط بسرعة، و بادنى تعليق، ومنه ما جاورته مجاورة اتحاد، ويحتاج الى سلخ»[1].

و بعد أن يصف اعراض المرض، يتحدث عن كيفية علاجه فيقول: «افضل علاجه الكشط بالحديد، وخصوصاً لما لان منه واما الصلب، فان كاشطه اذا لم يرفق ادى الى ضرر، ويجب أن يشال بالصنارات، فان تعلق سهل قرضه، وان امتنع سلخ بشفرة او ابر يشم ينفذ تحته بابرة، او باصل ر يشة لطيفة، وانما يحتاج الى ذلك في موضع او موضعين فان لم يغن احتيج الى سلخ لطيف بحديد غير حاد، ويجب ان تستأصل ما أمكن من غير تعرض للحمة الموق، فيعرض الدمعة واللون يفرق بينهما، واذا قطعت الظفرة قطر في العين كمون ممضوع بملح يتلافى لذعه بصفرة البيض ودهن الورد والبنفسج»[2].

والى جانب ذلك ـونتيجة للتجارب المتعددةـ فقد توصلوا الى معرفة الاسباب التي تؤدي الى المرض، كالعدوى، ومن ذلك ما قاله الطبيب «ابن الخطيمة»: «ان نتائج تجاربي الطو يلة تشير الى ان من خالط أحد المصابين بمرض سار أو لبس من ثيابه، ابتلي مباشرة بالداء ووقع فر يسة عوارضه نفسها، واذا ما بصق العليل الاول دماً بصق الثاني أيضاً»[3].

كما توصلوا ـنتيجة مهارتهم الفائقة في علم التشر يحـ الى معرفة خصائص الاعضاء وعلاقة بعضها ببعض، ولعل ما ذكره «الرازي» في كتابه «الحاوي في الطب» يدلل على صحة ما نقول، حيث يقول: «... ورجل آخر سقط عن دابته، فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه، فلما علمت انه سقط على آخر فقار الرقبة، علمت ان مخرج العصب الذي بعد الفقارة السابعة اصابها ورم في أول مخرجها، لأني كنت اعلم من التشر يح، ان الجزء الاسفل من أجزاء العصبة

---

(١) القانون في الطب /ج ٢ — ص ١٢٧

(٢) المصدر السابق /ج ٢ — ص ١٢٧

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٧٦

الأخيرة من العصب الثابت من العنق، يصير الى الأصبعين الخنصر والبنصر، و يتفرق في الجلد المحيط بهما، وفي النصف من جلد الوسطى»[١].

وجدير بالذكر، أن هذا النشاط العلمي العظيم لم يقتصر على الرجال فحسب، بل شمل النساء أيضاً، فقد اشتهر في علم الطب عدد غير قليل من النساء، في الاندلس على سبيل المثال اشتهر من الطبيبات، «ام الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي» كما اشتهرت بالطب كذلك «اخت الحفيد بن زهر وابنتها، فكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور، ولا يقبل لمداواة اهل المنصور سواهما»[٢].

٢ ــ علم الر ياضيات:

كان للعلماء المسلمين باع طو يل في تطو ير علم الر ياضيات، من جبر وحساب و... غير ذلك، حيث نقلوا الأرقام الهندية «١،٢،٣،» واستعملوها بدلاً من حساب الجمل الذي كان سائداً في ذلك الوقت.

كما استعملوا الكسر العشري والصفر، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد ألفوا كتباً قيمة، ترجم الغر بيون بعضها، واستفادوا منها، وكان لها كبير الأثر في تقدم علم الر ياضيات.

ومن ذلك ما ألفه «محمد بن موسى الخوارزمي» والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الجبر، حيث ألف كتاب الجمع والتفر يق «الطرح» وكتاب «حساب الجبر والمقابلة» وغيرها من الكتب القيمة، والتي وضع فيها أصولاً تحليلية وهندسية للمعادلات.

وفي ذلك يقول «ول ديوارنت» : «و يدين علم الجبر الى العرب، الذين ارتقوا بهذا العلم الكاشف للخبايا، الحلاّل للمعضلات، وأبرز الشخصيات في هذا الميدان العلمي، هي شخصية محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي، الذي كتب رسائل قيمة في شتى العلوم، وظلت مؤلفاته قروناً كثيرة، هي المعمول بها في جميع البلاد الممتده من قرطبة الى شنغان في الصين، وهو الذي وضع اقدم الجداول المعروفة في حساب المثلثات»[٣].

---

(١) الحاوي في الطب /ج ١ ــ ص ٥ ــ ٦

(٢) انظر ــ بتصرف ــ عيون الانباء / ص ٥٢٤

(٣) انظر ــ بتصرف ــ قصة الحضارة / ج ١٣ ص ١٨١.

كما انهم حلّوا كثيراً من المعضلات الحسابية، وطوروا فن الحساب، وادخلوا تحسينات على حساب المثلثات، يقول «ولز» : «وقد ادخلوا تحسينات على حساب المثلثات الدائري، مخترعين جيب الزاو ية، وظل الزاو ية، وظل تمام الزاو ية»[١].

أما علم الهندسة، فقد طوروا نظر يات اقليدس، وأضافوا اليها اضافات هامة، وطبقوا تلك النظر يات، على الأبنية والمشار يع الصناعية، ـوالتي يشعر المرء من خلالهاـ مدى تفوقهم في الهندسة، والذوق الرفيع الذي وصل اليه الفن الهندسي ـفي ذلك العصرـ ومن ذلك، البنايات العجيبة التي لا تزال آثارها قائمة حتى الآن، مثل قصر الحمراء في غرناطة، وقصر العز يز ية في صقلية.

وعلاوة على ما سبق، فقد برعوا في **علم المساحة**، فوضعوا قواعد ونظر يات اساسية من أجل الوصول الى معرفة قياس المسافات، وتحديد المساحات، ومن ذلك ما ذكره «ابن الهيثم» في كتابه «مجموع الرسائل» اذ يقول: «فأما الكرة، فان الطر يق الى مساحتها هو ان تمسح اعظم دائرة تقع فيها، ثم تضرب مساحة الدائرة في ثلثي قطر الدائرة، الذي هو قطر الكرة، فما يحصل من ذلك فهو مساحة الكرة»[٢].

٣ـ علم الفلك :

اهتم العلماء المسلمون اهتماماً كبيراً بعلم الفلك، وساهموا في تطو يره، فأجروا البحوث القيمة، وطبقوها في حياتهم العملية، حيث رصدوا النجوم، وحركة دوران الشمس، ودرسوا ظاهرة الكسوف والخسوف، كما بنوا المراصد الجو ية، وأشهرها مرصد المأمون ببغداد ودمشق، ومرصد عضد الدولة ببغداد، و بالاضافة الى ذلك، فقد ألفوا كتباً كثيرة في علم الفلك وضعوا فيها خلاصة أفكارهم وتجاربهم، ومن ذلك ما ألفه «محمد بن موسى بن شاكر» حيث ألف كتباً في المساحات الكرو ية، وكذلك ألف «عبد الرحمن الصوفي[٣]» أبحاثاً في الكواكب، منها «الكواكب

---

(١) انظر تفصيلاً / معالم تار يخ الانسانية / ج ٣ — ص ٦٦٥

(٢) مجموع الرسائل / قول الحسن في المساحة / ص ٢

(٣) عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي، عالم بالفلك اتصل بعضد الدولة، والف كتباً منها «الكواكب الثابتة، وارجوزة في الفلك» توفي عام ٣٧٦هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ٩٣

الثابتة» وكتاب «الارجوزة في الكواكب الثابتة» وكذلك ألف «محمد البتاني[1]» مؤلفاً في علم النجوم ترجم الى اللغة اللاتينية تحت عنوان «كتاب محمد البتاني في علم النجوم».

كما كتب «ابن الهيثم» عدة رسائل في علم الفلك، تناول فيها الحديث عن الأجرام السماوية، وظاهرة الكسوف والخسوف، ومن ذلك مما ذكره حول كيفية مسار ضوء القمر، اذ يقول: «فاذا اردنا ان نعتبر خاصة ضوء القمر، فانا نتخذ مسطرة، مقتدرة الطول والعرض والسمك، صحيحة الاستقامة مستوية السطوح، ونقيم على طرفيها هدفين متوازيين مقتدري الطولين متساويي الطول والعرض عرضهما مساو لعرض المسطرة ... الخ»[2].

ويصف «سارلتون» أهمية تلك المؤلفات قائلا: «ان بحوث العرب الفلكية كانت مفيدة جداً اذ انها هي التي مهدت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى التي ازدهرت بكبلر وكوبرنيق»[3].

والى جانب ذلك، فقد صححوا كثيراً من النظريات اليونانية الشائعة في ذلك العصر، مثل النظرية المتعلقة بالضوء والابصار، حيث غيروا الفرض اليوناني الذي يقول: ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئي. وقالوا بخلاف ذلك، وهو ان الابصار يحصل بوصول الاشعاع من الجسم المرئي الى العين.

ولا شك أن هذا التصحيح ما كان ليحدث، لولا تلك التجارب العملية التي كانوا يقومون بها.

٤ ـ علم الكيمياء :

حظيت الكيمياء ـ كسائر العلوم ـ بالعناية والاهتمام من قبل العلماء المسلمين، واهتموا بها غاية الاهتمام، وأضافوا الى المعارف الكيميائية ـ في ذلك العصر ـ الشيء الكثير، حيث اكتشفوا اهم أسس الكيمياء، وهو التقطير، كما اجروا عمليات التبخر والترشيح والتصعيد، كما حضروا المركبات المختلفة، كحامض الكبريتيك، والنيتريك، وبالاضافة الى ذلك، فقد ابتكروا مواد

---

(١) محمد بن جابر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني، فلكي ومهندس، اشتغل برصد الكواكب، ترك عدة مصنفات منها «الزيج» توفي عام ٣١٧هـ / الاعلام / ج ٦ — ص ٢٩٢

(٢) للاستزادة انظر مجموع الرسائل / مقالته في ضوء القمر/ ص ١٢، ١٣

(٣) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه / ص ١٠٣

كيميائية، في غاية الجودة والاتقان، استخدموها في صناعة المعادن، حيث حولها من معادن خسيسة الى نفيسة، كما استخدموها في صناعة الصيدلة، والادو ية، والعقاقير، ودباغة الجلود، والتخدير وغير ذلك.

كما ألفوا في ذلك كتباً كثيرة، ترجم منها عدد غير قليل الى اللاتينية، ومن ذلك، كتاب «الزئبق الشرقي» وكتاب «الرحمة» التي الفها «جابر بن حيان»[١].

كما أقاموا المعامل، لاجراء التجارب ووضعوا أصولاً لاجراء التجارب، وورد ذكرها في مؤلفاتهم، ومن ذلك، ما ذكره رائد علم الكيمياء في ذلك العصر-جابر بن حيان- في كتابه العلم الالهي؛ حيث قال: «عين الغرض من التجر بة، واتبع التعليمات الخاصة بها، وتجنب المستحيل وما لا فائدة منه، واختر الوقت الملائم للتجر بة، وكن صبوراً ومثابراً، ولا تغتر بالظواهر، لأن هذا يؤدي بتجر بتك الى نتيجة خاطئة، واختر المكان المناسب لأجراء التجارب، وليكن المعمل الذي تجري فيه التجارب في مكان منعزل»[٢].

كما عرف العلماء كثيراً من الأجهزة والادوات، والآلات، كانوا يستخدمونها في المختبرات، كآلات التقطير والتصعيد، والاسالة.

و بالاضافة الى ذلك، فقد كانوا يحرصون على تسجيل ملاحظاتهم اثناء قيامهم بالتجارب، ومن ذلك، ما ذكره أحد أساتذة الكيمياء -في ذلك العصر- «ابو القاسم مسلمة[٣] بن احمد المجر يطي» حيث قال: «أخذت الزئبق الرجراج، الخالي من الشوائب، ووضعته في قارورة زجاجية، على شكل بيضة، وأدخلتها في وعاء يشبه إناء الطهي، وأشعلت تحته ناراً هادئة بعد ان غطيته، وتركته يسخن ار بعين يوماً، مع مراعاة عدم ز يادة الحرارة، وقد لاحظت بعد هذه المدة عدم تغيير وزن الزئبق»[٤].

---

(١) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، كيميائي اشتغل بالكيمياء، وله عدة مؤلفات منها «مجموع الرسائل واسرار الكيمياء» توفي عام ٢٠٠هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ٩٠

(٢) انظر — بتصرف — الحياة العلمية في الدولة الاسلامية / ص ١٩٠

(٣) مسلمة بن احمد بن قاسم بن عبد الله المجر يطي، ر ياضي وفلكي، كان امام الر ياضيين في الاندلس، له مؤلفات منها «غاية الحكيم، ورتبة الحكيم» توفي عام ٣٩٨هـ / الاعلام /ج ٨ — ص ١٢١

(٤) المصدر السابق / ص ١٩٥

٥ ـ علم الجغرافيا :

استطاع الجغرافيون المسلمون، ان يخطوا بالجغرافيا خطوات واسعة إلى الأمام، حيث استطاعوا ان يحددوا المواقع والبلدان بدقة متناهية، كما حددوا الطرق.

والى جانب ذلك، فقد درسوا الظواهر الجغرافية، وسجلوا مشاهداتهم اثناء رحلاتهم، ووصفوا البلدان بدقة متناهية، ومثال ذلك، ما فعله «البغدادي»[١]، حيث وصف مصر وصفاً دقيقاً، شمل الآثار، والنباتات والحيوانات، وسجلوا ذلك في كتب قيمة، ومن ذلك ما فعله «القزويني»[٢] حيث سجل في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» كثيراً من الظواهر الجغرافية، كوصف السماء، وما فيها من نجوم وكواكب، كما تحدث عن الارض والهواء، والرياح والفصول والشهور «ووصف الرعد والبرق والهالة وقوس قزح، والبحار والمحيطات، والجبال والانهار، والعيون، والآبار، والزلازل ...»[٣].

كما تناول «المقريزي»[٤] في كتابه «الخطط المقريزية» جغرافية مصر، فتحدث عن تضاريسها، ونيلها وجبالها، وسهولها وحدودها واقتصادها، ومما كتبه حول حدود مصر: «اعلم ان ارض مصر، لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية، وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتد الى بلدة النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان، على حد ارض السبخة في قبلي اسوان، حتى ينتهي الى بحر القلزم، ثم يمتد الى بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سينا و يعطف على تيه بني اسرائيل ماراً الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفح، و يرجع الى الساحل ماراً على بحر الروم الى الاسكندرية، و يتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة»[٥].

---

(١) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، احد العلماء المكثرين من التصنيف والتاريخ والبلدان، ومن كتبه «الافادة والاعتبار بما في مصر من الآثار» توفي عام ٦٢٩هـ / الاعلام / ج ٤ — ص ١٨٣

(٢) زكريا بن محمد بن محمود، مؤرخ جغرافي صنف كتباً منها «عجائب المخلوقات، واخبار العباد» توفي عام ٦٨٢هـ / الاعلام / ج ٣ — ص ٨٠ (القزويني).

(٣) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه / ص ٢٠٦.

(٤) احمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية وله عدة مؤلفات منها «تاريخ الأقباط» توفي عام ٨٤٥هـ / الاعلام / ج ١ - ص ١٧٢.

(٥) الخطط المقريزية / للمقريزي / ج ١ ص ١٥.

كما نبغ في علم الجغرافيا الرحالة «ابن بطوطة»[١]، الذي اشتهر برحلاته وتنقلاته، «حيث قطع ٧٥ الف ميل في تجواله ببلاد اسيا وتوغله في وسطها وجنوبها وشرقها، كما جاب بلاد افريقيا، ووصل الى نهر الفلجا ببلاد الروس، وزار بلاد الأندلس، وكان لرحلاته اثر كبير في ثقافته ومعارفه»[٢].

وبجانب ذلك فقد اشتهر بدقة الملاحظة، وسجل ما كان يراه في كتابه الذي عنونه باسم «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار».

وبالاضافة الى ما ذكر، فقد تفننوا في رسم الخرائط، والتي كانت - في ذلك العصر - في غاية الدقة والاتقان، حيث وضحوا عليها مواقع البلدان، والاقاليم، ومن ذلك خريطة «الادريسي»[٣] التي بين فيها منابع النيل والبحيرات الاستوائية، وغيرها من الظواهر الجغرافية.

ولقد نشر احد المستشرقين الالمان «كونراد مللر» خارطة للادريسي، ومجموعة خرائط عربية، رسمت في عهد الحضارة الاسلامية - لحوض البحر الابيض المتوسط - في سلسلة من الكراريس، تحت عنوان خرائط عربية، وذلك من اجل المقارنة بين كل واحدة منها وبين الخرائط الحديثة، فاكتشف ان هناك فروقات طفيفة، بين تلك الخرائط - التي رسمت في عصر الحضارة الاسلامية - وبين الخرائط الحديثة[٤].

وبجانب ذلك فقد اهتموا بدراسة الظواهر الطبيعية، كالجبال والاودية، وطبقات الصخور، بما يسمى اليوم بعلم «الجيولوجيا»، وفي ذلك تقول «هونكه» : «وفي فرع آخر من الجغرافية الطبيعية والجيولوجية، اعطى «ابن سينا» و «البيروني» امثلة صحيحة تماماً ولها قيمتها العلمية في دراستهم لنشأة الجبال وطبقات الصخور»[٥].

---

(١) محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن بطوطة، رحالة ومؤرخ، توفي عام ٧٧٩هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ١١٤

(٢) الحياة العلمية في الدولة الاسلامية / ص ٢٠٢

(٣) محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي، من اكابر العلماء بالجغرافية، ترك عدة مؤلفات منها «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» توفي عام ٥٦٠هـ / الاعلام / ج ٧ — ص ٢٥٠

(٤) للاستزادة انظر / خارطة الادريسي / احمد عبد الجبار المخير — ص ١٨٧

(٥) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٤١٩

هذه نماذج لمجالات الابداع عند العلماء المسلمين، في بعض انواع العلوم، تظهر بكل وضوح، الوجه المشرق للحضارة الاسلامية، وتبين الجهود المضنية التي قام بها العلماء، حيث بذلوا ما في وسعهم من بحث ودراسة، واجراء تجارب، وغير ذلك في سبيل النهوض بالعلم وتقدمه.

ولقد كان لهذا العمل المتواصل، والجهد العظيم، أثر كبير في بناء الحضارة الانسانية بشكل عام، وبناء الحضارة الغربية بشكل خاص، حيث انتقلت الحضارة الاسلامية الى اوروبا عن ثلاث طرق هي:

أ. الاندلس :

حيث اشتهرت بالمراكز العلمية، المنتشرة في جميع انحاء مدنها مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة، وبلنسية وغيرها من المدن، التي كان يقصدها طلاب العلم من مختلف انحاء العالم الاسلامي بالاضافة الى طلاب أوروبا، الذين كانوا يلتحقون بمعاهدها العلمية.

ويصف الدكتور «محمد الصديقي» تلك الحركة قائلاً: «وارتحل كثير من تلامذة الافرنج الى مدارس الاندلس ودخلوا في جامعاتها افواجاً، وكانت الاندلس في ذلك العصر في أسمى منزلة من منازل العلوم والآداب، ثم رجعوا الى أوطانهم متنورين متبحرين في العلوم والفنون»[١].

ولم يقتصر الامر على ذلك، فقد أخذ الطلاب يقتبسون الكثير من معالم الحضارة الاسلامية، ويترجمون، الكتب العربية الى اللاتينية، وكان لتلك الترجمة أثر كبير في ظهور الحركة العلمية في أوروبا، يقول «الدوميلي» : «في شبه جزيرة الاندلس كانت حركة نقل العلم العربي الى العالم المسيحي أعمق تغلغلاً وأشد قوة، ودامت مدة أطول عهداً من كل مكان آخر، كما تحقق هناك التطور الحاسم الذي كان لابد ان يعتمد عليه تجديد العلم الاوروبي»[٢].

ويضيف «ولز» في أثر هذه الترجمة قائلاً : «وزادت معرفة الناس -ويقصد في اوروبا- بواسطة الترجمات اللاتينية المنقولة عن النسخ العربية»[٣].

---

(١) انتشار العرب وعلومهم في فرنسا / ص ١٤

(٢) العلم عند العرب واثره في تطورالعلم العالمي / ص ٤٥٣

(٣) معالم تاريخ الانسانية /ج ٣ — ص ٨٠٢

ب. جزيرة صقلية ومالطة :

وهي الطريق الثاني لانتقال العلوم الاسلامية الى أوروبا، حيث كانت جزيرة صقلية تنعم بالرقي والتقدم في ظل الحضارة الاسلامية[1] وكانت مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية، وشمل التقدم والازدهار جميع المرافق الاقتصادية، والتجارية، والعلمية، فعن طريقها «انتقلت العلوم الاسلامية الى ايطاليا، فشهرت مدرسة «لرنو» بالطب، وظلت تؤدي رسالتها الى القرن التاسع عشر، وهذه المدرسة كان العرب قد انشأوها»[٣].

اما بالنسبة لجزيرة «مالطة» فبحكم موقعها الجغرافي فقد استفادت من الناحية الاقتصادية استفادة عظيمة، حيث كانت مركزاً تجارياً ضخماً للتجار المسلمين، كما ازدهرت الزراعة ازدهاراً لا مثيل له -في ذلك العصر- ويصف «بريان بلويه» الجزيرة قائلاً : «الا انه يمكن ان نقرر بكل تأكيد ان الجزيرة تأثرت تماماً حضارياً واقتصادياً خلال القرنين اللذين حكم فيهما العرب»[٣].

ثم يصف الحالة الاقتصادية والتجارية في الجزيرة قائلاً : «ويبدو ان العرب قد ادخلوا تعديلات كبيرة على هيكل الزراعة الذي كان سائداً بالجزيرة، فقد كان الحكام الجدد أكفاء في فنون الزراعة، وادخلوا الساقية لتسهيل عمليات الري، وجلب العرب معهم كثيراً من المحاصيل الجديدة الى بلدان غربي البحر المتوسط»[٤].

ثم يتحدث عن التجارة، فيقول : «ويبدو ان التجارة قد ازدهرت كثيراً خلال الحكم العربي»[٥].

---

(١) عاشت الجزيرة في ظل الحضارة الاسلامية مابين سنة ٢١٧هـ — ٤٥٠هـ

(٢) اثر المدنية الاسلامية في الحضارة الغربية / د. مختار القاضي / ص ١٨٤

(٣) قصة مالطة / ترجمة مصطفى محمد جودة / ص ٣٦

(٤) المصدر السابق / ص ٣٧

(٥) المصدر السابق / ص ٣٧

ج. الحملات الصليبية :

وهي الطريق الثالث لانتقال المعارف الاسلامية الى اوروبا، حيث اختلط الغزاة الصليبيون بالمسلمين، ورأوا بأعينهم التقدم والازدهار الذي كانت تحظى به البلدان الاسلامية، كما تعلموا فنون الحرب والقتال، وبناء الحصون إثر احتكاكهم بالجنود المسلمين وفي ذلك تقول «هونكه» : «وكان للحروب الصليبية دور هام في تطور نظام بناء الحصون وطرق الدفاع -أي في أوروبا-»[١].

ثم تضيف :«وأخذ فرسان الحروب الصليبية عن الشرق عادته في تغطية الأبراج بخوذ من الصخور»[٢].

وبجانب ذلك، فقد تأثروا بالحياة العامية التي لمسوها اثناء حملاتهم، لهذا فقد قام الامبراطور«فردريك الأكبر»- الذي قاد بعض الحروب الصليبية- ببناء جامعة في نابلي إثر عودته من الحروب الصليبية، واهتم بالحركة العلمية.

كما «اختلط ملوك اوربا وأمراؤها بملوك الشرق وأمراء المسلمين في أثناء الحروب الصليبية، ورأوا بأعينهم أدباء العرب وشعراءهم ومؤرخيهم وأطباءهم، لاسيما من كان منهم بمعية صلاح الدين الأيوبي»[٣].

فعن طريق هذه المعابر، انتقلت العلوم والمعارف الإسلامية إلى بلاد اوربا، كما ترجمت المؤلفات الكثيرة، والتي كانت المراجع المعتمدة في جامعات اوربا لعدة قرون.

وإلى جانب ذلك، فقد تأثر الكثير من علماء اوربا بفكر وآراء العلماء المسلمين «فروجر بيكون» -على سبيل المثال والذي ينسب إليه العلم التجريبي- لم يكن الا رسولاً من رسل العلم الذين نقلوا المعارف الا سلامية إلي اوربا المسيحية. بل طالما دعا إلى تعليم اللغة العربية لاعتقاده بأنها الطريق الوحيد للمعرفة، والوصول إلى المعلومات الصحيحة، وفي ذلك

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٤٨٥

(٢) المصدر السابق / ص ٤٨٥

(٣) انتشار العرب وعلومهم في فرنسا / د. محمد احمد الصديقي / ص ١٠

يقول «وولف»: «وكان بيكون قد أخذ أكثر آرائه من مصادر عربية»[١].

ويضيف: «ان -روجر بيكون- حينما بدأ حملته تأييداً للبحث العلمي، كان يرتب أهمية كبيرة على دراسة العربية»[٢].

وتصف «هونكة» مدى تأثر أوروبا بالمعارف الاسلامية قائلة: «وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء الا ومد يديه الى الكنوز العربية، يغرف منها ما شاء الله له ان يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب، رغبة منه في سد الثغرات التي لديه»[٣].

ثم تصف أثر الكتب والمؤلفات الاسلامية على الكتب التي صدرت في أوروبا في ذلك العصر قائلة: «ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك الا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها ايماءاته وظهر فيه تأثيرها واضحاً كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل في محتواه وأفكاره»[٤].

ثم تضرب امثلة للكتب والمؤلفات الاسلامية التي استند اليها الباحثون اثناء بحثهم، فتقول: «فالكتب التي درسها الدارسون، واستند اليها الباحثون كانت كتب -ابن سينا- و -أبي القاسم الزهراوي- و -الرازي-»[٥].

وهكذا يتضح مدى تأثير الحضارة الاسلامية على أوروبا، وكيف ان الحضارة الاوروبية ما كان لها لتنهض وترى النور لولا الحضارة الاسلامية.

وقد يرد هنا سؤال وهو: لماذا نرى المسلمين في مؤخرة الركب الحضاري، ما دام الاسلام يدعو الى العلم ويشجعه؟ وما دامت اوروبا استمدت حضارتها وعلومها من الحضارة الاسلامية؟.

وللاجابة على هذا السؤال يستحسن ذكر الاسباب التي ادت الى ضعف المسلمين، وجعلتهم على هذه الحالة من تشتت وضعف ووهن.

---

(١) عرض تاريخي للفلسفة والعلم / ترجمة محمد عبد الواحد / ص ٤٠

(٢) المصدر السابق / ص ٣٩

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٣٠٥

(٤) المصدر السابق / ص ٣٠٥ — ٣٠٦

(٥) المصدر السابق / ص ٣٠٦

أسباب ضعف المسلمين :

بدأت عوامل الضعف والتحلل تتسلل الى كيان الامة الاسلامية، عندما ابتعدت عن دستورها - كتاب الله عز وجل - وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فكلما ازدادت بعداً عنه ازدادت عوامل الضعف والانحلال، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول: «تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه»[١].

والمتأمل في تاريخ الامة الاسلامية، يلاحظ ان هناك أسباباً داخلية وخارجية ادت الى ضعف هذه الامة، ويمكن تلخيص تلك الأسباب في الآتي :

اولاً : الأسباب الداخلية :

أ. انقسام حملة العقيدة الى فرق متعددة، سرت بينها روح التباغض والعداء، فهناك الخوارج، وهناك المعتزلة، وهناك القدرية، وهناك المرجئة، وغير ذلك من الفرق التي مزقت كيان الأمة الاسلامية شيعاً وأحزاباً، وزعزعت العقيدة في النفوس، و يعود هذا التشتت الى دخول بعض الزنادقة والملاحدة والمنافقين في الاسلام بقصد الكيد لاهله، واشعال نار الفتنة كما ظهر ذلك اثناء حروب الردة التي حدثت في عهد «ابي بكر الصديق» رضي الله عنه والفتنة التي حدثت بين علي -كرم الله وجهه- ومعاوية رضي الله عنه.

يقول الدكتور «احمد شلبي» : «ان كثيرين من اعداء الاسلام ومعتنقي المذاهب والاديان المختلفة دخلوا الشيعة وانتسبوا الى آل البيت بقصد الكيد للاسلام»[٢].

وازداد هذا التفكك والانقسام بشيوع الفلسفة اليونانية، حيث أخذت الفرق تبحث في المسائل الكلامية، والمناقشات الفلسفية العقيمة التي نجم عنها ظهور الزندقة والالحاد والفتن.

يقول «المودودي» رحمه الله، معللاً اسباب ضعف المسلمين: «تزعزعت عقيدتهم بسبب شيوع الفلسفة اليونانية»[٣].

---

(١) رواه الامام مالك في الموطأ / كتاب القدر / باب النهي عن القول بالقدر

(٢) التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية / ج ٢ — ص ١٣٨

(٣) انظر — بتصرف / واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم / ص ٧٤

ثم يضيف: «ونتيجة لذلك، فقد أخذ المسلمون يشتغلون بالبحث في المسائل الكلامية، ونشأ مذهب الاعتزال، ونجم قرن الزندقة والالحاد، وجاء التفنن المفرط في تعليل العقائد وتحليلها يحدث في المسلمين فرقاً جديدة»[1].

وبالاضافة الى ذلك، فقد تناحرت الفرق وتقاتلت، وذهب خلق كثير بسبب التعصب للمذاهب التي نشأت نتيجة لظهور تلك الفرق، ويصف «ابن الاثير» احدى تلك الفتن قائلاً: «وقع[2] باصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وبين القاضي وغيره من أصحاب المذاهب بسبب التعصب للمذاهب، فدام القتال بين الطائفتين ثمانية أيام متتابعة، قتل فيها خلق كثير، واحترق وهدم كثير من الدور والاسواق، ثم افترقوا على اقبح صورة»[3].

ولا شك ان مثل هذه الأمور، تؤدي الى الضعف، وتجعل الأمة عاجزة عن النهوض بمسئولياتها، والقيام بواجباتها داخلياً وخارجياً، لا سيا اذا كانت هذه الأمة قد ميزت عن سائر الأمم وبوئت مكانة رفيعة لقيادة الأمم وهداية الشعوب، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)[4].

ولكن ما كان هذا الا بسبب تكملة سياق الآية الكريمة التي تبين مهام هذه الأمة، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (... تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...)[5]

ب. ظهور الخلافات السياسية نتيجة التنازع على الرياسة والجاه، ومثال ذلك النزاع الذي حدث بين الأمين والمأمون، حيث أقدم الأول على محاولة لاسقاط البيعة عن المأمون، ومبايعة ابنه موسى بدلاً من أخيه، وتحول هذا النزاع الى فتنة عظيمة، ذهب ضحيتها الكثير.

---

(١) انظر – بتصرف – المصدر السابق / ص ٤٧

(٢) حدث ذلك سنة ٥٦٠هـ.

(٣) الكامل في التاريخ / ج ١١ – ص ٣١٩

(٤) سورة آل عمران / ١١٠

(٥) سورة آل عمران / ١١٠

وبالاضافة الى ذلك، فقد كان نتيجة لتلك الخلافات ظهور الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الاسلامية، مثل ظهور الدولة الفاطمية في شمال أفريقية، والطولونية في مصر، والأغالبة في تونس، كما ظهرت ثورات[١] كثيرة، كثورة الزنوج والقرامطة والبويهيين، وغير ذلك من الثورات التي كان لها أثر كبير في ضعف الأمة الاسلامية وتشتتها، وما كان ذلك ليحدث لو طبقت الأمة دستورها كاملاً لأنها ستجد التحذير الشديد من الوقوع في مثل هذه الخلافات، قال تعالى: (... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)[٢].

ج. الانغماس في ألوان الترف والنعيم وفساد الأخلاق، والتهافت على الملاهي والملذات الذي أصاب بعض الحكام والأمراء ـ في ذلك العصر ـ حتى غدت الرعية على أسوأ حال نتيجة اهمال الحكام لها، وعلى سبيل المثال «فان ـ المقتدر ـ[٣] أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكّم فيها النساء والخدم وفرط في الأموال وعزل الوزراء وولى مما أوجب طمع أصحاب الأطراف والنواب، وخروجهم عن الطاعة، وكان جملة ما أخرجه من الأموال تبذيراً وتضييعاً في غير وجه، نيفاً وسبعين ألف ألف دينار»[٤].

وبالاضافة الى ذلك، فقد أخذ هذا الداء، ينتشر بين عامة الناس، وانغمس عدد غير قليل منهم في حياة الجاهلية والترف، «ونظرة في كتاب الاغاني، وكتاب الحيوان للجاحظ، تريك ما كان هنالك من رغبة جامحة الى اللهو وتهافت على الملاهي والملذات، ونهمة للحياة الدنيا وأسبابها»[٥].

ولا شك ان هذا الداء كان له أثر كبير في انحطاط المجتمع الاسلامي، بل اعتبره بعض المفكرين الاسلاميين من أعظم الاسباب في تأخر المسلمين، يقول «الامير شكيب ارسلان» :

---

(١) حدث اغلبها في عهد الخلافة العباسية — في بغداد.

(٢) سورة الانفال / ٤٦

(٣) جعفر بن احمد بن طلحة ابو الفضل [المقتدر بالله] خليفة عباسي، بويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ، توفي سنة ٣٢٠هـ / الاعلام / ج ٢ — ص ١١٤

(٤) الكامل في التاريخ / ابن الاثير / ج ٨ — ص ٢٤٣

(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / الندوي / ص ١٤٨

«من أعظم أسباب تأخر المسلمين، فساد الاخلاق، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن والعزائم التي حمل عليها سلف الأمة، وبها ادركوا ما ادركوه من الفلاح»[١].

و يعلل «المودودي» اسباب تأخر المسلمين قائلاً : «وعادت الرعية على أسوأ ما تكون من الحال بسبب عيشة الترف واللهو التي كانت تعيشها الطبقات الحاكمة والبيوتات الملكية»[٢].

ثانياً : الاسباب الخارجية :

أ. **غزو التتار :** بالاضافة الى الاسباب الداخلية التي منيت بها الامة الاسلامية، وادت بها الى الضعف والتشتت، كان بالمقابل اعداء الاسلام يتربصون و ينتظرون الفرصة الملائمة للانقضاض على العالم الاسلامي، وكان من ذلك الغزو التتري، الذي انحدر كالسيل الدافق على الدولة الاسلامية، وأخذوا يقطعون كيانها جزءاً جزءاً، ويحطمون معالم حضارتها حتى وصلوا الى مقر الخلافة العباسية «بغداد» ووطئوها باقدامهم، وقتلوا الخليفة[٣] نفسه، و يصف «ابن كثير» ذلك الغزو قائلاً : «سنة ست وخمسين وستمائة أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر اهلها حتى الخليفة»[٤].

ثم يصف حالة جيوش المسلمين في ذلك العصر قائلاً : «ووصل هولاكو خان بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة»[٥].

وفي هذا دلالة واضحة على اهمال الحكام للرعية والجيش، الذي يعتبر الدعامة الاساسية لحماية البلاد من الخطر الخارجي.

---

(١) لماذا تاخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم / الامير شكيب ارسلان / ص ٥٨

(٢) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم / ص ٧٥

(٣) اسم الخليفة [المستعصم بالله]

(٤) البداية والنهاية / ج ١٣ — ص ٢٠٠

(٥) المصدر السابق / ج ١٣ — ص ٢٠٠، ٢٠١

ثم يصف كيف استولوا على بغداد قائلاً : «واحاطت التتار بدار الخلافة، يرشقونها بالنبال، من كل جانب، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه»[١].

وهذا يدل على الضعف الداخلي الذي يسبق -عادة- الغزو الخارجي، حيث تولى أمر الخلافة رجال غير مؤهلين لهذا المنصب الخطير، والقيام بأعبائه ... رجال لم يعدوا العدة، ولم يستعدوا لمواجهة الخطر ... رجال فقدوا روح الجهاد والتضحية في سبيل الله، ففي الوقت الذي داهم فيه اعداء الاسلام بغداد، بل مقر دار الخلافة نفسه، نجد الخليفة مستغرقاً في ملذاته وشهواته! بدلاً من الخروج على رأس الجيش لمواجهة الغزو.

وبعد ذلك يذكر «ابن كثير» عدد القتلى اثر ذلك الغزو فيقول : «وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل ثمانمائة الف، وقيل الف الف وثمانمائة ألف وقيل بلغت القتلى ألفي الف نفس»[٢].

ثم يصف «بغداد» -تلك العاصمة التي تبوأت مكانة رفيعة في التقدم الحضاري، وكانت مركزاً عظيماً من مراكز العلم، حيث انتشرت بها المدارس والمعاهد العلمية، والمصانع والمستشفيات، وغير ذلك من المؤسسات- بعد ذلك الغزو قائلا : «وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها، كانها خراب، ليس فيها الا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة»[٣].

وكان الغزو التتري في غاية الهمجية والوحشية، حيث كانوا يقتلون كل من يقابلهم بدون تفرقة، فقتلوا العلماء والمشايخ، والكهول، والنساء والولدان، واحرقوا المساجد ودور الكتب وحطموا كثيراً من معالم الحضارة الاسلامية.

ب. الحملات الصليبية : اما الغزو الآخر، فهو تدفق الجيوش الصليبية والحكومات الاوروبية بأسرها على المملكة الاسلامية، في تسع حملات صليبية شرسة، جمعت لها الجموع

---

(١) المصدر السابق / ج ١٣ — ص ٢٠٠

(٢) المصدر السابق / ج ١٣ — ص ٢٠٢

(٣) المصدر السابق / ج ١٣ — ص ٢٠٢

والعتاد والاموال، واستطاعوا من خلالها ان يستولوا على المدن الاسلامية، مثل طليطلة سنة ٤٧٨هـ، وغيرها من سائر بلاد الاندلس، وكذلك استولوا على جزيرة صقلية سنة٤٨٤هـ، وخرجوا الى بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ.

وكان من عادة الصليبيين اذا دخلوا بلداً نهبوها، وقتلوا من فيها، وطردوا القلة الباقية منها، ومثال ذلك ما حدث عندما استولوا على انطاكية سنة ٣٥٩هـ، حيث اخرجوا منها العجائز والاطفال، واحلوا محلهم جموعاً غفيرة من المسيحيين.

ومثل هذا حدث عندما سقطت طليطلة، حيث كان لسقوطها دوي هائل في جميع ارجاء العالم المسيحي «اذ استثار الشعور والحماسة لطرد المسلمين كلية من اسبانيا»[١].

كذلك طرد «الفونس الاول» المسلمين من «لشبونه»، «حيث استعان سنة ١١٤٧م، باسطول صليبي يحمل جماعة من الانجليز والالمان، كانوا في طريقهم الى الشام للمشاركة في الحملة الصليبية الثانية وتمكن بمساعدتهم من طرد المسلمين من لشبونه»[٢].

ولم يقتصر الامر على الطرد والقتل وطمس معالم الحضارة الاسلامية فحسب، بل استعملوا جميع وسائل الاضطهاد والعنف، في محاولة لاجبار افراد المسلمين على ترك دينهم الحنيف، والدخول في النصرانية، ومن ذلك ما حدث في الاندلس عندما سقطت بايدي الصليبيين، حيث أخذ الصليبيون يضطهدون المسلمين، «واجبروهم على الدخول في النصرانية، وفي سنة ١٥٠٢م، أصدر «فرناندو» مرسوماً يقضي بإلغاء كل الشعائر الاسلامية من الاندلس»[٣].

ونتيجة لهذه الاسباب، أصبح العالم الاسلامي، ضعيفاً ومشتتاً، وكانت الضربة القاضية، باستيلاء الدول الاوروبية الصليبية على العالم الاسلامي، عندما ضعفت الخلافة العثمانية نتيجة للحروب الطويلة التي انهكتها، وللأسباب الآنفة الذكر.

وأخذت اوروبا تتقاسم البلاد الاسلامية فيما بينها، واستولت على مواردها الاقتصادية، وأخذت تفرض كل ما يتفق مع مصالحها، حتى وصل الامر الى ان تشرف على التعليم، وتضع

---

(١) الحركة الصليبية / د. سعيد عاشور / ج ١ — ص ٧٣

(٢) انظر — بتصرف — المصدر السابق / ج ١ — ص ٧٥

(٣) الغزو الصليبي ... والعالم الاسلامي / د. علي عبد الحليم محمود / ص ١٧٤

الخطط والمناهج التي تهدف الى طمس تاريخ الحضارة الاسلامية، واقتلاع جذور الاسلام، واحلال الثقافة الغربية محل الثقافة الاسلامية، ومن ذلك ما حدث في -مصر- حيث كان يشرف ويخطط للسياسة التعليمية، القس الانجليزي «دنلوب»، ولهذا لا يستغرب ان يتخرج الطلاب من المدارس، بل من الجامعات! وهم يجهلون تاريخ الحضارة الاسلامية ومكانة العلم في الاسلام.

وهكذا تتضح الاسباب التي ادت الى تخلف المسلمين، وجعلتهم في مؤخرة الركب الحضاري، وما كان هذا ليحدث، الا نتيجة بعدهم عن تعاليم الاسلام، وعدم تطبيق مبادئه التي تدعو الى العلم.

وعلى هذا، فان الطريق السليم الذي يوصلنا الى الحضارة **المنشودة** والنهضة العلمية **الصحيحة** واسترداد الامة لمجدها ومكانتها الرفيعة، لا يكون الا بالعودة الى تعاليم الاسلام، وتطبيق مبادئه.

وعودة الى التاريخ، نجد ان اسباب ارتقاء العرب قديماً، يعود الى اعتناقهم الدين الاسلامي وتطبيقهم لمبادئه التي حولتهم من قبائل مشتتة ومتناحره الى أمة واحدة، ومن حياة جاهلية تسودها القسوة، الى حياة مدنية تسودها الرحمة، ومن جهلاء في شتى العلوم، الى علماء في مختلف العلوم، ومن مواد خام مبعثرة تسخر منها البلاد المجاورة، وتستهين بها، الى كتلة موحدة، فيها الكفاية التامة في جميع النواحي الانسانية، فتبوأت بذلك مكانتها الرفيعة، ودانت لها الأمم، وتسلمت زمام القيادة، وسارت في طريق الهدى والنور والعلم والمعرفة، فكانت حضارة اسلامية عريقة، شملت جميع الجوانب الانسانية.

(إزالة شبهة)

قبل الانتقال الى الباب الثاني، يستحسن ازالة شبهة قد ترد على ألسنة بعضهم، وهي قولهم: سلّمنا ان الاسلام يشجع العلم، ويحترم العلماء، ولكن ألا يوجد من بين علماء المسلمين من ينكر الحقائق العلمية، التي اثبتها العلم[١] اليوم؟ كما انهم يحرصون على التمسك بالقديم، ويحاربون كل جديد، حتى ولو كان هذا الجديد لا يخالف الاسلام!

وللاجابة على مثل هذه الشبهات، يجب ان يعلم صاحبها، ان هذا الوصف لا يصح ان ينسب الى الاسلام، فموقف الاسلام من العلم، ظهر بصورة ناصعة بيضاء لا غبار عليها، ومرد هذه الشبهات هي عقول الذين قالوا بها، وليس للاسلام أي ذنب في ذلك.

وهناك اسباب دفعتهم لتبني مثل هذه الافكار، وهي خشيتهم من الطوفان الخارجي المتمثل في الغزو الفكري، الذي اجتاح العالم الاسلامي، محاولاً اقتلاع جذور الاسلام، ونشر الفساد، ولشعورهم بالخطر، تمسكوا وحافظوا على ما تبقى من الاسلام، ونبذوا كل جديد، فكان الموقف كردة فعل نتيجة لذلك الغزو.

اما من ينكر أي حقيقة علمية فلا دخل للاسلام في هذا الانكار، ولكن اللوم يعود على من انكر ذلك، ولعل صاحب الانكار لم تتضح له الحقيقة، او تنقصه الادلة، ولعله يتراجع عن رأيه عندما تتضح له الحقيقة.

وبالاضافة الى ما ذكر، فان هذه الآراء، آراء فردية، لا تحمل أي صفة رسمية من قبل هيئة أو مؤسسة تلزم الناس باعتناق تلك الآراء، او تجبرهم على الأخذ بها.

كما أنها لا تستند الى دليل من القرآن أو السنة اللذين هما الحجة على المسلمين.

هذا هو موقف الاسلام من العلم، أما بالنسبة لموقف الكنيسة، فهذا ما سيتم بيانه -باذن الله- في الباب الثاني.

---

(١) من ذلك، ما انكره الشيخ / حمود بن عبد الله التويجري، في كتابه [الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة] على من يقول بدوران الارض حيث قال: «ان القول بدوران الارض قول باطل، معلوم البطلان عند كل من نور الله قلبه بنور العلم والايمان» بتصرف — ص ١٠

مع ان هذه الحقيقة العلمية سبق وان اشار اليها القرآن الكريم، في قوله تعالى: «... وكل في فلك يسبحون» سورة يس / ٤٠

الباب الثاني

« موقف الكنيسة من العلم » ويشتمل على تقدمة، وثلاثة فصول:

التقدمة : نشأة الكنيسة وسلوكها تجاه العلم.

الفصل الأول : موقف العهدين القديم والجديد من العلم.

الفصل الثاني: سير الحركة العلمية في أوروبا .

الفصل الثالث: آثار الصراع بين رجال الكنيسة والعلماء،

ويشتمل على:

أ ـ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة.

ب ـ فصل الدين عن الدولة.

تقدمة حول :
« نشأة الكنيسة وسلوكها تجاه العلم »

قبل الحديث عن موقف الكنيسة ورجالها من العلم، كان لابد من اعطاء لمحة موجزة عن نشأة الكنيسة، ذلك التنظيم الضخم المكون من كرادلة[1] واساقفة، وبطاركة، ومطارنة، وغير ذلك من الالقاب، التي تشارك في هذا الجهاز.

نشأة الكنيسة :

ان المتأمل في تاريخ المسيحية، يلاحظ ان الكنيسة لم تكن -بمفهومها في القرون[2] الوسطى- معروفة زمن المسيح -عليه السلام- وان كانت هناك سلطة معينة في زمنه، فانها لم تتعد منحه -عليه السلام- لبعض تلاميذه سلطة التبشير بالتوبة، ووعظ الناس، وتهذيب الاخلاق وهذا ما قام به الحواريون، ولا نجد في تاريخهم ما يدل على أنهم بنوا كنيسة، او فكروا في انشائها.

وفي ذلك يقول الاستاذ «شارل جينيبير» : «واذا ما قلنا بأن المسيح صرح للحواريين الاثني عشر بسلطة ما -وهذا محل جدل حتى اليوم- فما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم

---

(١) كاردينال : عضو اعلى هيئة تساعد البابا في ادارة الكنيسة الكاثوليكية والمجلس الاستشاري، يلي البابا في مرتبته مباشرة وهم الذين يختارون البابا من بينهم.

المطران والاسقف : وظيفة دينية اعلى من الكاهن والقسيس.

البطرك : هو رئيس الملة وخليفة المسيح ويسمى الآب تعظيماً له وهو القيم على الدين والمقيم لمراسيمه، والبابا يعني ابو الآباء.

القسيس : هو الامام الذي يقيم الصلاة ويفتيهم.

الراهب : هو المنقطع الذي حبس نفسه من اجل العبادة.

«للاستزادة انظر مقدمة ابن خلدون، فصل في شرح اسم البابا والبطرك.

(٢) تم تقييد ذلك لان المبحث يدور حول موقف الكنيسة من العلم في عهد القرون الوسطى.

بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة، وبحلول مملكة الله، ولم يضع منهم -قساوسة- حيث لم يكن في حاجة الى ذلك، وعلى أي حال، فاننا عندما ندرس ما قام به هؤلاء الحوار يون من أعمال لا نجد انهم فكروا في انشاء كنيسة»[١].

وبالاضافة الى ذلك،فان الاناجيل التي تنسب للمسيح -على حد زعم النصارى- لم تنسب الى المسيح -عليه السلام- نصاً يعبر عن الكنيسة بمعناها المعروف الا في مناسبة واحدة[٢]، هي قول المسيح -عليه السلام- لأحد تلاميذه: «وأنا اقول لك ايضاً انت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها»[٣].

ولقد استغل رجال الكنيسة هذا النص، وأخذوا يستندون اليه في زعمهم بأن المسيح - عليه السلام - كان في نيته بناء كنيسة، او انه اشار بذلك، مع ان هذا النص لا يدل على بناء الكنيسة، وانما يدل على الثقة والعناية التي أولاها المسيح -عليه السلام- لاحد تلاميذه «بطرس» حيث اشار بان دعوته ستظهر وتنتشر بين الناس على اكتاف المؤمنين بها امثال «بطرس»، لهذا فقد امتدحه، ولقبه بالصخرة كناية عن الصمود والثبات.

وبالاضافة الى ذلك، فان طبيعة دعوة المسيح -عليه السلام- من البساطة واليسر، بحيث لا تحتاج الى ذلك التنظيم الكنسي الضخم، سيما اذا لاحظنا ان تعاليمه كلها -حسب النصوص الانجيلية- تدور حول نبذ الدنيا، والتعلق بالآخرة، وترقب حلول مملكة الله[٤]، ومن ذلك، ما ورد في «انجيل متى» : «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون ... لكن اطلبوا أولا ملكوت الله، وبره وهذه كلها تزاد لكم، فلا تهتموا للغد، لان الغد يهتم

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها / ص ١٣٠ - ١٣١

(٢) لقد ورد لفظ الكنيسة في موضع آخر ولكن بمعنى «الجماعة المؤمنة) حيث ورد النص في انجيل «متى» وهو «وان اخطأ اليك اخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، ان سمع منك فقد ربحت اخاك، وان لم يسمع فخذ معك ايضاً واحداً او اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين اوثلاثة، وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني ...».

(٣) انجيل متى / ١٦ / ١٨

(٤) جاء في الاصحاح الرابع من انجيل متى ما نصه «من ذلك الزمان، ابتدأ يسوع يكرز و يقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماء» ١٧

بما لنفسه»[١].

ومن شأن الذي يدعو بذلك ان يزيل من منطقه أي فكرة تربط اتباعه بتنظيم دنيوي ضخم، وفي ذلك يقول «جينيبير» : «ان المسيح لم ينشىء الكنيسة ولم يردها»[٢].

ويضيف مؤكداً هذه الحقيقة قائلاً : «ولعل هذه القضية أكثر الامور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس النصوص الانجيلية في غير ما تحيز، بل اننا نؤكد ايضاً ان الفرض العكسي لا يمكن ان يوجد له سند تاريخي مقبول»[٣].

ويؤكد «ولز» هذه الحقيقة فيقول : «فمن الواضح وضوحاً بيناً ان تعاليم عيسى الناصري تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذي ابتدأ بالانبياء العبرانيين، وهي لم تكن كهنوتية، ولم يكن لها **معبد مقدس** حبساً عليها ولا هيكل، ولم تكن لديها شعائر ولا طقوس»[٤].

ثم يتحدث «جينيبير» عن نشأة الكنيسة وتطورها فيقول : «ان فكرة الكنيسة نشأت عند انتقال الأمل المسيحي من فلسطين الى ربوع العالم اليوناني، وأيضا ـ اذا شئنا ـ عن تطور هذا الأمل الى العالمية»[٥].

ومعلوم ان الذي نادى بعالمية الكنيسة هو القديس «بولس» حيث ذكر ذلك في اكثر من موضع[٦] في رسائله وعلى سبيل المثال، فقد ورد في رسائله ـ الى اهل رومية ـ ما نصه : «ان ايمانكم ينادى به في كل العالم»[٧].

ويضيف مؤكداً عالمية الدعوة فيقول: «ثم لست أريد أن تجهلوا ايها الاخوة، انني مراراً كثيرة قصدت أن آتي اليكم، ومنعت حتى الآن، ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر

---

(١) ٦/٢٥ وما بعدها.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها / ص ١٣٠

(٣) المصدر السابق / ص ١٣٠

(٤) معالم تاريخ الانسانية / ج ٣ — ص ٥٧٢

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها / ص ١٣١

(٦) للاستزادة انظر رسالة «بولس» الى اهل رومية / الاصحاح — ٥ — ١٤ — ١٦

(٧) رسالة بولس الرسول الى اهل رومية / ١ — ٨

الأمم، اني مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء»[١][٢].

ووجدت هذه الدعوة تجاوباً ونجاحاً مع بداية القرن الثاني، «ونعتقد اننا اذا وقفنا على أعتاب القرن الثاني لنتأمل المسيحية، سوف نجد ان فكرة «بولس» الخاصة بوحدة المسيحيين جميعاً في الله قد ثبتت تمام الثبوت»[٣].

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت الكنيسة في بدايتها، في غاية البساطة، اذ تجمع حولها جماعة من المؤمنين، تختار واحداً او أكثر ليرشدها، وفي ذلك يقول «ول ديوارنت» :

«وكانت -و يقصد الكنيسة- في بادىء امرها، هيئة بسيطة من المؤمنين، تختار لها واحداً او اكثر من الكبراء او القساوسة، ليرشدها، وواحد او اكثر من القراء والسدنه والشمامسة ليساعدوا الكاهن»[٤].

ثم أخذت الكنيسة تتطور شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت مع بداية القرن الرابع، بمثابة الهيكل الضخم، الذي يشكل وحدة متكاملة، ومجتمعاً مميزاً، يغاير صورة مجتمع الحواريين، وفي ذلك يقول «جينيبير» : «اذا تأملنا الكنيسة المسيحية، في مقتبل القرن الرابع، فانه يتعذر علينا ان نجد صورة من صور مجتمع الحواريين، او اذا اردنا الحق، فانه يستحيل علينا ذلك، فبدلاً من جماعة محدودة من اليهود، لا يفرق بينهم وبين باقي أمتهم سوى أمل خاص وترحيب بالمتتلمذين عليهم من الوثنيين يفوق ترحيب اليهود عامة، بدلاً من ذلك: نجد مجتمعاً دينياً واسع النطاق، يدخل فيه -دون تمييز لجنس أو لطبقة معينة- كل من يرى في نفسه القدرة الكافية، مجتمعاً يدرك تماماً أنه يشكل وحدة متكاملة، وانه هو الامة المختارة، أي كنيسة المسيح»[٥].

---

(١) مع ان هذه الدعوة تخالف ما جاء به المسيح — عليه السلام — على حد زعم الأناجيل، حيث ذكرت ان المسيح -عليه السلام- جاء لاصلاح اخلاق بني اسرائيل، وارسل من اجلهم، ومن ذلك ما ورد في انجيل متى ما نصه : «لم ارسل الا الى خراق بيت اسرائيل الضالة» ١٥ / ٢٤.

(٢) رسالة بولس الرسول الى اهل رومية / ١ / ١٣، ١٤

(٣) المسيحية نشاتها وتطورها / ص ١٣٣

(٤) قصة الحضارة /ج ١٢ — ص ٩٢

(٥) المسيحية نشاتها وتطورها / ص ١٢٦، ١٢٧

وأخذ جهاز الكنيسة يتطور، و يتسع نفوذه، و يتدخل في الأحكام الدنيوية شيئاً فشيئاً، وفي ذلك يقول «ولز» : «وكان القول بتولي الكنيسة الحكم الدنيوي، منتشراً بالفعل في القرن الرابع الميلادي»[١].

ومع مضي الزمن، أصبح «البابا» بمثابة الحاكم الاعلى والملك المقدس! للعالم المسيحي، بل انه ادعى لنفسه حق السيادة على العالم كله، ومن ذلك، ما أعلنه البابا «غريغورس السابع» : «ان الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمد هي ملوك الارض وامراءها بالنفوذ، وان البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولي الاساقفة، ويخلعهم وله الحق في خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[٢].

وما ان جاء عصر القرون الوسطى، حتى أصبحت الكنيسة بمثابة الدولة، فكانت لها محاكمها الخاصة، وسجونها العديدة، وكانت تجبى الضرائب، وتفرض ما تشاء، وتتدخل في شئون التعليم، والبرامج التعليمية، وهذا ما سيتم بيانه باذن الله.

موقف الكنيسة من العلم :

نتيجة للسلطة المطلقة التي أتيحت للكنيسة -في العصور الوسطى- فقد رأت ان أي مصدر من مصادر العلوم والمعرفة، لابد ان يكون صادراً عنها، وان أي رأي يخالف رأيها فهو باطل يجب مقاومته، بكل ما يستطاع.

لهذا فقد اخذت تراقب المطبوعات «وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة، وصدرت أحكام المجمع المقدس، بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب او ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره، وأوعز الى هذا المراقب، ان يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومىء الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية»[٣].

---

(١) معالم تاريخ الانسانية / ج ٣ — ص ٥٧٥

(٢) معالم تاريخ العصور الوسطى / محمد رفعت — محمد حسونة / ص ١٣٧

(٣) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / ص ٣٥

والى جانب ذلك، فقد زعم «رجال الكنيسة» ان الكتب المقدسة حاو ية على كل ما يحتاج اليه البشر سواء ما كان متعلقاً بالامور الدينية، أم ما كان متعلقاً بالمعارف البشر ية، و يصف «تيرتورليان» نظرة الكنيسة الى العلم -فيما ينقله عنه الشيخ «محمد عبده» فيقول: «إن اساس كل علم -عندهم- هو الكتاب المقدس، وتقاليد الكنيسة، وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد ان نعلمه من الكون، فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر ان ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماو ية من وصف السماء والارض، وما فيها، وتاريخ الامم مما يجب تسليمه مهما عارض العقل، أو خالف شاهد الحس، فعلى الناس أن يؤمنوا به أولاً، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه، أي على تسليمه أيضاً كما ترى.

وقال بعض مجتهديهم: انه يمكن ان يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس»[1].

وبالاضافة الى ما ذكر، فقد احتجزت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير الكتاب المقدس، وحظرت على أي عقل -خارج جهازها الكهنوتي- ان يحاول فهمه او تفسيره او مناقشة أي مسألة فيه، ومثال ذلك «مسألة العشاء الرباني»[2] التي لا يستسيغها العقل، حيث فرضتها الكنيسة على الناس، وحذرت عليهم مناقشتها، والا عرضوا انفسهم للطرد والحرمان.

---

(١) المصدر السابق / ص ٢٧ — ٢٨

(٢) يرمز هذا العشاء، -على حسب زعم النصارى- الى عشاء عيسى عليه السلام مع تلاميذه عندما اقتسم معهم الخبز والنبيذ، والخبز يرمز الى جسد المسيح عليه السلام الذي كسر من اجل نجاة البشر ية، واما الخمر فيرمز الى دمه الذي سفك من اجل ذلك.

وفي ذلك العشاء يأكل النصارى خبزاً و يشربون خمراً لاعتقادهم ان الخبز يستحيل الى جسد المسيح عليه السلام والخمر الى دمه وهذه الاستحالة تعني دخول وامتزاج جسد المسيح في جسد من فعل ذلك.

و يستند النصارى في دعواهم هذه الى ما ورد في انجيل متى ما نصه «وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر واعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي، واخذ الكأس وشكر واعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا»

انظر الاصحاح/٢٦/٢٦ — ٢٨

ولم يقتصر الامر على ذلك، فقد ادخلت الكنيسة آراء ونظريات جغرافية، وتاريخية، وفلكية، وغيرها من العلوم الطبيعية[1] في الكتب المقدسة، وصبغتها بصبغة دينية، لا يجوز لأحد معارضتها او مناقشتها.

«ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه في كتبهم المقدسة، بل قدسوا كل ما تناقلته الالسن، واشتهر بين الناس وذكره بعض شراح التوراة والانجيل ومفسريها من معلومات جغرافية وتاريخية وطبيعية، وصبغوها بصبغة دينية، وعدوها من تعاليم الدين وأصوله، التي يجب الاعتقاد بها ونبذ كل ما يعارضها»[2].

هذه لمحة موجزة عن نشأة الكنيسة وموقفها تجاه العلم.

أما بالنسبة لموقفها من العلماء، ومن الآراء والنظريات العلمية، وسير الحركة العلمية، فهذا ما سيتم تفصيله -باذن الله- في الفصل الثاني (سير الحركة العلمية في أوروبا).

وقبل الانتقال الى الفصل الأول، رأيت أن أعطي فكرة عن سلوك رجال الكنيسة بصفتهم القائمين على تنظيمها وادارتها.

سلوك رجال الدين الشخصي :

تأثر رجال الدين في البداية بالنصوص الانجيلية التي تدعوهم الى التقشف والتجرد من الدنيا، والانقطاع الى الآخرة، والحرمان من طيبات الحياة، من نساء وأموال وغير ذلك، ومن ذلك ما ورد في أنجيل «متى» في الاصحاح التاسع عشر «فقال يسوع لتلاميذه، الحق أقول لكم أنه يعسر أن يدخل غني الى ملكوت السموات، وأقول لكم أيضاً، ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله»[3].

---

(١) من ذلك ما ذكره «بطرس لومبارد» في كتابه اللاهوتي الكبير الذي سماه «الجمل» حيث ذكر فيه ان الحيوانات اصبحت ضارة ومؤذية نتيجة اخطاء الانسان!» وهذا الكتاب اصبح فيما بعد متناً للاهوت طوال القرون الوسطى، وسيتم باذن الله تفصيل ذلك في مبحث «سير الحركة العلمية في اوربا – باذن الله»

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / الندوي / ص ١٩٣

(٣) ٢٣، ٢٤

كما حثت النصوص الانجيلية على الرهبانية ـالتي ابتدعوها[1] ومن ذلك ما ورد في انجيل «متى» ما نصه : «و يوجد خصيان خصاهم الناس، و يوجد خصيان خصو انفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع ان يقبل فليقبل»[2].

ولا شك ان مثل هذه الأمور، تصادم الفطرة التي فطر عليها الانسان، وتحرمه من ملذات الحياة التي أحلها الله عز وجل، وتطبيقها يحتاج الى عزم وجلد وصبر.

ولكن ما أن وردت الاموال الى الكنيسة، بجانب زمام السلطة الذي كان بيدهم، حتى أخذ رجال الدين يبتعدون شيئاً فشيئاً عن الالتزام بما ورد في الكتب المقدسة، وطغى سلطان المادة وبدأت عوامل الضعف والانحراف تتسرب الى الكنيسة شيئاً فشيئاً، وبدأ رجال الكنيسة يستغلون سلطانهم الهائل في ملذاتهم وشهواتهم، حتى صاروا غارقين في البذخ والترف والفجور الذي يتعفف منه الفرد العادي من غير المتدينين.

ولكي لا أتهم بالتجني على هؤلاء، فهذه آراء الكتاب المسيحيين أنفسهم ساقها «ول ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» تصف فساد رجال الكنيسة:

تقول القديسة «كترين السينائية» : «إنك أينما وليت وجهك ـسواء نحو القساوسة او الاساقفة، او غيرهم من رجال الدين، أو الطوائف الدينية المختلفة، أو الأحبار من الطبقات الدنيا او العليا، سواء كانوا صغاراً في السن او كباراًـ لم تر الا شراً ورذيلة تزكم انفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، انهم كلهم ضيقوا العقل، شرهون ... تخلو عن رعاية الارواح ... اتخذوا بطونهم الهاً لهم، يأكلون و يشربون في الولائم الصاخبة، حيث يتمرغون في الاقذار و يقضون حياتهم في الفسق والفجور»[3].

و يصف «ماستشيو» الرهبان بأنهم «خدم الشيطان، منغمسون في الفسق واللواط والشره

---

(١) قال تعالى :«ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم...» الحديد/٢٧. وهذا يؤكد التحريفات والبدع التي ادخلها رجال الدين في كتبهم المقدسة ونسبوها الى المسيح عليه السلام.

(٢) ١٩ / ٢٠

(٣) قصة الحضارة/ج ٢١ — ص ٨٥

وبيع الوظائف الدينية، والخروج عن الدين، ويقر بأنه وجد رجال الجيش أرقى خلقاً من رجال الدين»[١].

ويذكر «ديوارنت»: أن سجلات الاديرة احتوت على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسي[٢] بين الرهبان والراهبات.

هذه هي اقوال الكتاب المسيحيين انفسهم حول سلوك رجال الكنيسة، الذين سيطروا على جميع جوانب الحياة، وأخضعوا كل شيء لهواهم، والى جانب ذلك فقد شمل الفساد «البابوات» انفسهم، الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء المسيح -عليه السلام- في الأرض! حيث انحطت أخلاقهم إنحطاطاً عظيماً، ولعل حياة البابا «اسكندر السادس» تصور مدى الفساد الذي استحوذ على حياة البابوات، فقد اتخذ له «**عشيقة**[٣]» موفورة الجمال صغيرة السن، اغتصبها من خطيبها، واحتفظ بها بعد ارتقائه كرسي البابوية»[٤].

والى جانب ذلك، فقد كان شديد الولع بالفتيات ويظل مشدوهاً بمنظر الفتيات شبه العاريات، وهن يرقصن أمامه.

بهذه الحياة الفاسدة الفاجرة، عاش رجال الكنيسة، والبابوات الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء القديس «بطرس» ونواب المسيح -عليه السلام- وان سلطانهم مستمد من المسيح مباشرة.

ولو انهم كانوا اسوة حسنة، واستخدموا سلطانهم الهائل في تهذيب الاخلاق، واصلاح الفساد، لما قام الصراع المرير بينهم وبين رجال حركة الاصلاح، والذي سوف يتم بيانه -باذن الله- فيما بعد.

ولكن هذه سنة الحياة، وهذه نتيجة كل سلطان يطغى ويفجر، ما لم يلتزم بما أنزل الله

---

(١) المصدر السابق / ج ٢١ — ص ٨٤

(٢) للاستزادة انظر المصدر السابق / ج ٢١ — ص ٨٤

(٣) اسمها «جيليا فارنيس»

(٤) انظر تفصيلاً / اوربا في مطلع العصور الحديثة / د. عبد العزيز الشناوي / ج ١ — ص ١٦٨

ويتقيه، وهكذا تتضح حقيقة الكنيسة، وكيف أنها طارئة على المسيحية، اذ لم يأت بها المسيح -عليه السلام- ولم يأمر بإنشائها، وكذلك اتضحت صفات رجالها وفساد اخلاقهم.

اما بالنسبة لموقف العهدين القديم والجديد من العلم، فهذا ما سيتم توضيحه -باذن الله- في الفصل الآتي.

الفصل الأول

موقف العهدين القديم والجديد من العلم

ان المتأمل في نصوص العهدين «القديم والجديد» يجد ان أغلبها يتحدث عن قصص تاريخية، وعن سير الانبياء ومواعظهم، وعن الصعوبات التي واجهتهم ...، و يكادان يخلوان من التشر يع والاحكام وفي ذلك يقول «ابو الفضل السعودي المالكي» المتوفي سنة ٩٤٢هـ : «انك ترى في هذه الكتب لم يذكر شيء من الأحكام الشرعية الا نادراً قليلاً جداً، وانما هي تحتوي على بعض المواعظ والنصائح ومحاورات المسيح مع اليهود»[١].

و يؤكد «ابن خلدون»[٢] هذه الحقيقة فيقول: «انها كلها مواعظ وقصص، والاحكام فيها قليلة جداً»[٣].

و بالاضافة الى ذلك، فانها لا تدعو العقل الى التدبر والتأمل في مخلوقات الله -عز وجل- وتسخير ما في الكون بما يعود على الانسان بالخير، بل اننا نجد العكس، فمثلاً نجد ان معظم النصوص الانجيلية تدعو الى نبذ الدنيا، والانقطاع الى الآخرة، ومثال ذلك ما ورد في انجيل «متى» في الاصحاح السادس، ما نصه: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون، وبما تشربون، ولا لاجسادكم بما تلبسون ... الى ان قال: فلا تهتموا للغد، لان الغد يهتم بما لنفسه»[٤].

---

(١) التخجيل / قسم المخطوطات — رقم ١٣٤٢/ص ٨

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤرخ وعالم اجتماعي له مؤلفات عديدة منها «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تار يخ العرب والعجم والبر بر» توفي عام ٨٠٨هـ / الاعلام /ج ٤ — ص ١٠٧

(٣) المقدمة / ص ٢٠٧

(٤) ٢٤ وما بعدها

كما يلاحظ ان كلاً من العهدين القديم والجديد لا يعطيان أهمية للعقل والفكر، والحث على طلب العلم بقدر ما يذكران من خوارق العادات والكرامات التي تكاد معظم النصوص تدور حولها، ومن ذلك ما ورد في انجيل «متى» : «اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لان كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له»[١].

وفي موضع آخر «فالحق أقول لكم، لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم»[٢].

وفي موضع آخر تذكر النصوص أن الإيمان أساس كل شيء، بما في ذلك شفاء المرضى والعميان وغيرهم، ومن ذلك ما ورد في انجيل متى :«ولما جاء الى البيت تقدم اليه الأعميان، فقال لهما يسوع : أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا، قالا له : نعم ياسيد، حينئذٍ لمس أعينهما قائلاً بحسب ايمانكما ليكن لكما، فانفتحت أعينهما»[٣].

وفي نفس الاصحاح ورد ان امرأة مصابة بنزيف الدم منذ اثنتي عشرة سنة، فلما مست طرف ثوب المسيح شفيت من المرض «فالتفت يسوع وأبصرها، فقال : ثقي ياابنة إيمانك قد شفاك»[٤].

ولا شك أن خوارق العادات والكرامات تحدث بمشيئة الله، ولكن عندما نجد أن الأناجيل مملوءة بذلك بالإضافة الى خلوها من أمر العقل بالتفكر والتدبر والحث على طلب العلم فإن المعتقد بها لا يحتاج حينئذ الى البحث في الأسباب والمسببات، والنظر في العلل والشرائط، فهو في غنى عن ذلك مادام بنى اعتقاده على ذلك التصور، والنتيجة المترتبة على ذلك هي تعطيل لقدرة الإنسان العقلية التي منحها الله لهذا المخلوق، وميزه بها عن سائر المخلوقات.

وبالإضافة الى ذلك، فهناك تعطيل آخر للعقل، وهو الإيمان بغير المعقول،مثل الإيمان

---

(١) ٧/٧ — ٨

(٢) متى / ١٧ / ٢٠

(٣) ٩ / ٢٨ — ٣٠

(٤) ٩ / ٢٢

«بالأقانيم الثلاثة»[١] التي هي واحد في نفس الوقت!، وهذه مسألة لا يمكن للعقل السوي أن يستسيغها.

كما يجب على العقل أن يسلّم بذلك تسليماً أعمى ولا يناقش في مثل هذه الأمور لأنها من الأسرار التي لا ينبغي للإنسان أن يناقشها، ومن يحاول ذلك فهو كافر وزنديق تجب معاقبته!.

كما ان الايمان منحة لادخل للعقل فيها! كما قال القديس «أنسليم» فيما ينقله عنه الشيخ «محمد عبده» : «يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت»[٢].

ولكن الويل كل الويل للذي يؤدي به اجتهاده الى شيء يخالف اعتقادهم، وينكر الوهية المسيح- عليه السلام- «ففي عام ١٥٠٠م أحرق- جيورجيوداتاڤار- في بولونيا، لأنه أنكر الوهية المسيح»[٣] وبالإضافة الى ذلك، فقد ورد في العهدين بعض الأمور التي لا تتفق في أغلبها مع الحقائق العلمية ومن ذلك ما ورد في التوراة.

١ - موقف العهد القديم من العلم :

إن المتأمل في العهد القديم يلاحظ أنه لم يتطرق الى قضايا تشريعية وعلمية بقدر ما يتعرض الى قصص ومعلومات تاريخية تظهر في بعضها المتناقضات واضحة،ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين، حيث يذكر أن الله- عز وجل- قرر قبيل الطوفان عمر الإنسان وأنه لا يزيد على مائة وعشرين سنة، تذكر التوراة: «فقال الرب : لايدين روحي في الإنسان الى الأبد،

---

(١) وهي ما تسمى بعقيدة التثليث، التي تبين طبيعة الله — عز وجل — على حسب اعتقادهم، وهو عبارة عن ثلاثة اقانيم متساوية، الله الآب، الله الابن، الله روح القدس! وهذا الاعتقاد عند عامة المسيحيين لايختلف فيه كاثوليك، ولاارثوذكس، ولا بروتستانت، ولهذا لا يتم التعميد حسب النصوص الانجيلية، الا بذكر ذلك، حيث ورد في انجيل متى في الاصحاح الثامن والعشرين: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن وروح القدس» ١٩.

(٢) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / ص ٢٦

(٣) للاستزادة انظر قصة الحضارة / ج ٢١ — ص ٨٧

لز يغانه هو بشر، وتكون أيامه مائة وعشر ين سنة»[١].

وبعد ذلك يلاحظ المرء في نفس السفر أن أبناء نوح -عليه السلام- عاشوا من ١٤٨سنة الى ٦٠٠ سنة، ومن ذلك ما ورد عن عمر «سام بن نوح» : «هذه مواليد سام، لماكان سام ابن مئة سنة ولد -أرفكشاد- بعد الطوفان بسنتين وعاش سام بعد ما ولد أرفكشاد خمس مئة سنة»[٢].

وهذه المتناقضات التاريخية وغيرها من القصص التي توجد في التوراة لا تعنينا بقدر ما يعنينا ذكر النصوص التي تناقض العلم، ومعظم هذه النصوص توجد في سفر «التكوين»، الذي يتعرض لخلق السماء، والأرض والماء، والظلمة والنور، وسائر المخلوقات، وغيرها من الأمور التي لا تتفق مع الحقائق العلمية، «بل لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم»[٣].

ومن ذلك ما ورد في سفر «التكوين» حول خلق العالم ومراحل ذلك الخلق، ما نصه : «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء، وقال الله ليكن نور، فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمةو ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً[٤]»[٥]

ويعلق «موريس بوكاي» على هذا النص قائلاً : «إن القول بوجود الماء في تلك المرحلة غلط»[٦].و يعلل ذلك بأنه في ذلك الوقت كان الكون عبارة عن كتلة غازية.

---

(١) سفر التكوين / ٦ / ٣

(٢) ١١ / ١٠ — ١١

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاي / ص ١٣

(٤) هكذا ورد اللفظ في التوراة.

(٥) سفر التكوين / ١ / ١ — ٥

(٦) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤١

أما بالنسبة لخلق الظلمة والنور، فإن ما ذكر حولها من نصوص تصطدم مع العقل والواقع، فمعلوم أن الله -عز وجل- خلق الأسباب والمسببات، وهذه النصوص تصطدم مع سنن الكون، إذ أن الليل والنهار هما عنصرا اليوم، واليوم لا يكون إلا بعد وجود الأرض التي تدور حول نفسها وحول الشمس، وحسب نصوص التوراة فإن اليابسة لم تتشكل أرضاً الا في اليوم الثالث[١]، أي حسب ترتيب التوراة - بعد أن خلق الله الظلمة والنور ! والليل والنهار ! فكيف يكون ليل ونهار قبل أن تتشكل الأرض ؟ وقبل أن تخلق الشمس ؟ -حسب نصوص التوراة- إذ أنها خلقت في اليوم الرابع كما سيتضح فيما بعد.

ومن ناحية أخرى فإن مصدر النور لم يخلق بعدو فالأنوار تنبعث من النجوم، وعلى حسب ما ورد في سفر التكوين فإن النجوم خلقت في اليوم الرابع «وقال الله : لتكن أنوار في جلد السماء، لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين، وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض، وكان كذلك، فعمل الله النورين العظيمين، النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم ، وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة، ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً»[٢].

ثم تتحدث النصوص بعد ذلك عن نشأة النبات والأعشاب، وكيف تثمر وتتناسل، ومن ذلك ما ورد في نفس الإصحاح ما نصه : «وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه، بزره فيه على الأرض، وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً»[٣].

---

(١) حيث ورد في الاصحاح الاول من سفر التكوين ما نصه : «وقال الله : لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد، ولتظهر اليابسة وكان ذلك» ٩ — ثم يذكر الاصحاح وقت ذلك ... «وكان صباح يوماً ثالثاً»١٣

(٢) سفر التكوين / ١ / ١٤ — ٢٠

(٣) سفر التكوين / ١ / ١١ — ١٣

و يعلق «موريس بوكاي» على هذا النص قائلاً «ان القول بامكانية وجود عالم نباتي في تلك الفترة ينتظم جيدا بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس[1] فذلك مالا يمكن مطلقا القول به»[2].

ثم تتحدث النصوص عن خلق الإنسان، ومتى كان ذلك، حيث ورد في نفس الإصحاح ما نصه : «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض... وكان صباح يوماً سادساً»[3].

ولم يقتصر الأمر على ذلك ـ من ترتيب خلق الإنسان بالنسبة لسائر المخلوقات ـ بل وصل الأمر من بعض الذين نبغوا في دراسة العبرانيات سيما الكتب المقدسة، أن حددوا اليوم الذي خُلِقَ فيه الإنسان، بل الساعة التي ظهر فيها ! ومن ذلك ما ذكره الدكتور «جون ليتفوت» وكيل جامعة **كمبردج**[4] ومن أشهر من نبغ في دراسة العبرانيات، أن نتيجة أبحاثه المستفيضة في التوراة والإنجيل ادت به إلى حقيقة أن : «الإنسان قد خلق بقدرة الثالوث الأقدس في ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد»[5].

ثم يضيف محددا الفترة الزمنية والساعة قائلاً: «وكانت الساعة التاسعة من الصباح !»[6].

ولا يعلم على أي أساس بنى هذا الدكتور معلوماته ؟ ! وكيف تكون النتيجة [illegible] أثبتت الدراسات «البيولوجية» ـ فيما لو عُثِرَ على عظم انسان قديم قبل هذا التاريخ ـ أن هذه المعلومات خاطئة ؟،الا يؤدي ذلك الى التشكيك في الكتب المقدسة، واعتبار ما جاء فيها ضرباً من ضروب القصص الخرافية ؟.

---

(١) على حسب ترتيب النصوص في التوراة، فان خلق الشمس كان في اليوم الرابع، [illegible] في الاصحاح الاول ما نصه : «فعمل الله النورين العظيمين، النور الاكبر -أي الشمس لحكم النهار- ... وكان صباح يوماً رابعاً»

(٢) دراسة الكتب المقدسة / ص ٤٢ بتصرف.

(٣) سفر التكوين / ١ / ٢٧

(٤) كان ذلك في القرن السابع عشر.

(٥) بين العلم والدين / اندرو يد يكسون وايت/ص ١٨٣

(٦) المصدر السابق / ص ١٨٣

وبعد ذلك تتحدث نصوص التوراة عن الطوفان، حيث ورد ذلك بشكل مفصل في الإصحاح السادس والسابع والثامن من سفر التكوين، وتدور الروايات حول تدمير الله لكل المخلوقات الحية عندما عم الفساد البشر، حيث أمر الله نوحاً ـ عليه السلام ـ ببناء سفينة وأمره أن يدخل فيها زوجته وأولاده، وزوجات أولاده، وكائنات أخرى بالإضافة الى طعام له وللكائنات، وبعد أن يبحر نوح ـعليه السلام- تغطي الأرض بالماءحتى قمم الجبال وتدمر جميع المخلوقات.[1]

ويعلق «بوكاي» حول هذه القصة قائلاً : «ان المعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة[2]»[3].

ويعلل ذلك، بأن المعارف التاريخية تثبت خلاف ذلك، حيث أن عصر ابراهيم ـ عليه السلام ـيحدد بالسنوات ١٨٥٠- ١٧٠٠ق.م تقريباً، فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من عصر ابراهيم ـكما يوحي بذلك سفر التكوين- فإن الطوفان وقع في القرن ٢١ أو ٢٢ ق.م ، وذلك العصر ظهرت فيه حضارات في نقاط مختلفة من الأرض، ويستشهد «بوكاي» بأمثلة تاريخية ليؤكد ما ذهب اليه فيقول :«على سبيل المثال، فهذه الفترة بالنسبة لمصر هي التي تسبق الدولة الوسطى ـ٢١٠٠ق.م- وهذا بالتقريب هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل

---

(١) من ذلك ماورد في سفر التكوين، في الاصحاح السادس ما نصه : «فقال الله لنوح، نهاية كل بشر قد اتت امامي، لان الارض امتلأت ظلماً منهم، فها انا مهلكهم مع الارض، اصنع لنفسك فلكاً من خشب.. فها انا آت بطوفان الماء على الأرض لاهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما في الارض يموت، ولكن اقيم عهدي معك، فتدخل الفلك انت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك، ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك، تكون ذكراً وانثى، من الطيور كاجناسها، ومن البهائم كاجناسها، ومن كل دبابات الارض كاجناسها، اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها، وانت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك، فيكون لك ولها طعاماً، ففعل نوح حسب كل ما امره به الله» ١٣ — ٢٢

(٢) «موريس بوكاي» لم ينكر الطوفان كحقيقة تاريخية، بل ينكر التاريخ الذي حددته التوراة لوقوع الطوفان.

(٣) دراسة الكتب المقدسة / ص ٥٣

الأسرة الحادية عشرة، وفي بابل أسرة ـ أور ـ الثالثة، ومن المعروف جيداً أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها كما تقول التوراة»[١].

ثم يعقب على نصوص الرواية قائلاً: «وإذا أردنا أن نكون موضوعيين فلا بد أن نقبل أن هذه النصوص التي وصلت إلينا لا تمثل تعبير الحقيقة»[٢].

وفضلاً عن مصادمة هذه الرواية للواقع التاريخي، فإنها وردت بروايات متناقضة لا يمكن للعقل السوي أن يستسيغها، فبينما ورد في الإصحاح السادس من سفر التكوين ـ كما ذكر ـ أن نوحا ـ عليه السلام ـ حمل معه في سفينته من كل حي، من كل ذي جسد اثنين، نجد في الإصحاح السابع من نفس السفر، أن نوحاً، عليه السلام حمل معه سبعة أزواج، ومما جاء: «وقال الرب لنوح: أدخل أنت وجميع بيتك الى الفلك، لأني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل، من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى»[٣].

كما نظر رجال الدين الى بعض المكتشفات العلمية، نظرة القانع بأنها من الأشياء البائرة التي يجب تركها وعدم الأخذ بها، حتى ولو كانت تلك المكتشفات تعود بالنفع على الإنسان !.

ومن ذلك مقاومتهم لمعالجة المرأة بالتخدير أثناء ولادتها «حيث لاقى اكتشاف التخدير مقاومة شديدة من قبل رجال الدين»[٤].

لأن في تخدير المرأة أثناء الولادة يخلصها من آلام العقوبة التي سجلت عليها في التوراة، حيث جاء في الإصحاح الثالث من سفر التكوين ما نصه: «وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً»[٥].

---

(١) المصدر السابق / ص ٥٣ — ٥٤

(٢) المصدر السابق / ص ٥٤

(٣) ١ — ٢

(٤) انظر بتصرف / الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / ص ٤٠

(٥) ٣ / ١٦

ومن ذلك أيضاً نظرتهم لعلم الفلك، حيث اعتبروه من الأشياء التي لا تستحق الإهتمام أو النظر، اعتماداً على حكمة ظاهرة بشرت بها التوراة مؤداها أن الأرض لا بد أن تزول سريعاً وأنه سوف تكون سموات جديدة وأرض جديدة.[١]

فلماذا إذن إعنات النفس في درس السموات القديمة والأرض القديمة مادامتا سوف تتبدلان سريعاً بسموات جديدة وأرض جديدة !، ولقد تجلى هذا الشعور بأجلى صورة في قول القديس «أوغسطين»[٢] : «أي شأن لي في أن أعرف إذا كانت السموات ككرة تتضمن الأرض معلقة في وسط الكون أم أنها تشرف مرتكزة عليها من كلا الجانبين ؟»[٣].

وقامت حملة أخرى وحرب جديدة على كل من يقول أن القمر يستمد نوره من انعكاس ضوء الشمس، لان في هذا القول مخالفة صريحة لما جاء في التوراة من أن القمر عبارة عن ضوء عظيم، حيث جاء في الاصحاح الأول من سفر التكوين ما نصه: «فعمل الله النورين العظيمين، النور الاكبر لحكم النهار، والنور الاصغر ـ اي القمر ـ لحكم الليل»[٤].

كما علل بعض القديسين قلة الضوء المنبعث من الشمس والقمر بانه ناتج عن خطيئة الانسان الاول! ومن ذلك ما كتبه القديس «ازيدور» اكبر رائد للفكر الارثوذكس في القرن السابع : «فقد مضى معتقداً بأنه منذ خطيئة الانسان الأولى و بناء على هذه الخطيئة قلت الأضواء التي كانت تنبعث من الشمس ومن القمر»[٥].

---

(١) جاء في الاصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء ما نصه : «لاني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تذكر الاولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا الى الابد في ما أنا خالق» ١٧ — ١٨. وجاء في نفس السفر في الاصحاح السادس والستين ما نصه : «لانه كما ان السموات الجديدة والارض الجديدة التي انا صانع تثبت امامي، يقول الرب : هكذا يثبت نسلكم واسمكم» ٢٢.

(٢) القديس «اوغسطين» من اعظم آباء الكنيسة، دافع بقوة عن المسيحية، وكان من اقوى الشخصيات تأثيراً في تاريخ الكنيسة، انظر / الموسوعة الثقافية / ص ١٥٦

(٣) انظر تفصيلاً / بين العلم والدين / وايت / ص ٣١

(٤) ١٦

(٥) بين العلم والدين / ص ٣٣

وحاول ان يدعم قوله بنصوص استمدها من سفر اشعياء[1].

كما لاقت نظرية «كوبر نيكوس»[2] محاربة شديدة من قبل رجال الكنيسة، لان فيها -على حد زعمهم- مخالفة لما جاء في الكتب المقدسة، ومن ذلك ما كتبه اللاهوتي «فروماندوس» في مقالته التي سماها «ارسطارخس» حيث بدأ أول صفحة منها بلعنة «كوبرنيكوس»[3] ثم اعلن «ان التنزيل يقاوم -كوبر نيكوس- وانصاره»[4].

ومن أجل أن يبرهن على فساد نظرية «كوبر نيكوس» وأنها ضرب من ضروب الكفر والالحاد، رجع الى النصوص المقدسة التي تتحدث عن شروق الشمس وغروبها وثبات الارض، حيث استند الى نص من التوراة جاء فيه، ان الارض ثابتة الى الأبد، ومن ذلك ما ورد في الاصحاح الاول من سفر الجامعة: «ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس، دور يمضي ودور يجيء، **والارض قائمة الى الأبد** والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق»[5][6].

---

(١) انظر تفصيلاً / سفر اشعياء / الاصحاح الستين، ومن ذلك ما ورد في الاصحاح الخامس من نفس السفر «فان نظر الى الارض فهوذا ظلام الضيق والنور قد اظلم» ٣٠

(٢) حيث يقول : ان الشمس لا تدور من حول الارض، بل ان الارض وبقية السيارات هن اللائي يدرن حول الشمس.

(٣) كوبر نيكوس / فلكي عظيم، وهو اول من اكتشف ان الارض والكواكب الاخرى تدور حول الشمس، ولد في بولنده سنة ١٤٧٣م ومات سنة ١٥٤٣م. انظر / دائرة معارف الناشئين / ص ٢٨٤

(٤) بين العلم والدين / ص ٧٣

(٥) ولم يقتصر الأمر على هذا اللاهوتي بل ان كثيراً من اللاهوتيين قالوا : ان دعائم الارض مثبتة تثبيتاً. بحيث انها لن تتحرك او تتحول من مكانها، واستندوا الى ما جاء في المزمور السادس والتسعين «قولوا بين الامم، الرب قد ملك، ايضاً تثبتت المسكونة — اي الارض — فلا تتزعزع» ١٠

وللاستزادة حول هذا الموضوع انظر كتاب / بين العلم والدين / ص ٦١ وما بعدها.

(٦) ٣ـ٥

ومن أجل ان يظهر فساد نظرية «كوبرنيكوس» من جهة العقل، تراه يقول: «لو كانت صحيحة فلا بد من ان يستمر الهواء هاباً من جهة الشرق على الدوام، وان البنايات المشيدة فوق الارض بل الارض نفسها كان ينبغي ان تطير هائمة في الفضاء بقوة اندفاع عظيمة تستلزم ان يتهيأ الناس بمخالب كمخالب القطط حتى يستطيعوا ان يبقوا فوق ظهرها بان يثبتوا مخالبهم فيما تصل اليه من الاجسام!»[١].

كما ساد الاعتقاد بان اورشليم تقع في مركز الارض، وان كل ما عداها من بقاع العالم يقع على حفاف المدينة المقدسة، وظل هذا الاعتقاد معتبراً عند اغلب الناس، بل ان الكثيرين من واضعي الخرائط الجغرافية رسموا خرائطهم حسب ذلك الاعتقاد، ومن ذلك ما جاء في كتاب «السياحة» المنسوب الى القديس «يوحنا منذفيل» -وكان كتابه كثير الذيوع خلال القرون الوسطى- من ان اورشليم تقع في مركز الارض.

وهذا الاعتقاد مستمد من التوراة حيث جاء في سفر «حزقيال» ما نصه: «هكذا قال السيد الرب هذه اورشليم في وسط الشعوب قد اقمتها وحواليها الاراضي»[٢].

وهذه النصوص جعلت القديس «جيروم» يعلن «ان اورشليم لا يمكن ان تكون في مكان ما لم تكن في مركز الارض»[٣].

وكيف يستطيع «الجغرافيون» ان يظهروا الحقيقة العلمية -فيما لو اتضحت لهم- و يبينوا خطأ ما ورد في النصوص المقدسة، فماذا سيكون مصيرهم؟

لا شك ان مصيرهم سيكون كمصير من قال بكروية الارض، وانها تدور حول الشمس، ومصير من قال: ان القمر يستمد نوره من الشمس ...الخ.

ولم يقتصر الأمر على محاربة كل نظرية او حقيقة علمية تعارض النصوص المقدسة، بل وصل الامر الى محاربة كل علم لم يذكر له سند في الكتب المقدسة!.

---

(١) بين العلم والدين / ص ٧٤ — ٧٥

(٢) سفر حزقيال / ٥ / ٥

(٣) بين العلم والدين / ص ١٤٤

ومثال ذلك فكرة وجود اناس يسكنون في الجهة المقابلة من الارض[١]، فقد لاقت هذه الفكرة حرباً عنيفة من قبل رجال الكنيسة، وذلك لأن التوراة لم تذكر وجود بشر يعيشون في تلك البقاع! ومن الذين انكروا ذلك، القديس اوغسطين فإنه على الرغم من انه اظهر بعض الميل الى الاعتقاد بكروية الارض، الا انه حارب فكرة وجود أناس على الجانب الآخر، مستنداً الى القول: «بان التوراة، لا تذكر من أبناء آدم سلالة كهذه»[٢].

وهكذا يتضح، كيف ان النصوص المقدسة التي تطرقت الى الكون والمخلوقات، والظواهر الجغرافية، وعلم الفلك، وغير ذلك من العلوم، كانت بمثابة العقبة الرئيسية امام سير الحركة العلمية في اوروبا، وكيف ان الحقائق العلمية لاقت حرباً شعواء، من قبل رجال الكنيسة، لانها -على حد زعمهم- تخالف ما جاءت به الكتب المقدسة.

أما بالنسبة لتعذيب العلماء، واضطهادهم من قبل رجال الكنيسة، لانهم قالوا بما لا يتفق مع نصوص التوراة، فهذا ما سيتم تفصيله في الفصل القادم -سير الحركة العلمية في أوروبا- باذن الله.

٢ - موقف العهد الجديد من العلم:

ان المتأمل في الاناجيل يجد «كما ذُكر» انها تحتوي على عدد قليل جداً من النصوص التي تتطرق الى النظريات او الحقائق العلمية، فأغلب النصوص، تدور حول معجزات المسيح -عليه السلام- وخوارق العادات، التي حدثت في عهده، ومثل هذه الأمور لا يمكن نقدها من الناحية العلمية؛ لان المعجزات وخوارق العادات تحدث باذن الله -عز وجل- خلافاً لمألوف البشر، ولنواميس الكون، وقوانينه الطبيعية، ولكن محل النقد هو، ان معظم النصوص الواردة في العهد الجديد تتحدث عن مثل هذه الأمور، مما يجعل الشخص المعتقد بها، لا يحتاج الى التفكير والتدبر والتأمل والنظر والبحث في الاسباب والمسببات والعلل، وغير ذلك من الامور التي توصل الانسان الى الحقائق والنتائج.

---

(١) سوف يتم تفصيل ذلك في «موقف العهد الجديد من العلم»

(٢) بين العلم والدين / ص ١٥١

فكيف يمكن للعقل دراسة أسباب المرض واعراضه وكيفية معالجته، ما دام الشفاء يتم بحسب مقدار ايمان الشخص[١]؟! وكيف يمكن دراسة الظواهر الطبيعية والعلوم الجغرافية والفلكية وغير ذلك من العلوم، ما دام كل شيء يمكن التوصل اليه عن طريق الايمان؟ بل بمقدار وجود حبة خردل منه! حيث جاء في الاصحاح السابع عشر من انجيل «متى» ما نصه: «فالحق اقول لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم»[٢].

ولا شك ان للايمان دوراً كبيراً في تقدم العلوم، حيث ان الله -عز وجل- يلهم العلماء الى الطريق السوي، ويمهد لهم السبل، ويوفقهم في علومهم وابحاثهم بدليل قول الله -عز وجل- : «... واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم»[٣].

وقوله تعالى : «... ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب ...»[٤].

ولكن المقصود بالايمان هنا؛ ذلك المقرون بطاعة الله -عز وجل- والعمل **بكتابه** الذي يدعو الى التفكر والتأمل والتدبر والبحث في الاسباب والمسببات، وليس الايمان القائم على الاعتقاد بخوارق العادات والمعجزات فقط.

وبالاضافة الى ذلك، فاننا نجد التناقض والتضارب واضحين بين الاناجيل، بل في الانجيل الواحد ومن ذلك ما ورد في انجيل «يوحنا» حيث جاء فيه ان المسيح -عليه السلام- يذكر ان شهادته لنفسه حق، «أجاب يسوع وقال لهم : وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني اعلم من اين أتيت والى أين أذهب»[٥].

---

(١) حيث جاء في الاصحاح التاسع من انجيل «متى» ان المسيح عليه السلام علل شفاء العميان بحسب ايمانهم، «حينئذٍ لمس اعينهما قائلاً بحسب ايمانكما ليكن لكما، فانفتحت اعينهما» ٢٩ — ٣٠

(٢) ٢٠

(٣) سورة البقرة / ٢٨٢

(٤) سورة الطلاق / ٢ — ٣

(٥) الاصحاح ٨ / ١٤

بينما نجده -عليه السلام- في موضع آخر -على حد زعم الاناجيل- يقول بخلاف ذلك، حيث جاء في الاصحاح الخامس من نفس الانجيل ما نصه: «ان كنت اشهد لنفسي، فشهادتي ليست حقاً، الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم ان شهادته التي يشهدها لي هي حق»[١].

«ومما جاء في الانجيل من تناقض انه قال: لا تحسبوا اني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم لكن، لألقى المحاربة بينهم، انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه وبين الابنة وامها، حتى يصير اعداء المرء أهل بيته[٢].

وفي الانجيل أيضاً عنه انه قال[٣]: انا قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس، ففي الاول جعل المسيح نفسه نقمة، وفي الثاني رحمة عليهم»[٤].

كما ورد الاختلاف والتناقض حول شجرة نسب المسيح -عليه السلام- «فبينما يصل في انجيل متى الى ٤٠ طبقة حتى يصل[٥] الى ابراهيم - عليه السلام - نجده في انجيل لوقا يصل الى ٥٥ طبقة حتى يصل الى ابراهيم - عليه السلام - »[٥].

وبالاضافة الى ذلك، فقد ورد الاختلاف في ذكر الاسماء، فبينما نجد ذكر نسب المسيح - عليه السلام - في انجيل متى بانه ينسب الى يوسف بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن اليود بن أخيم[٦]

---

(١) ٣١ — ٣٢

(٢) انظر هذا المعنى في انجيل متى الاصحاح العاشر / ٣٤ وما بعدها.

(٣) حيث جاء في الاصحاح الخامس عشر من انجيل «يوحنا» ما نصه : «هذه هي وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم، ليس لأحد حب اعظم من هذا ان يضع احد نفسه لأجل احبائه، انتم احبائي ان فعلتم ما اوصيكم به» ١٢ — ١٤

(٤) بين الاسلام والمسيحية / لابي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ / تحقيق / د. محمد شامة / ص ١٨٧

(٥) النصرانية والاسلام / المستشار محمد عزت الطهطاوي / ص ٢٢٩

وللاستزادة انظر / نسب المسيح الى ابراهيم في انجيل متى في الاصحاح الاول وفي انجيل لوقا آخر الاصحاح الثالث.

(٦) حيث جاء في الاصحاح الاول من انجيل متى ما نصه : «وأخيم ولد أليود واليود ولد اليعازر واليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب و يعقوب ولد يوسف» ١٤ — ١٦

نجد في أنجيل «لوقا» خلاف ذلك، حيث نسب «يوسف» الى ابن هالي وليس الى يعقوب كما ورد في انجيل «متى»[١].

ولا شك ان مثل هذه التناقضات الكثيرة، الواردة في الاناجيل، تجعل العقل يقف أمامها حائراً، ويفقد الانسان ثقته بها، لان مثل هذه النصوص تعارض المنطق السليم، ولا يمكن للعقل السوي ان يستسيغها، فضلاً عن قبولها، وهذا ما حدث «لاحد ملوك العجم، حيث عاب الاناجيل عندما اطلع عليها، ولاحظ فيها التناقض، خصوصاً فيما يتعلق بنسب المسيح عليه السلام»[٢].

أما بالنسبة للأخطاء التي لا تتفق مع معطيات العلم -والتي ذكرنا بانها قليلة جداً- فهي معارضة رجال الكنيسة لقبول فكرة وجود بشر يقطنون الجهة المقابلة من الارض، عندما شاع القول بكروية الارض، واستندوا في ذلك الى نص ورد في رسالة «بولس» الى أهل رومية، حيث جاء في الاصحاح العاشر ما نصه : «الى جميع الارض خرج صوتهم، والى أقاصي المسكونة [illegible]»[٣].

وهذا يعني -على حد فهم رجال الكنيسة- ان المسيح -عليه السلام- ذهب الى أهل الارض، ليبشرهم بالانجيل، وما دام لم يرد في الاناجيل ذكر وصول المسيح -عليه السلام- الى الجهة المقابلة، فهذا معناه عدم وجود اناس يقطنون هناك!

وبناء على هذا الفهم، صرح القديس «أوغسطين» للناس : «بان التبشير بالانجيل ما دام لم يصل الى الناحية المقابلة من الارض، فلا يمكن ان يكون هناك من السلالة البشرية أثر ما»[٤].

---

(١) حيث جاء في الاصحاح الثالث من انجيل لوقا ما نصه : «يوسف بن هالي» ٢٣

(٢) بين الاسلام والمسيحية - بتصرف - ص ١٨٠

(٣) ١٨

(٤) بين العلم والدين / وايت / ص ١٥٢

كما هاجم «برو كو بيوس الغزي» كل من يقول بوجود بشر في الجهة المقابلة للارض، مستنداً الى «اذا كان على الجهة المقابلة في الارض اناس، لوجب ان يذهب المسيح اليهم، وان يقضي صلباً في سبيل خلاصهم مرة ثانية»[١].

ولم يقتصر الامر على ذلك، -أي مهاجمة ونقد من يقول بذلك- ففي أوائل القرن الرابع عشر رأى رجال الكنيسة في ايطاليا ان الضرورة تقضي عليهم بان يعالجوا مثل هذه الأمور بالقوة.

«ففي سنة ١٣١٦م لم يفلت -بطرس ألبانو- وكان مشهوراً كطبيب من يد محكمة التفتيش الا بان ادركته الوفاة من قبل ان تمتد يدها اليه، تلقاء ما روج من مذهب -الانتيبود[٢]- وغيره من مذاهب العلم.

وفي سنة ١٣٢٧م طرد -شيكودا سكولي- وكان فلكياً ذا شهرة وعلم، من استاذية جامعة -كولونيا- واحرق حياً في -فلورنسا- لانه علم مذهب -الانتيبود- وغيره من حقائق العلم»[٣].

كما قامت حملة عنيفة ضد «جاليليو»[٤] لأنه إكتشف بمنظاره،ان هناك سيارات اخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة، حيث جاء في سفر «رؤيا يوحنا اللاهوتي» في الاصحاح الاول ما نصه : (فاكتب ما رايت، وما هو كائن، وما هو عتيد ان يكون بعد هذا، سر السبعة الكواكب التي رأيت على يميني والسبع المنابر الذهبية، السبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس ...)[٥].

---

(١) المصدر السابق / ص ١٥٣

(٢) يقصد بهم — البشر الذين يقطنون في الجهة المقابلة.

(٣) المصدر السابق / ص ١٥٦

(٤) جاليليو / عالم الطبيعيات، ايطالي ولد بمدينة بيزا سنة ١٥٦٤، اشتغل بتدريس الرياضيات والفلك، وفي سنة ١٦١٠م نشر رسالة ايد فيها نظرية كوبرنيكوس عن دوران الارض حول الشمس، مما اثار رجال الكنيسة عليه، توفي سنة ١٦٤٢م، انظر / دائرة المعارف الحديثة /ج ٢ — ص ٥٩٣

(٥) ١٩ — ٢٠

لاجل هذا فقد قامت قيامة الكنيسة، واعلنوا ان هذا القول كفر والحاد، ومخالف لما جاء في الكتب المقدسة، وقالوا: «لا يمكن ان يوجد اكثر من سيارات سبع، وبرهاننا على ذلك وجود تلك المنابر السبع التي ذكرت في سفر رؤيا -يوحنا- اللاهوتي»[1].

ثم أخذ رجال الكنيسة يذكرون أدلة أخرى لدحض آراء «جاليلو» فقالوا: «واذا كان هناك سيارات اخرى، وكانت حكمة الله تقتضي أن لا يخلق من شيء عبثاً، ترتب على هذا ان تكون تلك السيارات مأهولة، وهنا نتساءل، كيف يمكن ان يكون اهلها قد تناسلوا عن آدم؟ وكيف يمكن ان يرجعوا بأصلهم الذين هم مدينون بوجودهم له الى سفينة نوح؟ وكيف نعتقد بان المسيح منقذ النوع الانساني قد كفر عنهم؟»[2].

وهكذا افترض رجال الكنيسة بان وجود سيارات اخرى غير الارض يعني وجود بشر يقطنون بها ثم أخذوا يتساءلون عن امكانية التوفيق بين هذا القول، وبين ما جاء في الكتب المقدسة، فاكتشفوا ان هذا القول لا يمكن ان يتفق مع النصوص المقدسة، لهذا قاموا بحملتهم العنيفة على «جاليلو».

كما نظر رجال الكنيسة الى علم «الجغرافيا» نظرة القانع بانها من الاشياء التي لا تستحق الاهتمام، والدراسة، والبحث، لان الارض كلها ستفنى في موعد قريب، كما بشرت بذلك الاناجيل، ولان عيسى -عليه السلام- كان يدعو الى الاهتمام بملكوت الله -عز وجل- وعدم الاهتمام بالدنيا -على حد زعمهم- حيث جاء في الاصحاح الرابع من انجيل «متى» ما نصه: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله»[3].

لأجل هذا مضى «ايوسبيوس» أحد رجال الكنيسة، مقتنعاً بعدم الاهتمام بمثل هذه العلوم، لاعتقاده بقرب فناء الأرض وهلاك اهلها، لهذا تراه في كل ما كتب قانعاً بانه ليس من شأنه ان ينقض فكرة القول بكروية الارض، لا لأنها من وجهة نظره غير صحيحة علمياً، بل لأن مجرد التفكير في مثل هذه الأمور جهد ضائع وعمل بائر لا فائدة من خلفه!

---

(١) بين العلم والدين / وايت / ص ٥٩

(٢) المصدر السابق / ص ٦٥

(٣) ١٧

لهذا قال موجها كلامه الى الباحثين : «اننا لا يجب ان نفكر في مثل هذه الأشياء، لا لأننا نجهلها، بل لأننا نزدري عملا تُذهب نتائجه سدى»[1].

نتيجة للاسباب الآنفة الذكر، علل كثيرون من كتاب اوروبا، ومن بينهم «وايت» أسباب تأخر العلوم في اوروبا، وانه كان نتيجة لتسلط وسيطرة رجال الكنيسة على المناهج التعليمية ومحاكمة اي عالم يصرح او يكتب آراء تخالف ظاهر النصوص المقدسة، وفي نظرة -وايت- انه عندما لا يكون للكنيسة سلطان أو هيمنة، فان العلوم تتقدم وتزدهر، حيث يقول: «ومن بين الرجال الذين لم يكن للكنيسة عليهم من سلطان، ظهرت فئة في مختلف البقاع والأزمان، ابرزت للوجود مؤلفات ارقى نزعة وأثمن قيمة، ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر دوّن «عبد اللطيف»[2] ملاحظاته في تاريخ مصر الطبيعي، فكان في هذه الملاحظات قدر غير ضئيل من الروح العلمي البحت»[3].

ولا شك ان مثل هذه النصوص - التي جاءت بها الكتب المقدسة- والتي تمسك بها رجال الكنيسة واعتبروها المرجع الاساسي لكل العلوم، ادت في النهاية الى النزاع الشديد بينهم وبين العلماء، حيث ان معطيات العلم وكشوفات العلماء، وابحاثهم، والنتائج التي توصلوا اليها، كشفت لهم ان هناك تناقضاً كثيراً بين النتائج التي توصلوا اليها، وبين ما جاءت به تلك النصوص المقدسة، لأجل هذا نشأ الوضع الخطير، الذي جعل رجال الكنيسة يناصبون العلماء العداء، وبالمقابل أخذ العلماء يشككون في صحة هذه الكتب، وطبعوا العلم بطابع الالحاد واللادينية، مما ادى الى ظهور «العلمانية» وهذا ما سيتم توضيحه -باذن الله- فيما بعد

وهكذا يتضح، موقف العهدين القديم والجديد من العلم، وكيف ان النصوص التي وردت بشأن العلم كانت بمثابة العقبة الكبرى في سبيل تقدم العلوم وازدهارها.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت الكنيسة تنظر الى تلك الكتب نظرة القانع بانها حاوية

---

(١) بين العلم والدين / وايت / ص ١٢٩

(٢) يقصد عبد اللطيف البغدادي، احد علماء المسلمين الذين نبغوا في علوم شتى ابرزها علم الجغرافيا، توفي سنة ٦٢٩ هـ.

(٣) المصدر السابق / ص ٢٣١ — ٢٣٢

على كل انواع العلوم والمعرفة، فهي تزود الانسان بمعارف الدنيا فضلاً عن هدايته، وان أي مخالفة لظاهر تلك النصوص، التي جاءت في الاسفار ورسائل الحوار يين يعتبر صاحبها، كافراً وملحداً يجب معاقبته.

وعلاوة على ذلك، فقد اعتبر رجال الكنيسة، ان المصدر الاوحد لكل انواع العلوم والمعرفة هو ما ورد في تلك الكتب المقدسة! ولعل ابرز مظاهر هذا الاعتقاد، يظهر في قول القديس «اوغسطين» في كتابه «تعليقات على سفر التكوين» حيث يقول: «لا يمكننا ان نقبل شيئاً الا اذا ايدته الكتب المقدسة»[1].

وكذلك في قول «لوثر» احد زعماء الاصلاح في اوروبا، حيث اعتبر النصوص المقدسة «النبع الاوحد لكل العلوم»[2].

هذا هو موقف العهدين القديم والجديد من العلم، اما بالنسبة لموقف رجال الكنيسة من العلم والعلماء، وسيطرتهم على المناهج التعليمية، وسير الحركة العلمية في اوروبا، فهذا ما سيتم بيانه -باذن الله- في الفصل القادم.

---

(١) المصدر السابق / ص ٢١١

(٢) المصدر السابق / ص ٢١٢

الفصل الثاني

سير الحركة العلمية في أوروبا
في
العصور الوسطى

... إتضح من مقدمة «الباب الثاني» ـنشأة الكنيسةـ كيف ان الكنيسة الطارئة على الديانة المسيحية تطورت حتى اصبحت بمثابة الدولة، التي اخذت تتدخل في شئون العامة والخاصة، وكيف انها تحكّمت في الشئون الدنيوية، فضلاً عن شئونها الدينية، حتى اصبح لها سلطان ضخم ممثل في رجال الدين، وعلى رأسهم «البابا» الذي كان يطاع كطاعة الله ـعز وجلـ!.

فكلامه كان بمثابة النصوص المقدسة، وكل ما ينطق به يجب ان يطاع، ولعل هذه السلطة المطلقة، التي كان يتمتع بها «البابا» تعود الى سببين:

أ ـ ان البابا يعتبر نفسه خليفة القديس «بطرس» الذي انابه السيد المسيح ـعليه السلامـ عنه حيث جاء في انجيل «متى» في الاصحاح السادس عشر ما نصه: «واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً في السموات»[1].

كما ورد في الاصحاح الثامن عشر «الحق اقول لكم: كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولاً في السماء»[2]

لهذا فسلطة «البابا» في نظر المسيحيين مستمدة من تعيين المسيح له مباشرة!.

وما دام المسيح ـعليه السلامـ أحد الاقانيم الثلاثة!، لهذا يجب طاعة ممثله على الارض كيفما امر.

---

(١) ١٩

(٢) ١٨

ب ــ طاعة عامة الناس للرؤساء طاعة عمياء، بناء على ما امرتهم به الكتب المقدسة، حيث جاء في رسالة «بولس الرسول» الى اهل «تيطس» في الاصحاح الثالث: «ذكرهم ان يخضعوا للرياسات والسلاطين و يطيعوا و يكونوا مستعدين لكل عمل»[١].

وبناءً على هذا المعتقد، اخذت الكنيسة تبسط نفوذها وسيطرتها، حتى شملت الشئون السياسية والمالية، والتعليمية وغير ذلك من الشئون.

ولبيان مدى نفوذ الكنيسة ــ التي كانت تتحكم في سير الحركة العلمية في اوربا ــ رايت إعطاء لمحة موجزة عن سيطرتها السياسية والمالية، ثم افصل بعد ذلك مدى سيطرتها التعليمية.

١ ـ سيطرتها السياسية :

كان «للبابا» سلطان خطير، باعتباره ممثل الله في الارض، ولقد استغل هذا المنصب فأخضع لسلطانه جميع الملوك والمسئولين، فلا يستطيع احد ان يحكم، أو ان يكون ملكاً إلا باذنه ورضاه!، ولعل ما اعلنه البابا «أنسنت الثالث سنة ١١٩٨ ــ ١٢١٦م» يوضح لنا مدى نفوذ وسيادة البابا، حيث يقول: «ان الخادم ــ و يقصد البابا ــ الذي اقامه الله على شعبه انما هو نائب المسيح، وخليفة بطرس، فهو قائم بين الله، و بين عباده، دون الرب وفوق البشر، وهو يحكم الجميع، ولكن لا يحكمه احد»[٢].

كما اعلن البابا «غريغورس السابع سنة ١٠٧٣ ــ ١٠٨٥م» : «ان الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله، تستمد نفوذها من الله مباشرة، وتمد هي ملوك الارض وامراءها بالنفوذ»[٣].

ثم يضيف مبيناً مركز «البابا» فيقول: «وان البابا له مركز فذ في العالم، فهو الذي يولي

---

(١) ١

(٢) معالم تاريخ العصور الوسطى / ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق / ص ١٣٧

الاساقفة ويخلعهم، وله الحق في خلع الاباطرة»[1].

و يعلل هذا النفوذ فيقول: «لأنه سيدهم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون»[2].

و يبين الآتي مدى نفوذ البابا في تعيين الملوك والاباطرة:

أ ــ اعلن البابا «هادر يان الرابع سنة ١١٥٢ ــ ١١٩٠م» بعد ان توج الامبراطور «فردر يك بر بورس»، ان الامبراطور مدين له بتاجه، وان الامبراطور ية انما هي منحة منحها البابا لفردر يك[3].

ب ــ صدر امر من البابا سنة ١٠٧٦م بحرمان الامبراطور «هنري الرابع»[4] من حكم البلاد ــ انجلترا ــ لان البابا غضب عليه، فلم يعد لهذا الملك قيمة ولا وزن، لهذا اضطر للسفر الى مقر البابا «بروما»، «ووقف مستأذنا على باب قلعة «كانوسا» في شمال «ايطاليا» بالقرب من «بارما» حيث كان «البابا» نازلاً وهو في طر يقه الى «المانيا» والتمس المثول بين يديه ثلاثة ايام متوالية، وهو عاري الرأس، حافي الاقدام، لابساً لباساً من الوبر، واخيراً اذن البابا له بالمثول، وغفر له ذنبه، ورفع عنه النقمة»[5].

ولعل هذه السيطرة المطلقة من قبل البابا، والاذلال الشديد للملوك والاباطرة، لم يشهد لها مثيل في التار يخ.

٢ ــ سيطرتها المالية:

وفي الوقت الذي تحكمت فيه الكنيسة، في الشئون السياسية، نجد انها بسطت نفوذها وسيطرتها، لتشمل جمع الاموال، فاخذت تفرض على الناس، ان يدفعوا عشر اموالهم، وتجبي

---

(١) المصدر السابق / ص ١٣٧ (٢) المصدر السابق / ص ١٣٧

(٣) انظر تفصيلاً المصدر السابق / ص ١٤٥

(٤) هنري الرابع / احد ملوك انجلترا، عاش ما بين ١٠٥٠م الى ١١٠٦م وهو ابن الملك هنري الثالث، ثارت تعييناته للاساقفة سخط البابا، فغضب عليه، فرحل الى «كانوسا» حيث منحه البابا الغفران / انظر ص ١٩٠٧ من الموسوعة العربية الميسرة.

(٥) المصدر السابق / ص ١٤٠

الضرائب، وتبيع صكوك الغفران[1]، وغير ذلك من الامور، حتى اجتمعت لديها اموال وفيرة، واصبح رجالها غارقين في البذخ والترف.

«وكانت العشور، اكبر مصادر هذا الايراد، ذلك ان قانون الدولة فرض بعد «شارلمان» على جميع الاراضي التي يمتلكها غير رجال الدين، ان تؤدى عشر مجموع غلتها أو ريعها عيناً او نقداً الى الكنيسة»[2].

ويزيدنا «شارل» في ذلك، قائلاً: «كان الكهنة اعلى الطبقات، ولهم وحدهم من الاملاك الوسيعة ما يقرب من ربع ارض المملكة ـ يقصد فرنسا ـ فضلاً عما كانوا يضربونه من المال على الحاصلات مما يسمونه العشر، ومقداره مئة وخمسة وعشرون مليوناً في السنة»[3].

وبالاضافة الى ذلك، فقد كانت املاك الكنيسة معفاة من الضرائب.

٣ ـ الكنيسة .... وسير الحركة العلمية :

احتجزت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير الكتاب المقدس، وحظرت على أي عقل خارج جهازها الكهنوتي تفسير أومناقشة النصوص المقدسة.

ولم يقتصر الأمر على الكتاب المقدس، بل فرضت على الناس قبول بعض الآراء والأفكار والنظريات ـ التي تتعلق بالجغرافيا والفلك وغير ذلك من العلوم العقلية ـ وجعلتها بمثابة النصوص المقدسة التي لا يجوز مخالفتها أو تصحيحها! وأن أي قول بخلافها يعتبر في نظرها كفراً وإلحاداً!.

وقبل ذكر تلك الأفكار والنظريات أرى إعطاء فكرة عن مستوى التعليم في اوربا ـ في العصور الوسطى ـ نقلتها عن الكتاب المسيحيين أنفسهم لتكون خير شاهد عليهم.

---

(١) سوف نتحدث عن هذه المسألة في الفصل الثالث ـ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة ـ باذن الله.

(٢) قصة الحضارة / ج ١٦ ـ ص ٦٨

(٣) تاريخ التمدن الحديث / ص ٦٥

يذكر «جوستاف جرونيباوم» في كتابه «حضارة الإسلام» مستوى التعليم في أوربا -في القرون الوسطى- فيقول : «لم يكن بين يدي اوساط الناس في العالم المسيحي اللاتيني الا معلومات خالية من الضبط والدقة»[١] ثم يدلل على كلامه بايراد بعض الأمثلة فيقول : «فهذا يولو جيوس القرطبي أوسع قساوسة عصره علماً... يورد عن الرسول العربي أكاذيب وتخرصات عجيبة»[٢].

كما يتعرض لنفس القضية «فيشر» في كتابه «تاريخ أوربا في العصور الوسطى» فيقول : «وفي هذه المرحلة الزمنية بحث العقل البشري -يقصد في أوربا- مسائل الروح والقلب والحواس ، وكل شيء عدا الطبيعة فإذا سأل أحد في ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، لم يستطع متابعة سؤاله حتى النهاية ، وبقي السؤال دليلاً من دلائل اللقانة العابرة العقيمة في تلك العصور»[٣].

ثم يضيف عما إذا كان هناك تقدم في ميادين العلوم فيقول : «ولذا ظل التقدم معدوم الخطى في ميادين البحوث والكشوف التي تزيد من سيطرة الإنسان على قوى المادة الغشوم ، وترفع من مستوى الخير العام»[٤].

ثم يستشهد ببعض الأمثلة ليدلل على كلامه فيقول : «بقيت وسائل النقل حيث هي منذ أقدم العصور ، ولم تستطع ثلاثة آلاف من السنين أن تبدل الحصان وسرعته بوسيلة أسرع ، أو الريح وقوتها في تسيير السفن الشراعية بقوة أخرى»[٥].

ثم يتطرق إلى الناحية الإجتماعية فيقول : «وعاش معظم الأوربيين في بيوت حقيرة خانقة ، وانحصرت خبراتهم وتجاربهم في حدود ضيقة ، وتبددت أعمارهم في الأرض ، بسوء التغذية وكثرة

---

(١) حضارة الاسلام / ترجمة عبد العزيز جاويد / ص ٦٩

(٢) المصدر السابق / ص ٦٩

(٣) تاريخ اوربا [العصور الوسطى] /هـ.ا.فيشر / ص ٤٦٤

(٤) المصدر السابق / ص ٤٦٤

(٥) المصدر السابق / ص ٤٦٤

الأمراض والطواعين»[١].

أما البحث عن الحقيقة، ومعرفة النتائج -في ذلك العصر- فكانت كما تقول الدكتورة «زيغريد هونكه» عن طريق الكتاب المقدس حيث تقول: «والضلال هو البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس»[٢].

هذه آراء بعض المستشرقين تعطينا لمحة موجزة عن مستوى التعليم في أوربا خلال العصور الوسطى، ولا شك أنه كانت توجد بعض الجامعات والمدارس، ولكنها كانت خاضعة لسلطة الكنيسة، وتقتصر في تدريسها غالباً على علم اللاهوت.

ولم يكن للجامعات مبان خاصة بها حيث كانت «كل كلية من الكليات وكل رواق من الأروقة التابعة للجامعة تستأذن كنيسة أو ديراً معيناً لتعقد اجتماعاتها فيه»[٣].

وهذا يعني خضوع الجامعات للكنيسة من الناحية المادية، الذي يترتب عليه ايضاً خضوعها من الناحية التعليمية.

وعلى سبيل المثال فإن جامعة «باريس» وهي الجامعة التي صارت نموذجاً لسائر الجامعات في شمال غرب أوربا، سادت دراسة اللاهوت فيها.[٤]

بل ان اساتذة الجامعة كانوا لا يجرأون على إظهار الحق إذا كان فيه أدنى مخالفة لأفكار وآراء الكنيسة، وعلى سبيل المثال فإن الأستاذ «آبيان» الذي ظهر في عصر «شارل الخامس» وكان أستاذاً في جامعة «أنجلو ستاد» لم يستطع أن يعلن آراء «كوبر نيكوس» في علم الفلك على الرغم من اعتقاده بصحتها، لأن في ذلك مخالفة لتعاليم الكنيسة، وهذا يعني محاكمته وعقابه.

«وكان من أول واجباته أن يلقن مبادىء العلم السلمي، ويقصد بذلك عدم الخروج بالعلم عن نطاق ما ينص عليه الكتاب المقدس»[٥].

---

(١) المصدر السابق / ص ٤٦٤

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٣٦١

(٣) اوربا العصور الوسطى / د. عاشور / ج ١ — ص ٤٦٢

(٤) انظر تفصيلاً / تاريخ اوربا [العصور الوسطى] / فيشر / ص ٢١٢

(٥) بين العلم والدين / ص ٤٩ — ٥٠

وكذلك الأستاذ «ريتيكوس» الذي كان أستاذاً في «ويتنبرج» لم يستطع لا في محاضراته ولا في مؤلفاته التي نشرها أن يذيع نظرية «كوبرنيكوس».

وهكذا يتضح كيف أن الجامعات كانت خاضعة لسلطة الكنيسة وأفكارها وكيف أن أساتذتها تعرضوا لكبت عقلي، وارهاب فكري، جعلهم لا يتجرأون على اظهار الحقيقة خشية تعرضهم للعقاب من قبل الكنيسة.

أما بالنسبة للمدارس، فقد كانت الكنيسة هي التي تشرف عليها، وترسم سياستها التعليمية، مما طبع الثقافة بطابع لاهوتي فمثلاً المدارس التي امر بتعميمها في الاديرة[١] والكتدرائيات[٢] سنة ٧٨٩ م «شارلمان» كان التعليم فيها يقتصر على الترانيم والموسيقى الدينية «على أن رعاية ـ شارلمان ـ للتعليم كانت في حقيقة أمرها تخفي وراءها سياسة مرسومة، وهي العمل على رفع مستوى رجال الدين من ناحية، والإستفادة من المتعلمين في ادارة جهاز الحكم من ناحية أخرى، وبعبارة أخرى نستطيع أن نقرر أن هدف شارلمان من رعاية التعليم كان دينياً وسياسياً لا أكثر»[٣].

وفي نهاية القرن السابع عشر ظهرت طرق ومذاهب مختلفة للتعليم تعرف غالباً بمدرسة «الشفقة» ومدرسة «التقوى» ومدرسة «المحبة» ومعظم هذه المدارس كانت تقوم على مبدأ توجيه الإعتناء والإهتمام بالأمور الدينية، وأن التعليم يجب أن يكون معرفة حية لله وللديانة المسيحية[٤].

أما بالنسبة لتعليم النساء، فقد كان في غاية الإنحطاط، حيث لم يكن لهنَّ مدارس ـ إلا ما ندر ـ وكانت بعض الأديرة تعلم النساء تلاوة الصلاة، وبعض الأمور الدينية فقط.

وفي ذلك يقول «بطرس البستاني»: «ولم يكن ـ أي للنساء ـ إلا مدارس قليلة في المدن الكبيرة لتعليم القراءة، ولم تكن الراهبات يتعلَّمْن إلا تلاوة صلواتهن وتعاطي صناعة التطريز وغيرها من اعمال الأديرة»[٥].

---

(١) الدير: هو مبنى معد لسكنى الراهبات او الرهبان الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين.

(٢) كاتدرائية: كنيسة يرعاها اسقف.

(٣) اوربا العصور الوسطى / د. عاشور / ج ٢ — ص ٦١

(٤) للاستزادة انظر / دائرة المعارف / بطرس البستاني / ج ٦ — ص ١٦٢

(٥) المصدر السابق / ج ٦ — ص ١٦٢

وهكذا يتضح أن مراكز العلم في أوربا -خلال العصور الوسطى- خضعت خضوعاً تاماً لسلطة الكنيسة، وان الرسالة التي كانت تؤديها اقتصرت على العلوم الدينية، أما بالنسبة لموقف الكنيسة من العلوم العقلية فسبق أن ذُكِرا بأن الكنيسة رأت أن الكتب المقدسة حاوية على كل أنواع العلوم! وأنها المصدر الأوحد للمعرفة وأن أي قول أو نتيجة تأتي خلافاً لما جاءت به تلك النصوص المقدسة يعتبر كفراً والحاداً.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل ان بعض الأقوال التي انتشرت بين العامة، والتي ذكرها بعض رجال الكنيسة أصبحت بمثابة النصوص المقدسة! التي يجب الإعتقاد بها وعدم مخالفتها! وهذه الأقوال منها مايتعلق ببعض العلوم العقلية مثل :

١ ـ علم الجغرافيا :

وضع أحد الرهبان، واسمه «قوزماس إنديكوبليوستيس» نظاماً كاملاً عن الكون، ونجح في أن يلزم الكنيسة بآرائه، ومما قاله عن الأرض : بأنها عبارة عن معين منبسط تحيط به أربعة بحار!، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حدد مساحة الأرض فقال :«و يبلغ -معين الأرض- ار بعمائة يوم سفراً طولاً، ومائتي يوم عرضاً!»[٢].

أما بالنسبة لكيفية وضع السماء فقال :«وفي حدود هذه البحار الأربعة الخارجية تقوم جدران عظيمة القدر، هائلة الحجم، تحوي كل ذلك البناء الكبير، وتحمل من فوقها تلك القبة السماوية، وقد ثبتت أطرافها إلى أعلى الجدران بمادة فيها صفة الإلتصاق»[٣].

ثم يعلل ظاهرة غروب الشمس فيقول : «إن عند طرف الأرض الشمالي يقع جبل عظيم، خلفه يكون مقر الشمس أثناء الليل!»[٤].

---

(١) انظر تقدمة الباب الثاني / موقف الكنيسة من العلم.

(٢) بين العلم والدين / ص ١٣٢

(٣) المصدر السابق / ص ١٣٢

(٤) المصدر السابق / ص ١٣٥

واعتبر «قوزماس» آراءه هذه بمثابة النصوص المقدسة! التي لا يجوز مخالفتها، وان كل من لم يؤمن بها فإن غضب الله -عز وجل- سينزل عليه!، حيث قال: «انه ليس موسى والأنبياء وحدهم بل الملائكة والحوار يون أيضاً متفقون على أن ما في مذهبه حق، وأن الله في اليوم الآخر سوف ينزل غضبه على كل من لم يُسلِّم به أو يتشكك فيه»[١].

وقبلت آراء قوزماس في العالم المسيحي على أنها وحي مقدس انزل على قلبه!، بل ان كثيراً من رجال الكنيسة توسعوا في شرح نظر ياته وظل الإعتقاد بها سار ياً حتى نهاية القرون الوسطى.

أما بالنسبة لطبيعة الر ياح، وكيفية هبوبها فقد ظهرت رموزها على الخرائط الجغرافية في صورة أدمغة عظيمة الحجم منتفخة الوجنات ترسلها في اتجاه أورشليم.[٢]

كما أنهم عللوا احمرار الشمس عند الغروب نتيجة مواجهتها لجهنم حيث حدد بعض رجال الكنيسة ومن بينهم «دانتي» موقع جهنم فقال: «انها تقع عرض المحيط الأطلنطي، وعلى مسافة غير معروفة من شاطىء أور با»[٣].

هذه هي بعض الأفكار والآراء التي أدخلها رجال الكنيسة في علم الجغرافيا وصبغوها بصبغة دينية واعتبروها من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الإعتقاد بها، ولا يجوز الخروج عنها، وكفَّروا كل من لم يدن بها.

٢ ـ علم الأحياء «البيولوجيا»:

كان لرجال الكنيسة آراء ونظر يات حول تناسل المخلوقات ونشأتها، فبعضهم يرى أن بعض المخلوقات نشأ من الطمي والطين، والبعض الآخر يرى أن بعض الحيوانات توالد نتيجة تحلل لحوم بعض الحيوانات! ... الى غير ذلك من الآراء.

---

(١) المصدر السابق / ص ١٣٥

(٢) للاستزادة انظر المصدر السابق / ص ١٤٧

(٣) المصدر السابق / ص ١٣٩

وربما تعود بعض تلك الآراء إلى ما ورد في الكتب المقدسة، حيث جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين ما نصه :«وقال الله : لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ... فخلق الله التنانين العظام، وكل ذوات الأنفس الحية، الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها، وكل طائر ذي جناح كجنسه»[١].

كما ورد في نفس الإصحاح : «وقال الله : لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها»[٢].

فهذا القديس «باسيل الكبير» والذي عاش في القرن الرابع الميلادي يتحدث عن نشأة الضفادع والهوام والبعوض فيقول : «قد خصت المياه بقوة انتاجية، وأنه من الطمي والطين اللازب نشأت الضفادع والهوام والبعوض»[٣].

كذلك تبنى هذا الرأي القديس «أوغسطين» حيث قال : ان مواد ما قد خصها الله بقوة تستطيع أن توجد صوراً خاصة من الحيوانات والنبات.

وفي القرن السابع للميلاد ظهر قديس اسمه «ايز يدور الأشبيلي» اهتم بقضية الخلق، وسجل أفكاره -والتي استعان فيها بآراء القديس «باسيل»[٤] و «أوغسطين»- في مؤلفه الذي سماه :

«الأنسيكلو بيذى الكبير» تعرض فيه لنشأة بعض الحيوانات وكيف تخلق، ومما قاله عن بعض المخلوقات : «ان النحل انما يحدث من لحم الثور المنحل، والخنافس من لحم الحصان، والجراد من البغال، والعقارب من السراطين»[٥].

والعجيب أن هذا الكتاب ظل المرجع الأساسي لطلاب العلم في حقيقة الطبيعة، وخصائص الحيوانات لأجيال طويلة .

---

(١) ٢٠ — ٢١

(٢) ٢٤

(٣) بين العلم والدين / ص ٢٦٥

(٤) باسيل، و يعرف بالكبير، قديس مسيحي، ولد في اسياالصغرى، انشأ النظام الرهباني القائم على الحياة الجماعية والعمل والصلاة، عاش ما بين ٣٣٠ — ٣٧٩ م. انظر / الموسوعة العربية / ص ١٤٠

(٥) المصدر السابق / ص ٢٦٨

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تطرق رجال الكنيسة الى وصف بعض المخلوقات، وما تقوم به من أفعال، فهذا «نيدر» عضو محكمة التفتيش يصف في كتابه المسمى «تل النمل» خصائص بعض المخلوقات، ومما قاله عن نمل «أثيوبيا» : «ان له قروناً، وانه ينمو حتى يصير في حجم الكلب!»[1].

وقالوا عن الثعابين : بأنها تلقي سمها بعيداً قبل أن ترد الماء.

ومما قالوه عن السبع، بأنه لكي يضلل من يقوم بمطاردته فإنه يمحو بطرف ذنبه آثاره!.

ولعل اكثر من تطرق الى خصائص الحيوانات وطباعها «بارثو لوميو» في كتابه الذي سماه «خصائص الأشياء» حيث ذكر فيه خصائص بعض الحيوانات، وما تقوم به من أفعال، ومما قاله عن التمساح بأنه إذا عثر على الإنسان على حافة المياه فإنه يقتله، ثم يبكي عليه! ثم يأكله!.

ومما قاله عن التنين بأنه أعظم الأفاعي، و يطير في الجو فيحرك الهواء! وإذا دخل الماء، فإن البحر يهيج و يطغى ... الى غير ذلك من الأوصاف[2].

و بالإضافة الى ما ذكر، فقد علل بعض رجال الكنيسة سبب وجود الحيوانات الضارة، نتيجة لأخطاء الإنسان، حيث ذكر ذلك «بطرس لومبارد» في كتابه الذي سماه «الجمل» فقال :

«انما اصبحت الحيوانات مضرة مؤذية، لتزعج الإنسان، وتعاقبه على رذائله!، ولتحضه على الفضيلة وتكملها في نفسه، لقد خلقت العجماوات غير مؤذية، فلما أن وقعت المعصية، انقلبت مضرة أبلغ الضرر»[3].

هذه هي الأفكار، والنظريات التي كانت الكنيسة تفرضها على الناس وتحاكم وتعاقب كل من يخالفها أو يبين زيفها و بطلانها، ولم يقتصر الأمر على علم الجغرافيا وعلم الأحياء، بل أدخلت الكنيسة آراءها في علوم أخرى ومن ذلك :

---

(١) المصدر السابق / ص ٢٣٠

(٢) للاستزادة انظر المصدر السابق / ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق / ص ٢١٦

٣ ـ علم الطب :

حيث كان الطب في اوربا ـ في ذلك الوقت ـ في غاية البساطة والسذاجة، وكان قسم من الرهبان يمارسون تلك المهنة بطرق بدائية ممتزجة بالتعاويذ الدينية، وفي ذلك يقول «فيشر» في كتابه «تاريخ اوربا ... العصور الوسطى» : «ومن السهل علينا ان نسخر من هذا الطب الذي عرفته العصور الوسطى ـ ويقصد في اوربا ـ وأن نهزأ لخلوه من أدنى معرفة بعلم التشريح فضلاً عن اختلاطه بالتنجيم»[1].

وعلى الرغم من ذلك، فقد أخذت الكنيسة تعارض اشتغال الرهبان والراهبات في تلك المهنة، وذلك لكي يتفرغوا للقضايا الروحية!.

وعلاوة على ذلك، فقد كانت ـ الكنيسة ـ تقوم بعزل المرضى عن بقية البشر بصورة وحشية، وعلى سبيل المثال، فقد كان المريض بداء الجذام، يمنح قداساً من قبل الكنيسة، ذلك القداس، كما تقول الدكتورة «هونكة» : يذهب بموجبه المريض الى حفرة في فسحة الكنيسة، ويقذفه الكاهن بالتراب ثلاث مرات، ثم ينفى الى بقاع نائية مخصصة لمرض البرص[2].

كما علل احد اساتذة جامعة «مونبيليه» سنة ١٣٤٨م اسباب انتشار مرض الطاعون ـ حيث انتشر في تلك السنة انتشاراً فاحشاً ـ بأنه ناتج عن نظر المريض!.

«لهذا فقد نصح الطبيب أو الكاهن، أن يطلبا من المريض اغماض عينيه أو وضع خرقة عليها قبل أن يعمد الى معاينته!»[3].

بهذه الأفكار والنظريات، يستطيع الإنسان أن يتوصل الى معرفة مستوى الطب في اوربا خلال تلك العصور، وكيف أنه كان في غاية الإنحطاط والتأخر والسذاجة.

---

(١) ص ٢١٠

(٢) للاستزادة انظر / شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٧٤

(٣) المصدر السابق / ص ٢٧٤

٤ - علم الرياضة :

أما في مجال العلوم الرياضية، فقد كانت دراسة الحساب والهندسة والفلك تسير في غاية البداوة، وفي ذلك يقول الدكتور «عاشور» : «ولكن هذه الدراسات استمرت بدائية حتى أوائل القرن الثاني عشر»[١].

فمثلاً الحساب كان يتم بطريقة بدائية، وكانوا يحسبون بالأرقام الرومانية القديمة التي كانت بمثابة الجمل[٢]. وبالإضافة الى ما ذكر فقد كان الحساب يتم بصورة بدائية للغاية، حيث كان يتم بطريقة رسم خطوط طولية على الألواح، ثم توضع الأرقام في الخانات، وفي ذلك تقول الدكتور «هونكه» : «وفي هذه الخانات كانوا يضعون قطعاً صغيرة من الحجر أو الزجاج أو المعدن. وبواسطتها استطاعوا أن يجروا عمليات الجمع والطرح»[٣].

٥ - علم الفلك :

أما بالنسبة لعلم الفلك فسبق وأن ذُكرَ في الفصل الأول -موقف العهدين القديم والجديد من العلم- بان الكنيسة قيدته بما ورد في النصوص المقدسة، وكل قول جاء مخالفاً لها، كان يتعرض صاحبه للعقاب، وهذا ما حدث لكوبرنيكوس وغاليلو.

بل ان الكنيسة أخذت تفرض على طلاب العلم بعض الآراء في علم الفلك تهدف الي دحض آراء «كوبر نيكوس» وبيان أنها مناقضة للنصوص المقدسة، ومن ذلك ما قام به الكاهن «هسل»، حيث وضع لطلاب العلم مختصراً في علم الفلك سماه «الرجوع الى الأصل الموسوي في اصل الكون».

---

(١) اوربا العصور الوسطى / ج ٢ — ص ١٥٥

(٢) حيث كان الرومان قد حددوا اشكالاً معينة لأرقام معينة، يرصونها بجوار بعضها، ليكونوا منها اعداداً، فمثلاً العدد ٣٩٥٢ كانوا يكتبونه هكذا MMMDCCCCCII واذا اردت الاستزادة انظر / شمس العرب / ص ٧٠ وما بعدها.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٨٢.

٦ - علم الكيمياء :

أما علم الكيمياء، فقد كانت الكنيسة تقوم بحملة عنيفة على بعض الذين اوتوا نصيباً من العلم فيها، فهذا «لينيوس» واجه حملة عنيفة من قبل الكنيسة، لأنه استطاع بتحليله أن يتوصل لمعرفة سبب احمرار المياه، ومما قاله: «ان احمرار المياه راجع الى تكاثر نوع من الجو ينيات فيه»[1].

ولما علم رجال الكنيسة بتعليله جاهروه بالعداء، وأولوا هذه الظاهرة بأنها خارقة من الخوارق الربانية! تحدثُ عند غضب الله ونتيجة لحملة العداء التي قامت بها الكنيسة اضطر «لينيوس» الى التراجع عن رأيه، وذكر لأحد الذين كاتبوه «انه من الصعب أن يصارح بشيء ازاء هذا الأمر»[2].

ولم يقتصر الأمر على تدخل رجال الكنيسة في الأمور العقلية، وتبني بعض الأفكار والآراء التي لا تتفق -في أغلبها- مع معطيات العلم، فضلاً عن عدم تقبل العقل السوي لها، بل وصل الأمر الى محاكمة وتعذيب كل من يتبنى آراء أو أفكاراً تخالف آراءهم أو أفكارهم!.

موقف الكنيسة من رجال العلم .

ظهر في اوربا بعض العلماء الذين اوتوا نصيباً من العلم والمعرفة استطاعوا نتيجة ابحاثهم، واكتشافاتهم -أن يبينوا بطلان آراء الكنيسة في كثير من العلوم، خصوصاً تلك النظريات الجغرافية والفلكية التي تبنتها الكنيسة.

فقامت قيامة الكنيسة لذلك، وقام رجالها بهجمة وحشية عليهم، وكفروهم، واستحلوا دماءهم، وأنشأوا محاكم التفتيش لمحاكمتهم.

وعلى سبيل المثال، فقد حكمت محكمة التفتيش في مدة لا تزيد على ثمانية عشر عاماً «من سنة ١٤٨١ - ١٤٩٩ على - كما يقول الشيخ محمد عبده» : عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصاً

---

(١) بين العلم والدين / ص ٢٧٧

(٢) المصدر السابق / ص ٢٧٨

بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق، فشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة، فنفذت![1]

وفي ذلك يقول المؤرخ «لورنتي» الذي اتيح له البحث بمطلق الحرية في أرشيفات محكمة التفتيش في أسبانيا - فيما ينقله عنه الدكتور «توفيق الطويل» : «ان المحكمة وحدها قد قدمت الى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفاً عقوبات أخرى تلي الإعدام في صرامتها، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة - الأسبانية - في مكسيكو وليما - بأمريكا الجنوبية، وقرطاجنة، وجزر الهند الغربية، وصقلية، وسردينيا، وأوران ومالطة!»[2].

وعلى سبيل المثال نذكر بعض المفكرين الذين تمت محاكمتهم على أيدي رجال الكنيسة :

آ - غاليليو :

فقد كان له آراء ونظريات خصوصاً في علم الفلك - توصل اليها عن طريق البحث والتجربة - تخالف آراء الكنيسة، ومنها أن الأرض تدور حول الشمس، وأن هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرت في الكتب المقدسة، وغير ذلك من الآراء التي كانت في نظر الكنيسة بمثابة الكفر والإلحاد! لمعارضتها الصريحة لما ورد في الكتاب المقدس!.

لهذا فقد عوقب هذا العالم سنة ١٦١٥م ووقف أمام محكمة التفتيش في «روما» وصدر الحكم بسجنه وهناك عذب عذاباً شديداً، مما اضطره الى التراجع عن آرائه، وأقسر أخيراً على أن يعلن وهو جاث على ركبتيه أمام «البابا اربان الثامن» الإعتراف الآتي : «أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجين جاث على ركبتي، وبحضور فخامتك، وأمامي الكتاب المقدس، الذي المسه الآن بيدي أعلن أني لا أشايع، بل ألعن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الإعتقاد بأن الأرض تدور!»[3].

---

(١) للاستزادة انظر / الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية / ص ٣٦

(٢) قصة الاضطهاد الديني في الاسلام والمسيحية / ص ٧٩

(٣) بين العلم والدين / ص ٧٩ — ٨٠

ب ـ كوبرنيكوس :

أما كوبر نيكوس فلم يفلت من قبضة الكنيسة إلا بتدارك الموت له، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت اللعنة تلاحقه وهو في القبر! وصودرت كتبه، وأحرقت، وحرم على اتباع الكنيسة الإطلاع عليها.

ج ـ وفي القرن الخامس عشر ظهر رجل اشتغل بالتاريخ الطبيعي اسمه «**بافون**» وكان له آراء وأبحاث تتعلق بالطبيعة، تخالف آراء الكنيسة، لهذا فقد واجه حملة عنيفة من قبل الكنيسة اضطر أمامها أن يتراجع عنها، وأن يعتذر علناً وان ينشر اعتذاره على الناس ومما جاء في اعتذاره : «أعلن اقلاعي عن كل ما جاء في كتابي خاصاً بتكوين الأرض، وجملة عن كل ما جاء به مخالفاً لقصة موسى»[1]

د ـ أما «**نيوتن**»[2] والذي تبنى القول بقانون الجاذبية، فقد عوقب من قبل الكنيسة، لأن هذا القول معناه ـ من وجهة نظر الكنيسة ـ انتزاع قوة التأثير من ـ الله عز وجل ـ الى قوى مادية!.

هـ ـ كما طاردت الكنيسة «**جيور دانو برونو**» لتقريره بعض الحقائق العلمية، المخالفة لنظريات الكنيسة وقبض عليه في مدينة «البندقية» وألقي في سجون محاكم التفتيش في روما لمدة ستة أعوام، ولم تكتف الكنيسة بهذا العذاب، بل قامت بعمل بربري حيث أحرقته حياً، وذريت بقاياه الترابية مع الرياح!.

مع أن التعذيب الذي كانت تقوم به الكنيسة، كان في غاية القسوة والهمجية، فقد جرت العادة بأن يحرق ـ من حكم عليه بذلك ـ بنار بطيئة، وكان رجال الكنيسة يبررون ذلك بأنه يتيح للمتهم فسحة من الوقت، يستطيع أن يعلن فيها توبته!.

ولعل الكنيسة استندت في أحكامها هذه الى ما ورد في الكتاب المقدس، حيث جاء في

---

(١) المصدر السابق / ص ٢٧٩

(٢) اسحاق نيوتن، رياضي وفلكي، وكان من اشهر علماء الطبيعة بانجلترا، خلد اسمه لاكتشافه قانون الجاذبية، انظر / دائرة معارف القرن العشرين / ج ١٠ — ص ٤٤٥

الأصحاح الثالث عشر من سفر التثنية :«... ولا تشفقك عينك عليه ولا ترق له ولا تستره، بل قتلاً تقتله، يدك تكون عليه أولاً لقتله، ثم أيدي جميع الشعب أخيراً، ترجمه بالحجارة حتى يموت»[١].

كما جاء في الإصحاح الخامس عشر من انجيل «يوحنا» : «ان كان احد لا يثبت فيّ، يطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه و يطرحونه في النار فيحترق»[٢].

ونتيجة لهذه الاحكام التعسفية والاعمال البربرية التي كانت تقوم بها الكنيسة، ازاء العلماء ،اختفى كثير من الحقائق العلمية، و بقيت في صدور اصحابها لعجزهم عن التفوه بها، لان ذلك معناه الموت او الحرق أو السجن مدى الحياة، وذلك أضعف الأحكام!.

فهذا «آبيان» والذي كان معلماً في علم الفلك، وكان يدرس في جامعة «أنجلوستاد» لم يستطع أن يؤيد آراء «كوبر نيكوس» على الرغم من اعتقاده بصحتها، وبقي صامتاً أمام هذه الحقائق.

وهذا «رينولد» فعلى الرغم من اقتناعه بصحة آراء كوبر نيكوس إلا أنه كان يدافع عن آراء الكنيسة الفاسدة و يلقنها للطلاب[٣].

وكذلك «ريتيكوس» والذي كان استاذاً في «ويتنبرج» فعلى الرغم من اقتناعه ببعض الحقائق العلمية، إلا أنه لم يستطع التصريح أو التفوه بها خشية الإصطدام مع رجال الكنيسة.

وكذلك «ديكارت» الذي تبنى المنهج التجريبي من أجل الوصول الى المعرفة، كان يلغز أفكاره لغزاً، بل ترك أكثرها جائلاً في ثنايا نفسه من غير أن يجرؤ على المصارحة بها خوفاً من بطش الكنيسة.

هذا بالنسبة للعلماء، أما بالنسبة **لطلاب العلم**، فقد كانوا يقاسون تعسف الكنيسة من الناحية العلمية، حيث كانت الكنيسة تفرض عليهم آراءها ونظرياتها العلمية! ولا تقبل القول بسواها حتى ولو كانت تلك الآراء والنظريات -التي كانت تفرضها- لا تتفق مع معطيات العلم، ولا يستسيغها العقل السوي.

---

(١) ٨ — ١٠

(٢) ٦

(٣) للاستزادة انظر / بين العلم والدين / ص ٥٤ وما بعدها.

وبجانب المقاساة الفكرية، كانوا يقاسون من الناحية المادية، فبدلاً من انفاق الكنيسة على الطلاب، نجد أنها منحت بعضهم تراخيص رسمية من أجل التسول! لكي يسددوا نفقاتهم الدراسية، وفي ذلك يقول الدكتور عاشور: «قد دفع الفقر بعض طلاب الجامعات في أوربا الوسطى الى مباشرة التسول بانتظام في أوقات معينة على أن توضع حصيلة ما يجمعونه في صندوق عام ينفق منه عليهم جميعاً، بل لقد وجدت في تلك العصور تراخيص رسمية بالتسول يمنحها أمين الكاتدرائية أو مدير الجامعة للطلبة الفقراء حتى يتمكنوا من سد نفقات حياتهم الجامعية»[١].

وبالإضافة الى ذلك فقد كان الطلاب يفتقدون الكتب والمكتبات، حيث أن جامعات اوربا لم تعرف نظام المكتبات الا في وقت متأخر، فأول مكتبة جامعية هي تلك التي أنشأها «همفري دوق جلوستر» بجامعة أكسفورد سنة ١٤٣٧م[٢].

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الكتب نادرة وغالية الثمن، وفي ذلك يقول الدكتور عاشور: «ومن الثابت أن الكتب في -أوربا العصور الوسطى- كانت قليلة العدد، باهظة الثمن، فضلاً عما كان بها من أخطاء بسبب جهل الناسخين، وضعف مستواهم العلمي»[٣].

ولم تكتف الكنيسة بمحاكمة ومطاردة العلماء في أجسامهم، بل أخذت تطارد أفكارهم ونظرياتهم وكتبهم، فكانت تصادر بعض الكتب وتحرق البعض الآخر، وتحرم على أتباعها الإطلاع على ما تبقى منها، وعلى سبيل المثال فقد أحرق «الكردينال أكسيمنيس» في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء اوربا لذلك العهد[٤].

كما صدر سنة ١٦١٦م بلاغ من «مجمع الفهرست»[٥] تحت تأثير البابا «بولص الخامس» جاء فيه: «ان القول بدوران الأرض حول نفسها، ومن حول الشمس، قول فاسد، فضلاً عن مخالفتها

---

(١) اوربا العصور الوسطى / ج ١ — ص ٤٦٧

(٢) للاستزادة انظر المصدر السابق / ج ١ — ص ٤٦٩

(٣) المصدر السابق / ج ١ — ص ٤٧٠

(٤) للاستزادة انظر / الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / ص ٤٢

(٥) يقصد بهذا اللفظ، الكتب المحظورة قراءتها على اتباع الكنيسة.

لنصوص الكتاب المقدس وان هذا القول محظور تلقينه للناس او الدفاع عنه، وفي نفس البلاغ حرمت ولعنت كل كتابات كوبرنيكوس وكل كتاب يؤيد قوله، كما حرم على الناس قراءة كتاب كوبر نيكوس»[١].

وعلى هذا فقد أصبحت قراءة اي كتاب يتحدث عن دوران الأرض، اثم لا يوازيه من عقاب سوى اللعنة والكفر من قبل رجال الكنيسة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل غالباً ما تدخل رجال الكنيسة في أبحاث العلماء، ليطلعوا عما اذا كانت تخالف مذهبهم، ومثال ذلك اهانتهم ل «بافون» عندما توصل -نتيجة أبحاثه- الى بعض الحقائق العلمية!

وعلاوة على ذلك كله فقد صدرت أوامر لأعضاء محكمة التفتيش بأن لا يسمحوا بإعادة طباعة كتب غاليليو وغيره من العلماء الذين تبنوا آراء مخالفة للكنيسة.

كما طلبت الكنيسة من أتباعها بأن يدحضوا آراء هؤلاء العلماء، و يبينوا بطلانها ومناقضتها للنصوص المقدسة بالقلم واللسان، ومن بين الكتب التي ظهرت لدحض آراء غاليليو كتاب كتبه «سيبيو شيار مونتى»، ومن بين البراهين التي اقامها ضد القول بدوران الأرض قوله : «للحيوانات التي تتحرك أطراف وعضلات ... أما الأرض فليس لها أطراف ولا عضلات ... فهي على ذلك لا تتحرك!»[٢].

وهكذا يتضح كيف أن النصوص المقدسة، والآراء والنظريات التي تبنتها الكنيسة، والتي صبغتها بصبغة دينية، كانت المصدر الأساسي في توجيه العقل الأوربي خلال العصور الوسطى سواء في تفكيره أم في فهمه للطبيعة والحياة.

وكيف كان رجال الكنيسة يضيقون ذرعاً بأية معرفة عدا معرفتهم، وأي رأي أو نظرية تخالف آراءهم، وبالإضافة الى ذلك فقد كانوا يناصبون العداء كل من يقول بسوى القول الذي تبنوه!. فآراءهم ونظرياتهم كانت -حسب اعتقادهم- المصدر الأوحد لأساس العلوم والمعرفة، وكل قول بسواها كان في نظرهم كفر وإلحاد يجب معاقبة صاحبه!.

---

(١) انظر بتصرف / بين العلم والدين / ص ٧٠ — ٧١.

(٢) المصدر السابق / ص ٨٤

لهذا رأينا كيف أنهم حاكموا العلماء، وناصبوهم العداء، فأحرقوا منهم من أحرق، وقتلوا منهم من قتل، وسجنوا وعذبوا الآخرين، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد رأينا كيف أنهم أحرقوا الكثير من الكتب وحرّموا على أتباعهم مطالعة ما تبقى منها.

وفي وسط هذا الصراع المرير اختفت أغلب الحقائق العلمية، وبقيت محبوسة في صدور أصحابها، وكانت الحركة العلمية تسير ببطء شديد، وفي طريق مملوء بالمخاطر والصعوبات، ولكن لابد للحقيقة أن تظهر وترى النور مهما طال الظلام، ولابد للفكر أن يتحرر ويحطم الأغلال التي تقيده، وهذا ما حدث بالفعل اثر الصراع المرير بين رجال الكنيسة والعلماء.

وظهرت الأفكار المناهضة للكنيسة، والعلوم المتحررة من قيدها، وهذا ما سوف نتعرض له في الفصل الأخير -بإذن الله- ولكن قبل الإنتقال الى ذلك رأيت وضع تتمة لهذا الفصل.

تتمة

ان المتأمل في النزاع القائم بين رجال الكنيسة والعلماء يلاحظ أنه لم يظهر الا بعد ظهور الإسلام واستقراره في بلاد الأندلس، حيث بدأ احتكاك المسيحيين بالمسلمين عن طرق ثلاث ـ كما ذُكِر ـ.

فعن طريق «الأندلس» مثلاً هرع طلاب العلم من اوربا الى جامعاتها ليتلقوا علومهم على أيدي العلماء المسلمين، ورجعوا الى بلادهم متنورين، ومتبحرين في شتى العلوم والفنون التي تخالف آراء ونظريات وعلوم الكنيسة.

وعلى سبيل المثال «فروجر بيكون» ـ صاحب المنهج التجريبي في أوربا ـ تلقى علومه بالأندلس على يد العلماء المسلمين، وكان يرى أن الطريق الوحيد للمعرفة الحقة، هو تعلم اللغة العربية لأنها لغة العلم في عصره، وفي ذلك يقول «وولف» : «ان روجر بيكون، بدأ حملته تأييداً للبحث العلمي، وكان يرتب اهمية كبيرة على دراسة اللغة العربية لأنها وسيلة الوصول الى المعلومات العلمية التي تجمعت في عهده»[١].

ثم يضيف : «ويظهر أن بيكون قد أخذ أكثر آرائه من مصادر عربية»[٢].

وكذلك «ليوناردو بيزانو» ـ والذي يعتبر علامة الغرب في علم الرياضيات ـ فقد تلقى علمه عن طريق المسلمين، حيث كان يقوم برحلات عديدة الى البلدان الإسلامية، وسافر أكثر من مرة الى القسطنطينية واشترك بها في مناقشات علمية.

وعنه يقول «الدوميلي» : «تعلم جميع أبواب الحساب الذي كان عظيم الإزدهار عند العرب على يدهم»[٣].

---

(١) انظر بتصرف / عرض تاريخي للفلسفة والعلم / ص ٣٩

(٢) المصدر السابق / ص ٤٠

(٣) انظر بتصرف / العلم عند العرب / ص ٤٨١

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، فهناك عدد لا بأس به من رجال البحث -كما يقول ا. وولف- :«في العالم المسيحي اشربوا روح المنهج العلمي الصحيح، أخذوا آراءهم من مصادر عربية»[١].

وبالإضافة الى ذلك فقد كان لترجمة العلوم الإسلامية الى اللغة اللاتينية أثر كبير في تفتح العقول الغربية، واستنارتها، وفي ذلك يقول «ول ديوارنت» : «وقد احدثت هذه التراجم كلها في أوربا اللاتينية ثورة عظيمة ... ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام، واليونان، كان له أعمق الأثر في استنارة العلماء الذين بدأوا يستيقظون من سباتهم»[٢].

ويرى الكثير من المستشرقين أنه لولا تلك الترجمات لما حدث تقدم وتطور في اوربا، فهذا الدوميلي يقول : «فقد كان لحركة نقل العلم العربي الى العالم المسيحي أعمق الأثر، حيث تحقق هناك -ويقصد اوربا- التطور الحاسم، الذي كان لابد ان يعتمد عليه تجديد العلم الأوربي»[٣].

وقد نلمس أثر تلك الترجمات في النقاش المتزايد الذي أخذ يدور بين أرجاء الجامعات الأوربية، وفي ذلك يقول «ولز» : «وانا لنجد في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا قدراً متزايداً من النقاش الفلسفي دائراً بين أرجائها، وزادت معرفة الناس بواسطة الترجمات اللاتينية المنقولة عن النسخ العربية»[٤].

كما كانت تعتبر بعض الكتب الإسلامية المترجمة الى اللاتينية المرجع الأساسي لطلاب العلم في جامعات اوربا، وعلى سبيل المثال فكتاب «القانون لابن سينا» -كما يقول ي. هل- :«اساس المحاضرات التي القيت عن الطب في جامعات اوربا حتى القرن السادس عشر»[٥].

كما استند الباحثون في أبحاثهم الى كثير من الكتب الإسلامية المترجمة، ككتب ابن الهيثم وابن سينا والزهراوي وغيرهم من العلماء المسلمين.

---

(١) انظر بتصرف / عرض تاريخي للفلسفة والعلم / ص ٤٠

(٢) قصة الحضارة / ج ١٧ — ص ٢١

(٣) انظر بتصرف / العلم عند العرب / ص ٤٥٣

(٤) معالم تاريخ الانسانية / ولز / ج ٢ — ص ٨٠٢

(٥) الحضارة العربية / ص ١١٢

وبالإضافة الى ما ذكر فقد كان للعلوم والمعارف التي انتقلت عن طريق الحروب الصليبية وجزيرة صقلية ومالطا أثر كبير في نشر العلوم والوعي بين الأوربيين، فعن طريق الحروب الصليبية مثلاً تعرف الغرب على البوصلة، وصناعة البارود وغير ذلك من فنون القتال.

كما صحبها نشاط فكري في مجالات عدة، كالمراسلات الحربية التي كانت تتم عن طريق الحمام الزاجل، وكذلك استخدام المعدات العسكرية، كاستعمال المجانيق، والدروع وغير ذلك من الفنون العسكرية التي ساهمت في تطور فن الحرب في اوربا.

كما تأثرت أوربا عن طريق صقلية ومالطا بأساليب المسلمين التجارية والزراعية، وليس أدل على ذلك من انتشار الطواحين الهوائية -التي كان يستعملها المسلمون في الزراعة- في اوربا عام ١١٠٥م نتيجة مشاهدة الأوربيين لها في البلاد الإسلامية.

وهكذا يتضح من خلال أقوال المستشرقين أنفسهم، كيف أن العلوم الإسلامية كان لها أثر كبير في نضج العقلية الأوربية وتَنَوُّرِها والتي لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي، سيا بعدما تزودت بسلاح العلم والمعرفة أمام آراء ونظريات الكنيسة، التي لا تتفق مع معطيات العلم، فضلاً عن عدم تقبل العقل السوي لها .

لهذا يمكن القول بأن تأثير الحضارة الإسلامية على العقلية الأوربية كان من ضمن الأسباب الرئيسية التي ساهمت في ظهور الصراع المرير بين العلماء ورجال الكنيسة، والذي انتهى لصالح العلماء.

الفصل الثالث

آثار الصراع بين رجال الكنيسة والعلماء

و يشتمل على :

آ ـ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة.

ب ـ فصل الدين عن الدولة.

أ ـ ظهور الحركة المخالفة لخط الكنيسة :

سبق أن ذُكِرَ بأن الكنيسة احتفظت لنفسها بحق فهم وتفسير الكتاب المقدس، وحرمت على أتباعها مناقشة أو تفسير النصوص المقدسة بخلاف ما تراه، لذلك أخذت تحجب عن الناس نور المعرفة والهداية، فحرقت وصادرت الكتب المخالفة لمذهبها وحثت الناس على تحريم قراءة ما تبقى منها، كما قامت بقتل وتعذيب العلماء الذين خالفوها، سواء لمخالفتهم عقيدة التثليث وانكار الوهية المسيح عليه السلام كما حدث لِ «جيورجيو داتافار» وغيره من الموحدين، أم لمخالفتهم النظريات العلمية التي تبنتها، كما حدث لِ «جيوردانو برونو» و «غاليليو» وغيرهم من العلماء.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أخذت تفرض على الناس آراء وأفكاراً لا يمكن للعقل السوي أن يستسيغها، كمسألة العشاء الرباني، وتشجيع الرهبانية، وصكوك الغفران، وغير ذلك من الأمور.

و بالإضافة الى ذلك فقد كان سلوك رجال الكنيسة الشخصي في غاية الإنحطاط والرذيلة، فبدلاً من قيامهم بمهمة الوعظ والإرشاد، واصلاح المجتمع، نجد أنهم كرسوا حياتهم لجمع الأموال، واعتلاء المناصب، والتسلط على رقاب الناس وكبت

أفكارهم، وفرض الضرائب، حتى غدت حياتهم غاية في الترف والبذخ، فبذروا الأموال تبذيراً، وكانوا يبيعون الوظائف والمناصب كالسلع، و يرشون و يرابون.

كما انتشر العشق والفجور والخلاعة بينهم، ولعل حياة البابا «اسكندر السادس» والتي سبق ان أشير اليها وغيره من رجال الكنيسة تعطينا صورة واضحة عن سلوكهم الذي يترفع عنه الرجل العادي.

وعلاوة على ذلك فقد كانوا يتمتعون بسلطة عظيمة، ونفوذ قوي، استخدموها في فرض ما يروق لهم، وسحق من يخالفهم الرأي، سواء ما كان يتعلق بالأمور الدينية أم ما يتعلق بالأمور الدنيوية، ولعل المنشور الذي صدر من قبل الكنيسة سنة ١٨٦٤م يوضح مدى نفوذ الكنيسة وسيطرتها على عقول الناس ومعتقداتهم، حيث جاء فيه «بلعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية، أو جواز أن يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة، أو يعتقد بأن الشخص حر فيما يعتقد»[١].

وفي منشور آخر صدر في سنة ١٨٦٨م جاء فيه «ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بارواحهم وأموالهم، وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم»[٢].

نتيجة للعوامل السابقة، بدأت الكنيسة تفقد مكانتها الرفيعة تدريجياً، و بدأ كيانها وجهازها الكهنوتي يهتز أمام الدعوات المناوئة لها، حيث بدأ الحديث عن ضرورة اصلاح الكنيسة، والقضاء على الإنحراف الذي تفشى بين رجالها، والذي اخذ يظهر في الأفق، ويمكن تقسيم مراحل الإصلاح الى :

آ ــ المرحلة الأولى : الإصلاح بالطريق السلمي :

ظهرت أصوات بعض المصلحين الذين نهجوا هذا الطريق لاصلاح الكنيسة مع بداية القرن السادس عشر، وكان من أشد تلك الأصوات ظهوراً، صوت «يوحنا

---

(١) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / ص ٤١

(٢) المصدر السابق / ص ٣٩

رخلن» الذي عاش مابين سنة ١٤٥٥م الى سنة ١٥٢٢م، وصوت «ارزم»[١] الذي عاش ما بين سنة ١٤٦٩م الى ١٥٣٦م، أما الأول فكما يقول الدكتور عبد الحميد البطريق : «فقد أثار بكتاباته وانتقاداته تفكير المثقفين، وأصبح له أتباع وتلاميذ يبحثون في مساوئ الكنيسة ومثالبها، وينتقدون ما تفشى على يد الكنيسة من بدع وخرافات، ونجح في اقناع الرأي العام بفكرة الإصلاح الديني»[٢].

أما ارزم فقد أخذ يدعو الناس الى العودة الى الكتاب المقدس، والتمسك بالفضائل، وتهذيب الأخلاق، كما أخذ يدعو الى اصلاح رجال الكنيسة، وكان يرى أن الإصلاح واجب «على أن تقوم به الكنيسة في داخلها، أو يعاونها الحكام على اصلاح نفسها»[٣].

وفي تلك الفترة أيضاً ظهر «تومس مور» الذي أخذ يدعو الى اصلاح الكنيسة بالطريق السلمي الذي سلكه رخلن وارزم»

وهكذا ساعد هؤلاء الرجال على خلق جو معارض للكنيسة، وهيأوا الأفكار المناوئة لها، وازدادت معرفة الناس بمساوىء الكنيسة.

ولكن هذه الدعوات لم تجد لها آذاناً صاغية، واستمرت الكنيسة في طريقها، ولم تستجب للا صلاح الذي نادى به أولئك الزعماء، لهذا كان لابد من طريق آخر يتسم بالعنف والشدة حتى ترضخ الكنيسة لمطالب الإصلاح، وهذا ما تم بالفعل، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : المرحلة الثانية.

ب ـ المرحلة الثانية : الإصلاح بطريق القوة :

بدأ الإتجاه الجديد لاصلاح الكنيسة يأخذ طابع العنف والشدة، ولعل أبرز زعماء هذا الإتجاه «مارتن لوثر» و «زونجلي» و «كالفن» ولشدة تأثير هؤلاء الزعماء

---

(١) ارزم / مصلح ديني هولندي، كان له رأي في الاصلاح، وهو ان ياخذ الناس بجوهر الدين لا بظواهره، عاش ما بين سنة ١٤٦٩ ــ ١٥٣٦م . انظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٨ ــ ١٠٩

(٢) تاريخ اوربا الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا / ص ٦٧

(٣) محاضرات في النصرانية / محمد ابوزهرة / ص ٢١٢

بين أوساط الناس، وما نتج عن دعوتهم من تغييرات في الكنيسة والمجتمع الأوربي، سأفصل الحديث عن كل واحد منهم :

١ مارتن لوثر :

ولد سنة ١٤٨٣م في قرية «ايسليبين» بألمانيا، من أبوين فقيرين يعيشان على فلاحة الأرض، ونشأ لوثر في بيئة دينية انتشرت فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة، فمثلاً كان والداه كما يقول «ديوارنت» : «يؤمنان بوجود سحرة وعفاريت وملائكة وشياطين من فصائل متعددة وتخصصات متنوعة»[١].

ومن بين المعتقدات التي كانت منتشرة في قريته، تصور المسيح -عليه السلام- في صورة المنتقم الجبار الذي يهدد الناس، ويتوعدهم بأقصى أنواع العذاب، لهذا لايستغرب أن يعيش عيشة قاسية اثرت على مجرى حياته فيما بعد، حيث جلدته أمه في احدى المناسبات حتى سال دمه، لأنه سرق جوزة!.

ونتيجة للأسباب الآنفة الذكر انطبع عند لوثر الإحساس بالخوف والرهبة حتى رأى : «ان النجاة الأبدية لا تكون الا بفضل الله وكرمه»[٢] وأن الإيمان هو شرط الغفران، وليس الصكوك والتعميد وغير ذلك من الوسائل التي تنتهجها الكنيسة لمسح الذنوب.

وحتى يتمكن لوثر من مقابلة رجال الدين، ورؤية مقر الكنيسة المقدسة، قرر الذهاب الى روما، ولكن بمجرد وصوله، غير فكرته تجاه رجال الدين، حيث توقع ان يرى منهم الأخلاق الحميدة والفضائل والزهد والعبادة، وغير ذلك من الصفات التي يجب أن يتخلق بها رجل الكنيسة، وبدلاً من ذلك وجد فيهم الإنحلال، والإستهانة بأحكام الدين، والإنغماس في الملذات، والإقبال على الدنيا، كل ذلك ترك فيه انطباعاً سيئاً تجاه رجال الكنيسة، مما أدى به الى القيام بدعوته الصريحة لمهاجمتهم، وبيان مفاسدهم.

---

(١) قصة الحضارة / ج ٢٤ / ص ١٠

(٢) روح الثورات والثورة الفرنسية / غوستاف لوبون / ص ٢٣

ومما زاد من نقمة لوثر على رجال الكنيسة، وحرصه الشديد على مقاومتهم، قضية «صكوك الغفران» حيث كانت الكنيسة تزعم بأنها تملك سلطة مسح ذنوب الناس، وذلك بأن يعترف المذنب أمام القسيس بذنبه، ثم يقوم القسيس بعد ذلك بمسح ذنبه!.

ومع مضي الزمن استغل رجال الكنيسة هذا الحق، فأنشأوا له صكوكاً تباع وتشترى كالسلع! وكان لتلك الصكوك تسعيرة معروفة لمسح الخطايا «فكان ثمن الغفران من خطيئة الزنا ١٥٠ من الدوقات! وثمن الغفران لمن قتل ابنتين ٨٠٠ دوقى... وهكذا»[١].

حتى وصلت مهزلة تلك الصكوك مداها في عهد البابا «ليو العاشر» عندما اراد أن يعيد بناء كنيسة «بطرس» في روما، وهذا يتطلب منه قدراً من المال، فقرر أن يجمع المبلغ عن طريق تلك الصكوك فأرسل الرسل الى البلدان والمقاطعات، ومن بين هؤلاء كان الراهب «حنا تتزل» ومما قاله للناس: «انهم اذا ما ساهموا عن طواعية واشتروا الثواب وصك الغفران، فإن تلال «سانت انابورج» ستستحيل الى كتلة هائلة من فضة صافية، وأنه ما ان يسمع رنين العملة في الصندوق حتى تكون روح من دفعت الأموال من اجله في طريقها الى الفردوس»[٢].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد بلغت الوقاحة والإستخفاف بهذا الراهب مداها، عندما خاطب جموع الفلاحين مبيناً لهم النتائج المترتبة على شراء تلك الصكوك، ومما قاله؛ «ان الرجل اذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها، فهذه الصكوك كفيلة بان تمنحه الغفران الكامل»[٣].

---

(١) لوثر والاصلاح الديني / ر.هـ. مواري / ص ٧٤

(٢) اصول التاريخ الاوربي الحديث / هربرت فيشر / ص ١٠٠

(٣) معالم التاريخ الاوربي الحديث / د. جلال يحيى، د. جاد طه / ص ١٦٧

فإذا ما وضعنا في الاعتبار المبادئ التي نشأ عليها لوثر واعتقاده ان النجاة من العذاب لاتكون الا بفضل الله وكرمه، وبين تلك المهازل التي سلكتها الكنيسة، اتضح لدينا مدى الهوة العميقة بينهما.

لهذا لا يستغرب ان يهاجم لوثر الكنيسة ويثور عليها، وهذا ما تم بالفعل، فقد اخذ يعلن انه لايستطيع اي مخلوق مهما كانت قدسيته ان يملك لاحد غفراناً.

وهاجم ايضاً صكوك الغفران، وكتب في ذلك رسائل كان لها اثر كبير على عقول الناس، يقول ديوارنت :«واصبحت الرسائل -التي كتبها- حديث الطبقة المتعلمة في المانيا ... وقل الاقبال على شراء صكوك الغفران»[١].

وبدأ الناس يتجاوبون مع دعوته، خصوصاً الطبقة المثقفة، فكانت جامعة «ويتنبرج» على سبيل المثال -كما يقول فيشر : «اصبحت المهد الاساسي للتعاليم اللوثرية»[٢].

وما لبثت ان ازدادت دعوته قوة وتاثيرا بين اوساط الناس، فازداد اتباعها، وكثر المعارضون للكنيسة، ولم يكن من المعقول، ان تقف الكنيسة امام ذلك مكتوفة الايدي، فارسلت لمحاكمته امام محكمة التفتيش، حيث اجتمع «مجمع» سنة ١٥٢٠ من اجل ذلك، واصدر قرارا بحرمانه من الحقوق الدينية والمدنية والقانونية، فرد لوثر على هذا القرار ردا عنيفا، حيث قام باحراق قرار الحرمان وسط «ويتنبرج» وجموع الناس محتشدة، وفي ذلك يقول «مواري» : «وقد ازعجت -ليو العاشر[٣]- شدة حملة لوثر فحرمه من الكنيسة سنة ١٥٢٠، فاجاب لوثر على ذلك بان احرق منشور الحرمان على ملأ من الناس»[٤].

---

(١) قصة الحضارة / ج ٢٤ — ص ١٦

(٢) اصول التاريخ الاوربي الحديث / ص ١٠٤

(٣) ليو العاشر / بابا فلورنس عاش ما بين ١٤٧٥ — ١٥٢١م وانتشرت البروتستانتية في عصره لفشله في اصلاح الكنيسة / انظر الموسوعة الثقافية / ص ٨٦٥

(٤) فترة الاصلاح الديني / ر.هـ. مواري / ص ٢٨

وربما تعود جرأة لوثر على القيام بمثل هذه الاعمال، لما حظي به من تاييد قوي من قبل بعض الامراء وجمهرة كثيرة من الناس.

ولم يقتصر تجاوب الناس مع دعوته في المانيا فحسب، بل ان اثر دعوته امتد حتى شمل معظم انحاء اوربا، ويمكن تلخيص أهم مبادئ دعوته في الآتي :

١ ـ الخضوع التام في كل الاحكام لنصوص الكتاب المقدس[١]، واعتباره المرجع الأخير في كل الأحكام، وفي ذلك يقول لوثر :«يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الاخير للعقيدة او اداء الشعائر»[٢].

٢ ـ انكاره للرهبانية التي اخذ رجال الكنيسة يعتبرونها جزءا لا يتجزأ من الدين، وفي ذلك يقول لوثر :«ويجب أن يسمح للقساوسة بالزواج»[٣] وحتى يقوض مبادئ الكنيسة فقد تزوج من احدى الراهبات واسمها «كاترين بورا».

٣ ـ عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، ولهذا لا يوجد صوراً وتماثيل في كنائسهم التي أنشأوها فيما بعد.

٤ ـ مهاجمة بيع صكوك الغفران الذي كانت تتخذه الكنيسة وسيلة لجمع الاموال، وكان يرى ان الخلاص والفوز بالاخرة لا يكون الا برحمة الله وكرمه.

٥ ـ ليس للبابا الحق في احتكار فهم الكتاب المقدس وتفسيره، وفي ذلك يقول «ديوارنت» : «وهاجم لوثر حق البابا في ان يفسر الكتاب المقدس»[٤] لهذا قام بترجمة الانجيل الى اللغة الالمانية ليتسنى لكل الماني فهمه وتفسيره.

---

(١) يقول الشيخ / محمد ابوزهرة / : «ان الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الشرقية وغيرهما من الكنائس التقليدية لايعتبرون الكتاب المقدس وحده هو المصدر للدين المسيحي، بل يعتبرون معه الرسائل غير المسطورة في ذلك الكتاب، وتعاليم المسيح التي نقلت الى البابوات خلفاً عن سلف مصدراً ايضا، و يسمون ذلك المصادر التقليدية، انظر / محاضرات في النصرانية / ص ٢٢٠ في الهامش.

(٢) قصة الحضارة / ج ٢٤ ــ ص ٢٨

(٣) المصدر السابق / ج ٢٤ ــ ص ٢٩

(٤) المصدر السابق / ج ٢٤ ــ ص ٢٨

٦ ــ انكاره الشديد على بعض الشعائر التعبدية التي كانت تقوم بها الكنيسة، كمسألة العشاء الرباني، حيث أنكر القول باستحالة الخبز الى عظام المسيح ـعليه السلام ـ والخمر الى دمه، واكتفى بان يكون هذا العشاء بمثابة تذكير للناس بما قام به المسيح بفداء نفسه من أجل الخليقة!.

٧ ــ عدم الرياسة في الدين، حيث اخذت الكنائس «البروتستانتية» بنظام عدم الاعتراف لأي رئيس بحق مقدس، بخلاف الكنائس الكاثوليكية التي يترأسها البابا الذي يستمد نفوذه من «بطرس» والذي بدوره استمد نفوذه من المسيح ـعليه السلام ـ على حد زعمهم!.

هذه هي اهم المبادئ التي نادى بها لوثر بجانب مهاجمته الشديدة لرجال الكنيسة وبيان مفاسدهم.

ولا شك ان ظلم الكنيسة وما كانت تقوم به من اعمال بربرية تجاه رجال الفكر بالاضافة الى الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها على الناس، خصوصاً ما يسمى بضريبة العشور ـفكل هذه الامور ـ بجانب الفساد الخلقي الذي كان منتشراً بين رجال الكنيسة ادى الى نجاح دعوة لوثر والتفاف الناس حوله واقتناع الرأي العام بفكرة الاصلاح الديني.

ومن الأمثلة التي تدل على نجاح دعوته، «ان اربعة اخماس الكتب ـ كما يقول ديوارنت ـ التي ظهرت في عصره كانت تؤيد الاصلاح الديني، اما الكتب التي كانت تدافع عن العقيدة المحافظة ـ اي الكاثوليكية ـ فقد كان من الصعب ان تجد من يشتريها، في حين كانت مؤلفات لوثر هي اكثر الكتب رواجاً»[1].

كما هجر بعض الرهبان الاديرة وأخذوا يبشرون بعقيدة لوثر، واخذوا ينددون بالكنيسة باعتبارها «ام الجمود والخيلاء والشح والترف والجحود»[2].

---

(١) المصدر السابق / ج ٢٤ ــ ص ٥٣

(٢) المصدر السابق / ج ٢٤ ــ ص ٤٦

٢ ــ الرخ زونجلي :

في الوقت الذي كان يعارض فيه لوثر الكنيسة بالمانيا، ويوجه لهم الانتقادات العنيفة، كان في سويسرة زعيم آخر من زعماء الاصلاح، هو «الرخ زونجلي» الذي عاش ما بين سنة ١٤٨٤م الى سنة ١٥٣١م حيث بدأ بثورته في مدينة «زيوريخ» بسويسرة، والتف حوله جمهور كبير من الناس، ومن آرائه : «لا اساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم الكنيسة»[١].

كما نقد قضية تحريم الزواج على القساوسة قائلاً :«لا اعرف فرية اعظم من تحريم الزواج الشرعي على القساوسة»[٢].

كما هاجم قضية صكوك الغفران والتماثيل، والعشاء الرباني، ويمكن القول ان معظم آراء زونجلي التي هاجم بها الكنيسة، تشبه الى حد كبير آراء لوثر، الا انه اختلف مع لوثر في اسلوب المعارضة، حيث استخدم زونجلي القوة في سبيل نشر مبادئه، فقد قام كما يقول فيشر بحظر تجاري على بعض المقاطعات الكاثوليكية في شرقي سويسرة لكي يرغمها على اتباع تعاليمه التي لقيت رواجا في زيوريخ وبرن، كما اصطدم مع رجال الكنيسة في قتال عنيف مما ادى الى دفع حياته على ساحة «كابل» سنة ١٥٣١م[٣].

اثر دعوته :

وجدت دعوة زونجلي تجاوباً كبيراً، حيث تزوج كثير من القساوسة وتخلوا عن تقديس الصور والتماثيل، وقام بعض المتحمسين بإتلاف الصور والتماثيل في كنائس زيوريخ، كما ازداد اتباعها «وما وافى عام ١٥٢٩م حتى كانت ست من المقاطعات الثلاث عشرة وبعض المدن

---

(١) المصدر السابق / ج ٢٤ — ص ١١٧

(٢) المصدر السابق / ج ٢٤ — ص ١١٨

(٣) للاستزادة انظر / اصول التاريخ الاوربي الحديث / فيشر / ص ١٤٩ — ١٥٠.

القليلة في جنوب المانيا قد اخذت جانب الإصلاح الزونجلي»[1].

كما كان لمبادئ زونجلي اكبر الأثر في الإنقسام الذي حدث في المجتمع السويسري، حيث انقسم الى فئتين، فئة البروتستانت وهي التي تأثرت بآراء زونجلي ومبادئه، فأخذت تعارض الكنيسة وتستقل عنها، وفئة الكاثوليك وهي التي بقيت محافظة على تقاليد الكنيسة ومعتقداتها، وحدث بين الفئتين قتال عنيف ذهب ضحيته الآلاف، وكان من بينهم زونجلي نفسه.

٣ ـ جون كالفن :

لم يقتصر ظهور الدعوات المناهضة للكنيسة في المانيا وسويسرة فحسب، فهناك في فرنسا ظهر زعيم آخر من زعماء الإصلاح وهو جون كالفن الذي عاش ما بين سنة ١٥٠٩م الى ١٥٦٤م، حيث أخذ يعلن معارضته للكنيسة، واشترك في اعداد خطاب القاه «نيكولاس كوب» مدير جامعة السوربون، وكان ذلك الخطاب كما يقول ديوارنت[2] يتضمن شرحاً لآراء لوثر مما ادى الى غضب رجال الكنيسة عليه، واتخاذ اجراءات صارمة ضده وبالتالي اضطر كالفن الى الهرب الى «جنيف» وهناك «كرس جهده ليجعل من جنيف جمهورية انجيلية»[3].

وكان هدف كالفن اعادة العالم المسيحي الى قرونه الثلاثة الأولى لهذا فقد سخر ـ كما يقول فيشر ـ قواه الجسمية والعقلية في محاولة هدفها ان يعيد العالم المسيحي مسيحية القرون الثلاثة الاولى[4].

ومن اجل تحقيق ذلك أخذ يؤلف ويكتب ويعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستانتي، وتكاد ان تكون معظم مبادئه تتفق مع مبادئ لوثر الا انه اختلف عنه في قضية سلطة الكنيسة

---

(١) المصدر السابق / ص ١٠٦

(٢) انظر تفصيلاً / قصة الحضارة / ج ٢٤ — ص ٢٠٧

(٣) اصول التاريخ الاوربي الحديث / فيشر / ص ١٥٢

(٤) للاستزادة انظر / المصدر السابق / ص ١٥٢

فبينما كان لوثر يرى ان سلطة الكنيسة يجب ان تخضع للسلطة المدنية، كان كالفن يرى ان الكنيسة يجب ان تحكم نفسها بنفسها، وعلى الحاكم المدني مساعدتها وحمايتها.

كما كان يعتقد -كغيره من زعماء الإصلاح- بمبدأ القدرية، بمعنى ان بعض الناس قدر لهم سلفاً وبمشيئة ازلية لا تتبدل، بان هناك فريق كتب عليه العذاب والشقاء والهلاك في الآخرة، وهناك فريق كتب له الخلاص والنجاة، وعلى هذا فاتباع الفضيلة عنده تكون لذاتها دون امل في جزاء أو خوف من عقاب وهذا الإعتقاد -كما يقول فيشر- «جزء لا يتجزأ من العقيدة الكلفنية»[1].

كما تميزت حركته بسعة انتشارها وقوة تأثيرها، واعتناق كثير من الناس لها، فقد كانت «أكثر أشكال الإصلاح البروتستانتي اتساعاً»[2].

حيث انتشرت في فرنسا واصبحت -العقيدة الكلفنية- الدين الرسمي في اسكتلندا كما امتدت الى المقاطعات الشرقية بسويسرة، بالاضافة الى اعتناق معظم سكان المجر لها.

وهذا يدل دلالة واضحة على سرعة استجابة الناس للخروج على الكنيسة ومعارضتها وما كان ذلك ليحدث -بهذه السرعة- لولا تلك الاعمال القاسية التي كانت تقوم بها الكنيسة، واحساس الناس بالظلم والمساوئ التي ارتبطت بالكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها قداسة البابا!.

ونتيجة لتلك الحركات التي تزعمها هؤلاء «لوثر، زونجلي، وكالفن» انقسم العالم المسيحي الى فريقين :

أ ــ فريق ايد حركة الاصلاح، وخرج على الكنيسة وعارضها، وأصبح له مذهب يعرف «بالبروتستانت» اي المحتجين، يغاير مذهب الكاثوليك في بعض الأمور.

ب ــ وفريق بقي على ولائه للكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها البابا.

وقامت بسبب ذلك الانقسام حروب طاحنة ذهب ضحيتها الكثير من الطرفين وعلى سبيل المثال فقد قتل نحو ثلاثين الف رجل وامرأة في عهد «شارل» في سبيل معتقداتهم، حيث

---

(١) المصدر السابق / ص١٥٣

(٢) المصدر السابق / ص١٥٤

كانوا خصوماً ألداء للكنيسة الكاثوليكية، ومن اتباع لوثر وكالفن وكان جريرتهم الوحيدة - كما يقول فيشر- «انهم كانوا يلتقون لقراءة الكتاب المقدس بلغتهم القومية، وأنهم صمموا على عبادة الله وفقاً لطريقتهم»[١].

واستمر النزاع قائماً بين الفريقين، حتى امكن التوصل الى تسوية في صلح «اوجزبرج» سنة ١٥٥٥م.

وكانت اهم شروطه «اقرار المبدأ الذي ظهر في مجلس -سبيرالاول- سنة ١٥٢٦م وهو القائل: بأن لكل امير الحق في اختيار المذهب الذي يريد سريانه في امارته»[٢].

وهكذا، ونتيجة للصراع المرير، الذي استمر لسنوات عديدة، وذهب ضحيته خلق كثير، تقلص نفوذ الكنيسة الكاثوليكية التي كانت ترى بأنها صاحبة السيادة في العالم، وان لها الحق في فرض ما تشاء والغاء ما تشاء! لأنها تستمد نفوذها من الله مباشرة! كما صرح بذلك كبيرها «غريغوري السابع»، واصبح بمقدور كل دولة الخروج على سلطة روما التي كانت في يوم من الأيام تحكم الجميع.

وهكذا استطاع زعماء الاصلاح ان يجعلوا لآرائهم جماعة انفصلت عن الكنيسة، وشكلت لنفسها سلطة مستقلة عنها، كما انشأوا لأنفسهم كنائس غير خاضعة للكنيسة الكاثوليكية، وأخذوا يعبدون الله وفقاً لمبادئهم، وسميت كنائسهم «بالكنائس الإنجيلية» أي التي لا تخضع الا لحكم الكتاب المقدس.

مآخذ على حركة الاصلاح:

مما لاشك فيه ان دعوة الاصلاح كان لها اثر كبير في لفت انظار الناس الى عيوب الكنيسة، وكشف اللثام عن سلوك القائمين عليها، والذي كان في غاية الانحطاط، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل حركة الاصلاح حققت للناس آمالهم؟ ورفعت القيود التي

---

(١) المصدر السابق / ص ١٣٧

(٢) معالم التاريخ الاوربي / ص ١٨١

فرضتها الكنيسة الكاثوليكية على عقولهم وضمائرهم؟ وهل مهدت الطريق للعلم لكي يسير في طريق الحرية؟، ام انها اقتفت أثر الكنيسة الكاثوليكية فعاقبت كل من يخالفها الرأي ؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة أعرض اجابة مجموعة من الكتاب المسيحيين:

يقول «هربرت فيشر» عن لوثر وهو أحد زعماء الاصلاح -كما ذكر- : «لم يكن يؤمن بالبحث الحر ولا بالتسامح، ولهذا رفض ان يسلم باحتمال التطور في الفكر الديني، بل تمسك بكل شدة باعتقاده ان كل الحقائق المتصلة بالمشاكل القصوى للحياة والفكر كامنة في الكتاب المقدس»[١].

هذا ماذكره عن لوثر، وما ذكره عن كلفن : «انه افتخر في خطاب وجهه الى الخريجين من رعاة الكنيسة في جنيف بانه في خلال الفترة الطويلة التي قضاها يلقن تعاليم الإنجيل لم يقدم قط على مسخ اي نص من نصوص الكتاب المقدس»[٢].

ثم يضيف مبينا الاضطهادات التي واجهها بعض رجال الفكر في سبيل معتقداتهم من قبل زعماء البروتستانت فيذكر على سبيل المثال ما تعرض له «سرفيتوس»[٣] الموحد، والذي احتج على عقيدة التثليث، فما كان من رجال الاصلاح الا ان عاقبوه ابشع عقاب، حيث قاموا بحرقه في جنيف عاصمة البروتستانتيه «وقد اشترك كلفن في اصدار قرار الحرق ووافق عليه»[٤].

كما تمسك زعماء البروتستانتية غاية التمسك بنصوص الكتاب المقدس وصرحوا بانه لا يجوز باي حال من الاحوال الخروج عليها!، وعلى سبيل المثال فقد صرح لوثر -كما يقول- «غوستاف لوبون» : «بأنه لايجوز للنصارى ان يتبعوا غير ما جاء في الكتاب المقدس»[٥].

---

(١) اصول التاريخ الاوربي الحديث / ص ٩٨

(٢) المصدر السابق / ص ١٥٤

(٣) سرفيتوس مايكل / طبيب ولاهوتي اسباني، له آراء حول العقيدة المسيحية، حيث انكر عقيدة التثليث مما ادى الى غضب الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية عليه، فهرب الى ليون، ثم قبض عليه في جنيف، وحوكم واحرق هناك، انظر / الموسوعة العربية الميسرة / ص ٩٧٨

(٤) المصدر السابق / ص ١٥٤

(٥) روح الثورات والثورة الفرنسية / ص ٢٣

ثم يضيف ـلوبون ـ مبيناً مدى تمسك زعماء الاصلاح لمذهبهم، ومعاقبة كل من يخالفهم فيقول : «وكان كلفن غير متردد في قتل من لم يكن على مذهبه»[١].

كما يتحدث «ا. وولف» في كتابه «عرض تاريخي للفلسفة والعلم» عن موقف حركة الاصلاح من العلم فيقول :«اما من حيث حركة الاصلاح الديني فإن المصلحين كانوا لا يقلون تعصباً عن رجال الكنيسة الكاثوليكية ان لم يزيدوا عليهم»[٢] ثم يذكر ما تعرض له «سرفيتوس» من حرق ليدلل على عداء البروتستانت للروح الطبيعية للعلم.

اما بالنسبة لموقفهم من العقل، فقد كان ـ كما يقول ديوارنت ـ في غاية الاستخفاف، حيث لم يعطوا له اهمية، ولعل تصريحات لوثر والتي ذكرها ديوارنت تبين بصورة جلية موقفهم من العقل، ومما قاله : «انت لا تستطيع ان تقبل كلاً من الانجيل والعقل، فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر»[٣].

ثم يبين نوع العلاقة التي تقوم بين العقل والدين فيقول : «ان العقل هو اكبر عدو للدين!»[٤].

كما اعتبر المحاولات التي قام بها بعض العلماء مثل، «آرازموس» وغيره للتوفيق بين العقل والكتاب المقدس ـوذلك عن طريق التأويل المجازي ـ بأنها كفر وإلحاد.

وهكذا يتضح من أقوال المسيحيين أنفسهم، كيف ان البروتستانتية بمختلف شعبها من لوثرية وكالفينية اقتفت خطى الكنيسة الكاثوليكية في اضطهادها للعلم، ومحاكمة كل ن لم يلتزم بمبادئها، وانحصرت الحرية العقلية في دعوتهم على نقد تصرفات رجال الكنيسة الكاثوليكية والتبشير بالمبدأ الجديد!.

وعلاوة على ذلك فقد هاجموا ـ كما فعل رجال الكنيسة الكاثوليكية ـ كل حقيقة علمية تخالف ظاهر النصوص المقدسة! ومن ذلك مهاجمتهم لنظرية كوبرنيكوس حيث اتهموه بأنه

---

(١) المصدر السابق / ص ٢٣

(٢) عرض تاريخي للفلسفة والعلم / ص ٤١

(٣) قصة الحضارة / ج ٢٤ — ص ٥٦

(٤) المصدر السابق / ج ٢٤ — ص ٥٦

منجم مأفون مصاب بمس ومن ذلك ما صرح به لوثر حيث قال : «يصغي الناس الى منجم مأفون يحاول ان يثبت ان الأرض تدور»[١].

ويضيف مبيناً ان القول بذلك فيه مخالفة صريحة لقواعد علم الفلك الصحيحة، والتي وردت في الكتاب المقدس فيقول :«غير ان هذا الممسوس يريد ان يقلب قواعد علم الفلك رأساً على عقب، في حين ان نصوص الكتاب المقدس تدل على ان -يوشع[٢]- قد أمر الشمس ان تقف ولكنه لم يأمر الأرض»[٣].

كما هاجم الفلاسفة الكلاميين لأنهم أعطوا للعقل مكانة، وحكّموه في كثير من الأمور!.

وكذلك قاوم كالفن حرية التفكير وهاجم الحقائق العلمية التي تخالف -على حد زعمه الكتاب المقدس- «واعلن كفران كل من يقول بأن الأرض ليست في مركز النظام الكوني»[٤]، ثم أخذ يتساءل : «مَن مِنَ الناس يجرؤ على ان يضع سلطة كوبر نيكوس فوق سلطة الروح القدس»[٥].

وهكذا تلقى العلم الضربة تلو الضربة من قبل الكنيسة حيث لم تكن الكنيسة البروتستانتية أخف وطأة من الكنيسة الكاثوليكية في اضطهادها للعلم.

اما بالنسبة للعلماء فلم يكن نصيبهم في المذهبين سوى القتل والحرق والسجن.

---

(١) بين العلم والدين / ص ٥٠

(٢) جاء في الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر اشعياء :«هأنذا ارجع ظل الدرجات الذي نزل في درجات آحاز بالشمس عشر درجات الى الوراء، فرجعت الشمس عشر درجات في الدرجات التي نزلتها» -٩-

وهذا يعني — حسب تصورهم — ان الشمس تدور وان الارض ثابتة، ولو كان الصحيح غير ذلك، لطلب «يوشع» من الله عز وجل ان تقف الارض وليس الشمس.

(٣) بين العلم والدين / ص ٥٠ — ٥١

(٤) بين العلم والدين / ص ٥٢

(٥) المصدر السابق / ص ٥٢

وهكذا عاش الناس في اوربا تحت ظل الكنيسة عيشة مملوءة بالظلم والقهر وسفك الدماء، حيث المجازر الرهيبة التي حدثت بين الكاثوليك والبروتستانت ادت الى القضاء على اعداد كثيرة من كلا الطرفين، مما كان لها اثر كبير في ظهور الأفكار المناوئة للدين نفسه! وظهور المبادئ التي أخذت تنادي **بحرية الفكر** اي اختيار الفرد للمذهب الذي يريده حتى ولو كان مذهباً الحادياً، وهذا ما تم بالفعل، وهو ما سنتعرض له في المبحث التالي بإذن الله.

ب ـ فصل الدين عن الدولة :

كان الكتاب المقدس في اوربا ـطوال القرون الوسطىـ هو المرجع الأخير للمعرفة، والموجه الأساسي للإنسان، سواء في سلوكه ام في فهمه للحياة، وكل حقيقة علمية ظهرت خلافاً لما ورد فيه كانت تواجه بالمحاربة والحرمان من قبل رجال الكنيسة!.

واستمر الوضع كذلك حتى بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر حيث ظهرت طبقة من الفلاسفة ضاقت ذرعاً بأعمال الكنيسة وما تقوم به من ارهاب فكري وكبت عقلي، فأخذت تمجد العقل وتظهر مكانته وانه عن طريقه يمكن ادراك الحقائق العلمية، وتمييز الخير من الشر، ومثال ذلك ما كان يقوم به ديكارت[١] حيث كان يدعو الى استخدام سلطة العقل، وجعله المعيار الوحيد لكل حقيقة.

وعلى الرغم من تذمر هؤلاء الفلاسفة من الكنيسة، بل ومن الدين نفسه! فقد كانوا يعجزون عن المجاهرة بنقد الدين خشية تعرضهم للعذاب والإضطهاد من قبل الكنيسة، و يصف «شارل» طبيعة مقاومة هؤلاء الفلاسفة للكنيسة فيقول :«كانوا لا يجهرون بمؤاخذة المناحي الدينية ولكنهم يظهرون عدم مبالاتهم بها»[٢].

ولم يقتصر الكره والحقد على الكنيسة من قبل الفلاسفة فحسب، بل امتد حتى شمل اغلبية الناس، حيث ازداد التذمر، وكثرت الشكاوي التي وجهت للكنيسة.

---

(١) رينيه ديكارت، احد الفلاسفة الفرنسيين، ولد عام ١٥٩٦ وتوفي عام ١٦٥٠م / انظر اعلام الفلاسفة / هنري توماس / ص ٢١٣

(٢) تاريخ التمدن الحديث / ص ٤٣

ومما زاد من غضب الناس سوء سلوك رجال الكنيسة والرقابة التي فرضوها على المطبوعات، والتجاء محكمة التفتيش الى استخدام أشد ضروب القسوة والتجسس والتعذيب، بالإضافة الى الإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها دون سائر الناس، كعدم خضوعهم لقوانين الدولة وعدم دفع الضرائب، ومعاملة المحاكم لهم باللين، وغيرها من الإمتيازات التي جعلت الناس يحتقرونهم و يندّدون بهم.

ثم تدرج النقد الى ان وصل الى مرحلة المعاداة الصريحة للمعتقدات الدينية، والتهجم على الكنيسة، والجهر بنقد رجالها، ومن ذلك ما قام به «فولتير»[١] حيث أخذ ينقد الكنيسة ويهاجمها في كل ميدان، ولعل كتابه «مقبرة التعصب» يظهر لنا مدى استخفافه بالدين حيث يقول في مطلعه : «ان من يعتنق دينه من غير تفكير -شأن السواد الأعظم من الناس- كالثور الذي يستسلم للنير ويحمله راضياً»[٢].

وعلاوة على ذلك فقد حاول فولتير ان يقلص من نفوذ رجال الكنيسة و يزيل تلك الإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها، ومما قاله «كل ما هو خاص بالزواج ينبغي ان يرجع فيه الى السلطة المدنية وليس على القسيس الا ان يبارك الزوجين»[٣].

ثم يضيف «ينبغي ان يخضع القسس للحكومة لأنهم افراد من الرعية التابعة للدولة»[٤].

كما ظهر في فرنسا مجموعة من الفلاسفة أمثال «ديدرو، هلباخ، ورينال» ألفوا قاموساً عاماً جامعاً لخلاصة المعارف الإنسانية بعنوان «الأنسكلوبيذيا» اظهروا فيه معاداتهم للأديان، ومما قالوه : «ان الشرائع والأديان هي العوائق التي تحول دون حصول الإنسان على السعادة، فيجب عليه محوها ليرجع الى الطبيعة»[٥].

---

(١) فولتير [فرانسوا ماري اروية] فيلسوف فرنسي ولد ١٦٩٤ وتوفي ١٧٧٨م / اعلام الفلاسفة / ص ٢٥٩.

(٢) قصة النزاع / د. الطويل / ص ١٩٠

(٣) الثورة الفرنسية / حسن جلال / ص ٥٥

(٤) المصدر السابق / ص ٥٥

(٥) تاريخ التمدن الحديث / شارل / ص ٤٧

ثم ازداد الأمر خطورة وذلك بظهور الفلاسفة الماديين امثال «براتراند رسل، هيجل، انجلز، وكارل ماركس» حيث نظروا للحياة ـاغلبهمـ نظرة مادية خالية من الإيمان بعالم الغيب، اما بالنسبة للأديان فهي في نظرهم عبارة عن «نسيج من الإثباتات الباطلة القائمة على العته ... والتي قضى العلم ببطلانها، والعلم وحده هو الذي يقودنا الى الحقيقة، اما الدين فانه وليد الخوف»[1].

ومما قاله براتراند رسل عن العلاقة بين العلم والدين : «ان العلم ـالذي يشكل المصدر الوحيد لمعرفتناـ لا يمكن ان يفسح مجالاً للاعتقاد في وجود الله! أو في خلود النفس، بل انه يعتبر نظرية الخلود نظرية بالغة البطلان والاستحالة»[2].

وهكذا انقسم علماء الغرب الى فريقين، فريق اختار جانب العلم واستخف بالمعتقدات الدينية! بل وانكر وجود الله! كما فعل الفلاسفة الماديون، وفريق تمسك بالمبادئ الدينية ولكنه استخف بالعلم وحاربه كما فعل رجال الكنيسة!.

وتفاقم النزاع بين الفريقين، فالكنيسة تريد ان تحافظ على سيطرتها ونفوذها وفرض آرائها وأفكارها وخضوع الناس لها.

والفلاسفة يريدون للعقل ان يتحرر من قيد الكنيسة، ويأخذ نصيبه من الحياة، ونتج عن هذه الهوة العميقة استحالة الجمع بين العقل والدين، بل قرر الفلاسفة أنهما ضدان لايجتمعان وان الإيمان بأحدهما يقتضي الكفر بالآخر!.

وازداد القول بوجوب سيادة العقل واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة وكان لابد للكنيسة ان تحدّ من نشاط هذه الموجة العارمة، ومن الأفكار المناهضة لها، ولكن هيهات، فقد فقدت مكانتها الروحية نتيجة للأعمال القاسية التي كانت تقوم بها، ولم تعد كلمتها تجد آذانا صاغية علاوة على الإنقسامات الشديدة داخل صفوفها، والتي أدت الى ضعفها، فهناك الكاثوليك، وهناك البروتستانت، وبينهما صراع عنيف في سبيل نشر مبادئهم، وهناك كبار المسؤولين وأصحاب المناصب العالية الذين يتمتعون بامتيازات كثيرة، وهناك صغار المسئولين الذين عاش بعضهم في بؤس وشقاء، فكل هذه الأمور بالإضافة الى حركة البعث الجديدة المناهضة

---

(١) تاريخ الفلسفة / بوخينسكي / ص ١٢٧ — ١٢٨

(٢) المصدر السابق / ص ١٠٢

للكنيسة والتي جذبت حولها كثيراً من الناس جعلت الكنيسة عاجزة عن المقاومة والتصدي للمعارضة.

وكانت الضربة القاضية مع بداية الثورة الفرنسية، التي استطاعت ان تحد من سيطرة الكنيسة وتبعدها عن ميادين الحياة، حيث ظهر في فرنسا طائفة من الفلاسفة امثال «فولتير، منتسكيو، ديدرو، وروسو» وغيرهم من الفلاسفة الذين بدأوا بنشر الأفكار المناهضة للكنيسة، وضرورة الحد من سلطانها، ولقيت هذه الأفكار رواجاً بين الناس الذين سئموا من سلطة الكنيسة وما تقوم به من أعمال وحشية ضدهم، وبدأ الناس يطالبون بالمساواة والعدل والحرية الفردية «وتطالب بان يكون كل شخص حراً في أن يقول ويكتب وينشر مايريد ... ويعتنق الدين الذي يريده»[1].

وبدأت بوادر الثورة على الكنيسة تظهر تدريجياً حتى انفجرت انفجاراً هائلاً سنة ١٧٨٩م ممثلة في الثورة الفرنسية، تلك الثورة التي استطاعت ان تحد من سلطة الكنيسة، وتقلص من نفوذ رجالها، حيث جردتهم من جميع الإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها، علاوة على اقصائهم من شتى الميادين، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والحكم والتشريع والقضاء، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل صدرت بعض القرارات عن الجمعية الوطنية التي اجتمعت سنة ١٧٩٠م كانت بمثابة الضربة القاضية للكنيسة، حيث الغت العشور الكنسية، وصادرت اموالها، واجبرت رجالها على الخضوع للدستور المدني، واخذت تعين رجال الكنيسة بدلاً من تعيينهم من قبل البابا!.

كما خفضت عدد الموظفين في الكنيسة، علاوة على اغلاق بعض المعاهد والمدارس الخاضعة لها، وفي ذلك يقول فيشر: «ولقد نتج عن دستور الثورة اخضاع رجال الدين لدستور مدني»[2] ثم يضيف «واخذت الجمعية تكيل لهم الضربة تلو الضربة، فالغت أولاً العشور الكنسية دون دفع تعويض، ثم ثنت ذلك بمصادرة جميع املاك الكنيسة، وحل طوائف الرهبنة الدينية وتحرير الرهبان والراهبات من نذور بتولتهم، واردفت هاتين الضربتين بتخفيض عدد الهيئات والأشخاص الكهنوتيين تخفيضاً عظيماً»[3].

---

(١) الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية / كارلتون هيز / ص ١٢٦

(٢) تاريخ اوربا في العصر الحديث / ص ١٨

(٣) المصدر السابق / ص ١٨

كما اصدرت الجمعية بعض القرارات حول حقوق الانسان، ومنها : ان جميع الافراد متساوون في الحقوق، و يتمتعون بالحرية، وان رجال الكنيسة كسائر ابناء الشعب ليست لهم اي امتيازات معينة، كما فرضت توزيع الضرائب على جميع المواطنين بالسواء، اما فيما يتعلق بآراء الناس ومعتقداتهم، فقد صدر قرار يقضي -كما يقول- «شارل» بأن «كل شخص يملك الحق في ان يكتب او يتكلم بمطلق الحرية، ولا يجوز ان ينزعج بسبب آرائه حتى ولو كانت تتعلق بالدين!»[1].

وهكذا اخذت الأمور تنتقل من يد الكنيسة شيئاً فشيئاً، واول ما خرج من نطاقها كان السياسة «حيث ثار الملوك على سلطة البابا، وانتزعوا السلطة من يديه انتزاعاً، واعلنوا انهم ملوك بارادتهم هم لا بارادة البابا»[2].

وظل البابا يدافع عن سلطانه في سبيل المحافظة على مركزه، ولعل ما قام به البابا «.غريغوري السادس عشر» سنة ١٨٣٠م - ١٨٤٦م تظهر مدى معارضته للحرية السياسية التي اخذت تشق طريقها في اوربا حيث «اصدر عدة منشورات ادان فيها حركة الحرية السياسية»[3].

كما قاومت الكنيسة الحرية الإقتصادية التي صاحبت قيام الثورة الصناعية، واخذت تندد بالإقتصاد وتقول عنه انه يقوم على مضامين مخالفة للدين المسيحي، وذلك لوجود الربا والربا حرام[4]، ولكن مقاومة الكنيسة -كما يقول الاستاذ محمد قطب- لم تكن مخلصة لله «انما كانت تغار من المال الذي كان يتدفق الى ايدي اليهود ولا يتدفق الى يدها»[5].

اما بالنسبة للعلم، فقد خرج من دائرة الكنيسة بسبب موقفها المعارض للحقائق العلمية، وقتلها للعلماء وحرقهم!.

---

(١) للاستزادة انظر / تاريخ التمدن الحديث / شارل / ص ٧٩ — ٨٠

(٢) العلمانية / محاضرة للاستاذ محمد قطب / ص ٩

(٣) انظر بتصرف / الثورة الصناعية / كارلتون / ص ٢٥١

(٤) جاء في سفر التثنية النهي عن الربا فيما بينهم : «لا تقرض اخاك برباً رباً فضة او ربا طعام او ربا شيء، مما يقرض بربا» ١٩/٢٣

(٥) العلمانية / محمد قطب / ص ٩

لهذا فقد اعلن العلماء انهم غير خاضعين للدين، ولا لما تقوله الكنيسة، «وظهرت كلمة -حر الفكر- ومعناها الحقيقي ملحد»[١] وهكذا خرج العلم من نطاق الكنيسة، ووقف من الدين موقف التضاد والتصادم، فالذي يلتمس العلم لاينبغي له ان يتدين، ومن اراد التدين فلا ينبغي له ان يتعلم، فالإيمان باحدهما يقتضي الكفر بالآخر!.

«بل وصل الامر الى ان مجرد ذكر الله في البحث العلمي يعتبر مفسداً له ومخرجا له من دائرة العلم الى دائرة الغيبيات، التي لا دليل عليها فيما يقولون! انما يصبح الانسان ذا تفكير علمي اذا انكر تلك الغيبيات»[٢].

وهكذا غدت الكنيسة لا حول لها ولا قوة، واخذت الامور تخرج من دائرتها شيئاً فشيئاً، حتى اقرت حكومة فرنسا سنة ١٩٠٥م قانونا حاسما يقضي «بفصل علاقات الدين بالدولة، ويقوم على اساس التفريق بينهما واعلان حياد الدولة تجاه الدين»[٣].

اما بالنسبة للدين، فاخذ ينظر اليه على انه امر خاص يتعلق بضمير الفرد، ولا يجوز اقحامه في ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية وغير ذلك.

وهكذا تم اقرار فصل الدين عن ميادين الحياة، وخضع رجال الكنيسة للدولة التي اقصت كل ماله علاقة بالدين من قوانينها، واجبرت رجال الكنيسة على ان يقسموا يمين الولاء والطاعة للقانون الجديد!، حيث «طلبت الجمعية الوطنية فيما بعد من رجال الدين، ان يقسموا يمين الولاء للشعب والملك والدستور المدني الجديد»[٤].

ولم يقتصر مبدأ إقرار فصل الدين عن الدولة في فرنسا فحسب، بل امتد حتى شمل معظم دول اوربا.

وهكذا انتهى دور الكنيسة ، ولم تعد تستطع ان تتدخل في شئون الحياة، وانزوى رجالها في الكنائس، واقتصرت مهمتهم على القيام بالوعظ والارشاد على انغام الموسيقى!.

---

(١) المصدر السابق / ص ١٠

(٢) المصدر السابق / ص ١١

(٣) سقوط العلمانية / انور الجندي / ص ٢٤

(٤) التاريخ المعاصر / د. عبد العزيز سليمان / ص ٣٩

اما بالنسبة للدين، فلم يعد له اي شأن في شئون الحياة، بل ان كل الميادين السياسية والاقتصادية والتشريعية والقضائية وغير ذلك خرجت من نطاقه، وعلاوة على ذلك فقد اصبح في نظر الاوربيين عبارة عن علاقة تربط الفرد بالآخرة، ولا شأن له في شئون الحياة الدنيا!، وانه عبارة عن حالة فردية تتعلق بضمير الفرد!.

وهكذا جنت الكنيسة على الديانة المسيحية، بعد ان ادخلت عليها اموراً كثيرة، كعقيدة التثليث والعشاء الرباني، وغيرهما من الأمور، عِلاوة على تبنيها لنظريات علمية صبغتها بصبغة دينية واعتبرتها من الامور المقدسة التي لايجوز مخالفتها، وقامت في سبيل فرضها على عقول الناس بقتل وحرق وتعذيب كل من انكرها او خالفها، وحجرت على الناس عقولهم، فما كان من العلماء الا ان ثاروا عليها، وتخطوا ذلك الى مهاجمة الدين نفسه!، واقاموا جميع مرافق الحياة على اسس بعيدة كل البعد عن الدين.

موازنة اجمالية بين موقف الاسلام والكنيسة من العلم

بعد ان تم بيان موقف كل من الاسلام والكنيسة من العلم، احببت ان اضع موازنة اجمالية كخلاصة لكلا الموقفين نجملها فيما يلي :

أ ــ موقف القرآن والعهدين من العلم :

بينما نجد في القرآن الكريم ان هناك حشداً كبيراً من الآيات تحث الانسان على التأمل والتدبر، وان يتبصر بحقيقة وجوده وارتباطاته بالمخلوقات الأخرى وكيفية الاستفادة منها، وتسخير ما في الكون بما يعود بالنفع على الانسانية، علاوة على مدحه للعلماء وتفضيلهم على سائر البشر، نجد في العهدين القديم والجديد نصوصاً كثيرة تدور حول كرامات الأنبياء ومعجزاتهم، فضلاً عن خلوها من الأحكام والشرائع او النصوص التي تحث الانسان على استخدام عقله، والاستفادة من مخلوقات الله -عز وجل- التي سخرها للإنسان.

وبالإضافة الى ذلك، فإن معطيات العلم تتفق مع الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن بعض العلوم العقلية، ولا يمكن لأي حقيقة علمية ان تصطدم مع النصوص القرآنية.

ولكن المتأمل في نصوص العهدين القديم والجديد يقف حائراً امام بعض النصوص التي لا تتفق في اغلبها مع معطيات العلم، بالإضافة الى التناقض والتنافر الذي يبدو واضحاً في بعض الروايات، مثل قصة الطوفان وذكر شجرة انساب المسيح عليه السلام وغير ذلك.

وعلاوة على ماسبق، فقد ورد في العهدين القديم والجديد بعض التكاليف التي تتنافى مع العقل، والتي لايمكن للعقل السوي ان يستسيغها، وذلك كمسألة العشاء الرباني، وعقيدة التثليث.

لكن المتأمل والمتدبر في القرآن الكريم يجد ان كل الأحكام الشرعية التي تضمنها كتاب الله -عز وجل- تتقبلها العقول ولا يمكن ان تصطدم مع العقل السوي.

ولهذا فإن اعداء الإسلام من مشركين ويهود وغيرهم، اتهموا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما جاءهم بالقرآن، تارة بالجنون وتارة بالسحر، وغير ذلك من الإفتراءات، ولكنهم لم يقولوا عن القرآن ان هذا الذي جاء به محمد لا يعقل، او هو مخالف للعقول.

وفي ذلك يقول الشاطبي : «كانوا يقولون -ويقصد الكفار- في القرآن : سحر وشعر وافتراء وانما يعلمه بشر واساطير الأولين، بل كان اولى ما يقولون ان هذا لايعقل او هو مخالف للعقول او ما اشبه ذلك، فلما لم يكن من ذلك شيء، دل على انهم عقلوا ما فيه وعرفوا جريانه على مقتضى العقول، الا انهم ابوا اتباعه لأمور أخرى، حتى كان من امرهم ما كان ولم يعترضه احد بهذا المدعى، فكان قاطعاً في نفيه عنه»[1].

ب ـ موقف الدولة من العلم والعلماء وطلاب العلم :

١ ـ موقفها من العلم :

بينما نجد الدولة في البلاد الاسلامية تهتم بالعلم وتوليه عناية فائقة، حيث انشأت الجامعات، والمعاهد، والمدارس، والمكتبات العامة بالإضافة الى المكتبات التي الحقت بالمساجد، وارسلت الرسل الى سائر البلدان في سبيل الحصول على الكتب، وجندت العلماء لترجمتها، كما أنشأت مصانع الورق وغير ذلك في سبيل النهوض بالحركة العلمية -فبينما كل ذلك كان يحدث في البلاد الإسلامية- نجد في الغرب المسيحي ان العلوم خضعت لسلطة الكنيسة وصبغتها بصبغة دينية لا يجوز الخروج عليها، كما قيدت بعض العلوم الأخرى بالنصوص المقدسة، وفرضتها على عقول الناس، وكل حقيقة علمية جاءت خلافاً لما ورد في النصوص المقدسة او لنظريات الكنيسة كانت لاترى النور بسبب المحاربة والحرمان التي كانت تلاقيها من قبل الكنيسة، بالإضافة الى عدم اهتمام الدولة بالمدارس والجامعات والمكتبات، حيث كانت تقوم الدراسة في مبان خاصة للكنيسة كالأديرة وما شابه ذلك، وهذا يعني خضوع البرامج التعليمية للكنيسة ونظرياتها.

٢ ـ موقفها من العلماء :

كان العلماء في الدولة الإسلامية يجدون في حلهم وترحالهم كل عناية واهتمام من قبل الحكام في البلاد الإسلامية، فبالإضافة الى المكانة الرفيعة التي كانوا يحظون بها عند الخلفاء والولاة والأمراء، كانت الأموال تغدق عليهم، وتيسر لهم جميع الوسائل في سبيل مواصلة ابحاثهم ودراستهم.

---

(١) انظر تفصيلاً / الموافقات للشاطبي / ج ٣ — ص ٢٨

أما في الغرب المسيحي فقد كان العلماء يقاسون من جميع وسائل التعذيب والاضطهاد من قبل الكنيسة، ولعل حرق «برونو» وتعذيب «جاليلو» ولعنة «كوبرنيكوس» وغيرهم من العلماء تدل دلالة واضحة على ما نقول.

٣ ــ موقفها من طلاب العلم :

هُيئت لطلاب العلم في الدولة الإسلامية جميع التسهيلات في سبيل مواصلة دراساتهم، بالإضافة الى الأموال التي كانت تنفق عليهم، وانشاء المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم، فقد كان بعض الولاة يأمرون ببناء المساكن لطلاب العلم، حتى يستطيعوا مواصلة دراساتهم دون اي صعوبة تواجههم، علاوة على الأوقاف الكبيرة التي كانت توقف على طلبة العلم.

اما في الغرب المسيحي، فقد كانت الكنيسة تمنح بعض طلاب العلم رخصاً من أجل التسول! لكي يستطيعوا عن طريقها تغطية نفقاتهم الدراسية على الرغم من امتلاك الكنيسة للأموال الطائلة، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم اهتمام الكنيسة بالعلم وطلابه.

ج ــ المكتبات والكتب :

انتشرت المكتبات التي كانت تحتوي على آلاف الكتب والمجلدات في شتى انواع العلوم والمعرفة في سائر البلدان الاسلامية، حيث اهتم الخلفاء والولاة غاية الاهتمام بالكتب، فأرسلوا الرسل، وانفقوا الاموال الطائلة في سبيل الحصول عليها، وجندوا العلماء لترجمتها كما عينوا جهازاً ضخما من وراقين ونساخ وغيرهم في سبيل المحافظة على الكتب وترتيبها وتصنيفها، علاوة على الاهتمام بصناعة الورق، التي كان لها اثر كبير في نشر الكتب.

اما بالنسبة للكنيسة، فعلاوة على مصادرتها لبعض الكتب وحرقها ـ لاحتوائها على بعض الحقائق العلمية التي تخالف نظرياتها ـ فقد كانت تفرض الرقابة الصارمة على المطبوعات وتتدخل في بحوث العلماء ودروسهم، وتحرم على اتباعها مطالعة الكتب المخالفة لنظرياتها.

اما بالنسبة للكتب التي كانت تحتفظ بها داخل الأديرة، فعلاوة على الأخطاء العلمية التي كانت تحتويها، فقد كانت باهظة الثمن، وتقتصر المعلومات التي تحتويها ـ في اغلبها ـ على دراسة علم اللاهوت.

د ـ العلوم الطبيعية :

تبوأ كثير من العلوم الطبيعية - بفروعها المختلفة - مكانة رفيعة عند العلماء المسلمين، فبالاضافة الى الابتكارات الكثيرة التي احدثها علماء المسلمين في شتى انواع العلوم، فقد اكتشفوا - نتيجة ابحاثهم وتجاربهم التي كانت تسير مع العقل جنبا الى جنب - كثيرا من الاخطاء العلمية التي كانت شائعة في ذلك العصر، فصححوا بعضها وكملوا الناقص فيها وطوروا البعض الاخر.

اما في الغرب المسيحي، فقد حاولت الكنيسة بكل ما اوتيت من قوة ان تقيد كثيرا من العلوم بالنصوص المقدسة، ونظرياتها صبغتها بصبغة دينية، واخذت تعاقب كل من يحاول الخروج عليها او مخالفتها. وعلى سبيل التمثيل فهذه مقارنة لبعض انواع العلوم، يمكن من خلالها التعرف على الفارق الضخم بين مستوى التعليم في الشرق الاسلامي، ومستواه في الغرب المسيحي.

١ ـ الطب :

بينما كانت -حقائق المعاينة والكشف عن المرضى ووصف العلاج، والقيام بالعمليات الجراحية وغير ذلك من الأمور التي توفرت لعلاج المرضى وراحتهم، بالإضافة الى المستشفيات الراقية التي توفرت فيها شروط الصحة والكمال- تحدث في العالم الإسلامي، كانت الكنيسة في الغرب المسيحي تحرِّم على الرهبان تعلم الطب او مزاولته، وتعارض وتحارب بعض المكتشفات الطبية كالتخدير وغير ذلك، لاعتقاد الكنيسة ان معظم الأمراض الجسدية تنشأ بسبب الخطيئة، وان علاجها لايحتاج الى أطباء وجراحين! بل يحتاج الى توبة واعتراف بالخطيئة امام القسيس، بالإضافة الى المعالجة بالتمائم والسحر.

٢ ـ الفلك :

لعل الآلات والمؤلفات والآثار الإسلامية في علم الفلك تدل دلالة واضحة على مدى تفوق علماء المسلمين في هذا العلم، ولعل المراصد التي انشئت في عهد المأمون، والدراسات التي كان يقوم بها العلماء، امثال «عبد الرحمن الصوفي» و «ابناء شاكر» و «والبتاني» وغيرهم من تصحيح لبعض النظريات العلمية الشائعة في ذلك العصر، لاسيا فيا يتعلق بالضوء والإبصار علاوة على رصدهم للنجوم، ودراسة ظاهرة الكسوف والخسوف، تدل دلالة واضحة على رقي علم الفلك وازدهاره في البلاد الاسلامية.

اما بالنسبة لعلم الفلك في الغرب المسيحي فقد قيدته الكنيسة بما ورد في الكتب المقدسة واعتبرت الارض ثابتة، وان الشمس تدور من حولها، وفي سبيل فرض مثل هذ النظريات على عقول الناس، اخذت تعاقب كل من يقول بخلاف ذلك، ولعل معاقبة «جاليليو» ولعنة «كوبرنيكوس» ومصادرة وحرق كتبه أبيَنْ دليل على ذلك.

٣ ــ الجغرافيا :

اشتهر بين الجغرافيين الإسلاميين «الإدريسي» و «ابن بطوطة» و «البغدادي» وغيرهم من العلماء الذين نبغوا في علم الجغرافيا، حيث تركوا ثروة نفيسة من المؤلفات سجلوا فيها مشاهداتهم اثناء قيامهم بالرحلات العديدة عبر الأقاليم والبلدان، بالإضافة الى وصفهم الدقيق للظواهر الجغرافية، ورسمهم للخرائط المتنوعة، مما يدل على العناية الفائقة بهذا العلم.

اما في الغرب المسيحي، فقد انتشرت بعض الأفكار والنظريات الجغرافية التي تدل على مدى التخلف والجهل الشديد فيما يتعلق بهذا العلم، ومثال ذلك تعليلهم لظاهرة اختفاء الشمس وقت الغروب، بان الشمس تأوي في ذلك الوقت الى جبل عظيم وتستقر خلفه!.

كما عللوا ظاهرة احرار الشمس انه ناتج عن مواجهتها لجهنم، اما بالنسبة لظاهرة سقوط المطر، فقد بقيت اوربا ردحاً طويلاً من الزمن ترزح تحت وطأة نظرية «قزماس»، احد كبار اللاهوتيين، ومؤداها «ان الملائكة يفتحون و يغلقون ابواب السماء ليتدفق منها الماء على سطح الأرض ليرويها!»[1].

٤ ــ الكيمياء :

حظيت الكيمياء ـ كسائر العلوم الأخرى ـ بالعناية والاهتمام من قبل العلماء المسلمين، فبالإضافة الى عمليات التقطير والترشيح والتصعيد، فقد كانوا يجرون التجارب العديدة ويحضّرون المركبات المختلفة، كحامض الكبريتيك، والنتريك، وغيرها من المواد الكيميائية، التي كانوا

---

(١) حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي / جلال مظهر / ص ٣٩٩

يستخدمونها في الصناعات المختلفة، كدبغ الجلود وصناعة الأدوية والعقاقير، وتحويل المعادن الخسيسة الى نفيسة.

اما في الغرب المسيحي، فقد كان العلماء يواجهون الاضطهاد والحملات العنيفة من قبل الكنيسة لأنهم استطاعوا نتيجة تجاربهم ان يتوصلوا الى نتائج علمية تخالف ما تتبناه الكنيسة من نظريات وأفكار ومن ذلك ثورتهم على «لينيوس» لأنه استطاع بتحليله أن يتوصل لمعرفة اسباب احمرار المياه، ومما قاله : «ان احمرار المياه راجع الى تكاثر نوع من الجوينيات فيه»[1]

لهذا فقد قامت قيامة الكنيسة، وجاهرته بالعداء، لأن في ذلك التعليل مخالفة صريحة لتعليل الكنيسة، التي عللت تلك الظاهرة بأنها معجزة من المعجزات الربانية!.

بهذه الأفكار والآراء كانت تعيش اوربا خلال القرون الوسطى، تحت وطأة الكنيسة التي أخذت العهد على نفسها بمحاربة ومعاقبة كل من لم يخضع لأفكارها ونظرياتها التي لا تتفق -في اغلبها- مع معطيات العلم.

وهكذا يتضح بعد هذه المقارنة، الوجه المشرق لتاريخ الحضارة الاسلامية، وكيف ان الأمة الإسلامية استطاعت نتيجة لتمسكها بدينها ان تبلغ المجد والعزة والتقدم والازدهار في شتى انواع العلوم والمعرفة، وكانت لغتها لغة العلم، علاوة على المؤلفات الضخمة التي كانت بمثابة المراجع الاساسية لكل من اراد ان يتعلم.

وبالمقابل يتضح تاريخ الكنيسة المظلم، التي اضطهدت العلماء، وحاربت الحقائق العلمية وقيدت العلوم بنظرياتها وأفكارها، ولهذا لاغرابة ان تثور اوربا على الكنيسة ثم على الدين نفسه لأنه أصبح في نظرها العقبة الكبرى في سبيل التقدم والازدهار وتحرر العقل البشري.

---

(١) بين العلم والدين / ص ٢٧٧

الخاتمة

بعد هذه الدراسة لموقف كل من الإسلام والكنيسة من العلم، يمكن استخلاص النتائج الآتية :

١ ــ ان هناك ايات كثيرة وردت في القرآن الكريم تحث على طلب العلم وتمجد العلماء، وتفضلهم على سائر البشر، وتشير الى بعض انواع العلوم، كذلك وردت ايات أخرى وضعت الخطوط الرئيسية ومهدت الطريق امام العقل الإنساني من أجل الوصول الى الحقائق والنتائج السليمة.

٢ ــ لا يمكن لأي حقيقة علمية أن تصطدم مع الآيات القرآنية، وعلى هذا فيجب عدم قسرالآيات القرآنية وتحميلها ما لا تحتمل لكي توافق النظر يات العلمية وذلك للآتي :

ا ــ ان النظر يات العلمية قابلة للخطأ والصواب والتعديل والز يادة والتبديل.

ب ــ ان ذلك يعني ان النظر يات العلمية هي الأصل التي يقاس عليها خطأ وصواب الأمور، بما في ذلك الآيات القرآنية!.

ج ــ ان الآيات القرآنية التي اشارت الى بعض انواع العلوم، ذكرتها بصورة اجمالية، لأن مدلول الآيات اوسع من حصرها وقسرها على تلك الكشوفات والنظر يات العلمية.

ولهذا فانه يمكن الاستفادة من تلك الكشوفات في تفسير مدلول الآيات القرآنية دون قسر الآية على ذلك المكتشف، والقول بأن هذا هو مراد الله -عز وجل-.

٣ ــ بالاضافة الى حرص رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حث الصحابة على طلب العلم والتحذير من كتمانه، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- يستخدم جميع الوسائل التعليمية من أجل النهوض بالعلم ونشره، ولم تقتصر دعوته -عليه الصلاة والسلام- على تعلم العلوم الشرعية فحسب، بل كل علم يعود على الانسان بالخير والنفع، حث على تعلمه.

٤ ــ نتيجة للاهمية الكبرى، والعناية الفائقة التي أولاها القرآن الكريم، والسنة النبوية للعلم، فقد تكاتفت الجهود، ونشطت العقول، وانفقت الاموال في سبيل النهوض بالعلم ونشره، مما ادى الى نبوغ العلماء في شتى انواع العلوم والمعرفة، وتقدم وازدهار كثير من العلوم، حتى

غدت اللغة العربية لغة أهل العلم، وكانت البلاد الاسلامية بمثابة المراكز الرئيسية التي يأوي اليها طلبة العلم من كل حدب وصوب.

٥ ــ ان التقدم والازدهار الذي صاحب الحضارة الاسلامية لم يقتصر تأثيره على البلاد الاسلامية فحسب بل ان تأثير تلك الحضارة تجاوز البلاد الاسلامية الى الغرب المسيحي، حيث انتقلت كثير من العلوم وترجمت الكتب الكثيرة الى اللغة اللاتينية، علاوة على اقتباس ونقل الكثير من العلوم عن طريق طلبة العلم الغربيين الذين كانوا يتلقون تعليمهم داخل الجامعات والمدارس الاسلامية وكذلك عن طريق بلاد الاندلس وصقلية والحروب الصليبية.

وعلى هذا، فإن الحضارة الاوروبية مدينة بالشيء الكثير للحضارة الاسلامية، التي لولاها لتأخرت الحضارة الاوربية عدة قرون.

٦ ــ لقد كان للترجمة التي اتسعت في عهد المأمون اثر كبير في تقدم العلوم وازدهارها، حيث استفاد علماء المسلمين من تلك الكتب المترجمة، و بالمقابل فقد كان لترجمة الكتب الفلسفية جانب سلبي حيث اصبحت تلك الكتب مرتعاً خصباً لكل من اراد ان يسيء للإسلام، كما ظهرت طبقة من الفلاسفة اخضعت كل شيء للعقل، بما في ذلك الأمور الغيبية!.

كما اخذت بعض الفرق تستدل بالحجج والبراهين الفلسفية في سبيل تأييد مذهبها، كما ازداد الجدال والشقاق بين المسلمين بسبب شيوع الفلسفات التي نتجت عن الترجمة.

٧ ــ ان اسباب ضعف المسلمين، وتخلفهم وجهلهم يعود الى اسباب عديدة اهمها بعدهم عن كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- بالإضافة الى اسباب اخرى تعرضت لها الأمة الإسلامية، كالغزو الصليبي والمغولي، علاوة على الإنقسامات والثورات والفتن التي حدثت بين الأمة الإسلامية.

٨ ــ ان فكرة الكنيسة بمفهومها الحالي، وما تتضمنه من جهاز ضخم من شمامسة وكرادلة وغير ذلك من الألقاب، لم تكن في عهد المسيح -عليه السلام- ولم يأمر بها، كما ان سلوك القائمين عليها كان في غاية الانحطاط.

٩ ــ ان معطيات العلم لا تتفق -في اغلبها- مع بعض النصوص المقدسة التي وردت في العهدين القديم والجديد، والتي تعرضت لبعض انواع العلوم.

١٠ ــ من الاسباب الرئيسية التي ادت الى الجهل والتخلف والجمود في اوربا خلال القرون الوسطى، هو تقييد العلوم بما ورد في الكتب المقدسة، ومحاربة كل من يخالفها.

١١ ــ ان المتناقضات التي وردت في العهدين القديم والجديد، بالإضافة الى بعض الأمور التي لايستسيغها العقل سواء ما ورد منها في الكتب المقدسة كمسألة العشاء الرباني وعقيدة التثليث، ام ما ورد على السنة رجال الكنيسة جعلت بعض العلماء ينفرون من الكنيسة، و ينظرون الى الكتب المقدسة نظرة خالية من الاحترام، فضلاً عن اعتبارها عقبة كبرى في سبيل التقدم والازدهار.

١٢ ــ ان المتأمل في الانتقادات الموجهة للكنيسة، وظهور الأفكار والنظريات المخالفة لها، يجد ان معظمها لم يحدث الا بعد استقرار الإسلام في بلاد الأندلس، وانتقال بعض الأفكار والنظريات العلمية من البلاد الإسلامية الى الغرب المسيحي، وفي ذلك دلالة واضحة على اسهام الحضارة الإسلامية في تفتح العقول الغربية وايقاظها من سباتها العميق.

١٣ ــ ان الفساد الذي تفشى بين رجال الكنيسة والمهازل التي كانوا يقومون بها، كبيع صكوك الغفران، ادى الى ظهور بعض الزعماء الذين عارضوا الكنيسة وثاروا عليها وسميت حركتهم بالبروتستانت.

١٤ ــ ان الحركة البروتستانتية لم تكن اقل تعسفاً من الكاثوليكية في اضطهادها للعلم والعلماء، ولعل ما تعرض له سرفيتوس من حرق يدل على عداء البروتستانت للروح الطبيعية للعلم.

١٥ ــ نتيجة للاعمال الوحشية التي كانت تقوم بها الكنيسة، طوال القرون الوسطى تجاه العلماء، ومقاومتها لكثير من الحقائق العلمية، بالإضافة الى سوء سلوك القائمين عليها ادى الى ظهور افكار وآراء مناوئة للكنيسة، بل تجاوز ذلك الى الدين نفسه، ولعل المبادئ والقوانين التي صاحبت قيام الثورة الفرنسية تدل دلالة واضحة على العداء الشديد والكراهية للكنيسة والدين معاً مما ادى في نهاية المطاف الى تقليص نفوذ الكنيسة، واصبح مفهوم الدين هو صلة تقوم بين العبد وربه دون تدخل في الشئون الأخرى للحياة!.

وفي نهاية المطاف، وبعد ان اتضح موقف الإسلام والكنيسة من العلم اختتم هذا البحث بقول الله ـعز وجلـ : «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم»(١).

---

(١) العلق / ١ ــ ٥

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ اثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية / الدكتور مختار القاضي / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧٢م .

٣ ـ أحد عشر قرناً في جامعة القرويين / عبد الهادي التازي / مطبعة فضالة المحمدية ١٩٦٠م .

٤ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية / لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفي عام ٤٥٠هـ / مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر. ١٩٦٦م ط ٢.

٥ ـ إحياء علوم الدين / لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي عام ٥٠٥هـ/ مطبعة مصطفى الحلبي / مصر - ١٩٣٩م .

٦ ـ اخوان الصفا / عمر الدسوقي / مطبعة الرسالة / بيروت / ١٩٤٧م

٧ ـ الأدب المفرد / لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفي عام ٢٥٦هـ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / المطبعة السلفية / القاهرة / ١٣٧٥هـ.

٨ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية / محمد عبده مطبعة المنار / مصر / ١٣٤١هـ ط ٣.

٩ ـ الاصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني المتوفي ٨٥٢هـ تحقيق علي محمد البجاوي / دار النهضة للطبع والنشر / القاهرة.

١٠ ـ اصول التاريخ الاوربي الحديث [من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسية] هربرت فيشر ترجمة الدكتورة زينب عصمت راشد والدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى / دار المعارف / مصر / ١٩٦١م ط٣.

١١ ـ اضواء الكواكب [مجموع الرسائل] الحسن بن الحسن بن الهيثم المتوفى عام ٤٣٠هـ دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر اباد الدكن - الهند سنة ١٣٥٧هـ- ط١.

١٢ - الاعلام / خير الدين الزركلي / ط٢/١٩٥٤م.

١٣ - اعلام الفلاسفة / د. هنري توماس - ترجمة متري امين / دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٤م.

١٤ - الله يتجلى في عصر العلم / تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين / ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان / مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٦٨م ط٣.

١٥ - الأناجيل / دار الكتاب المقدس / القاهرة.

١٦ - انتشار العرب وعلومهم في فرنسا / د. محمد احمد الصديقي / مطبعة اسرار كريمي - الهند ١٩٤١م .

١٧- اوربا العصور الوسطى / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / دار النهضة العربية - مصر ١٩٧٥م ط٦.

١٨ - اوربا في مطلع العصور الحديثة / د. عبد العزيز محمد الشناوي / دار المعارف - مصر ١٩٦٩م .

١٩ - بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / دار احد - بيروت ١٩٧٧م.

٢٠ - البداية والنهاية / لأبي الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى عام ٧٧٤هـ / مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٦٦م ط١.

٢١ - البيان والتبيين / لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / المتوفى عام ٢٥٥هـ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٠م ط٢.

٢٢ - بين الاسلام والمسيحية / لأبي عبيدة الخزرجي المتوفى عام ٥٨٢هـ / تحقيق الدكتور محمد شامة - ١٩٧٥م ط٢.

٢٣ - بين العلم والدين / اندرو ديكسون وايت / ترجمة اسماعيل مظهر - دار العصور - مصر ١٩٣٠م.

٢٤ - تاج العروس / محمد مرتضى الزبيدي / دار ليبيا للنشر والتوزيع -بنغازي.

٢٥ - التاريخ الاسلامي / د. ابراهيم الشريقي / ١٩٧١م ط٢.

٢٦ - التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية / د. احمد شلبي /مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٠م.

٢٧ - تاريخ اوربا الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا / د. عبد الحميد البطريق / مطابع جامعة الرياض - ١٩٧٨م.

٢٨ - تاريخ اوربا [العصور الوسطى] /هـ.ا.ل.فشر / ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني / دار المعارف - مصر - ط٣.

٢٩ - تاريخ اوربا في العصر الحديث [١٧٨٩ - ١٩٥٠م]هـ.ا.ل.فشر / ترجمة احمد نجيب هاشم و وديع الضبع - دار المعارف - مصر - ط٥

٣٠ - تاريخ التربية الاسلامية / د. احمد شلبي / دار الكشاف - بيروت - ١٩٥٤م.

٣١ - تاريخ التمدن الحديث / شار سنيو بوش / ترجمة المحجوب - مطبعة الهلال - مصر - ١٩٠٩م.

٣٢ - تاريخ جامع الزيتونة / محمد بن عثمان الحشائش / تحقيق - الجيلاني بن الحاج يحيى - المطبعة العصرية - ١٩٧٤م.

٣٣ - تاريخ الخلفاء / جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - ١٩٥٢م ط١.

٣٤ - تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه / د. عبد الحليم منتصر / دار المعارف - مصر - ١٩٧٥م ط٦.

٣٥ - تاريخ عمر بن الخطاب / جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ / مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.

٣٦ - تاريخ الفلسفة الغربية / برتراند رسل / ترجمة د. زكي نجيب محمود - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٤م.

٣٧ - تاريخ الفلسفة في الاسلام / الاستاذ ت.ج.دي بور/ ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة /مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٧م ط٤.

٣٨ - تاريخ الفلسفة المعاصرة في اوربا / بوخينسكي / ترجمة محمد عبد الكريم الوافي - مؤسسة الفرجاني - طرابلس - ليبيا- ١٣٨٩هـ

٣٩ ـ التاريخ المعاصر ـ اوربا من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الثانية ـ تاليف د.عبد العزيز سليمان نوار ود.عبد المجيد نعنعي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٣م.

٤٠ - التخجيل / ابو الفضل السعودي المالكي - مخطوطة بالمكتبة المركزية لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - رقم ١٣٤٢ بقسم المخطوطات.

٤١ - التراتيب الادارية [نظام الحكومة النبوية] عبد الحي الكتاني - دار احياء التراث العربي - بيروت.

٤٢ - التفكير الفلسفي في الاسلام / د. عبد الحليم محمود / دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٧٤م ط١.

٤٣ - تقليد وتجديد / طه حسين / دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٨م ط١.

٤٤ - تهافت العلمانية / د.عماد الدين خليل / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٩م.

٤٥ - التوراة - دار الكتاب المقدس - القاهرة.

٤٦ - الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية / الاستاذ كارلتون ج.هـ.هيز / ترجمة احمد عبد الباقي /منشورات مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٢م ط٢.

٤٧ - الثورة الفرنسية / حسن جلال / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٠م ط٣.

٤٨ - جامع بيان العلم وفضله / لابي عمر يوسف بن عبد البر النُّمري القرطبي ، المتوفي عام ٤٦٣هـ - المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٤٩ - الحاوي في الطب / لابي بكر محمد بن زكريا الرازي، المتوفي عام ٣١٣هـ - مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر اباد - الدكن - الهند - ١٩٥٥م ط١.

٥٠ - الحركة الصليبية / د. سعيد عبد الفتاح عاشور / مكتبة انجلو المصرية - ١٩٧١م.ط٢.

٥١ - حضارة الاسلام / الاستاذ جوستاف .ا. فون جرونيباوم / ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - دار مصر للطباعة.

٥٢ - حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي / جلال مظهر / دار مصر للطباعة.

٥٣ - الحضارة العربية / ى .هل / ترجمة الدكتور ابراهيم احمد العدوي - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٥٦م.

٥٤ - الحياة العلميه في الدولة الاسلامية / محمد الحسيني عبد العزيز/ وكالة المطبوعات - الكويت - ١٩٧٣م.

٥٥ - خارطة الادريسي / احمد عبد الجبار الخبير / مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٧٤م [والكتاب مأخوذ من المجلد الخامس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي].

٥٦ - خزائن الكتب القديمة في العراق / كوركيس عواد / مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٤٨م.

٥٧ - دائرة المعارف / بطرس البستاني / مطبعة المعارف - بيروت - ١٨٨٣م.

٥٨ - دائرة المعارف الحديثة / احمد عطية الله / مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٧٩م ط٢.

٥٩ - دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدي / دار المعرفة - بيروت - ١٩٧١م ط٣.

٦٠ - دائرة معارف الناشئين - صادرة عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - تعريب / فاطمة محمد محجوب / مراجعة الدكتور محمد خليفة بركات - دار الهلال.

٦١ - دراسات في حضارة الاسلام / هاملتون جب / ترجمة الدكتور احسان عباس وآخرون - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٤م ط٢.

٦٢ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاي / دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧م ط٤.

٦٣ - رحلة ابن بطوطة [تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار] لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم - المعروف بابن بطوطة المتوفي ٧٧٧هـ- مطبعة التقدم - مصر -ط٢.

٦٤ - رحلة ابن جبير / لأبي الحسين محمد بن احمد بن جبير / المتوفى ٦١٤هـ - دار صادر - بيروت - ١٩٦٤م.

٦٥ - روح الثورات والثورة الفرنسية /د. غوستاف لوبون / ترجمة محمد عادل زعيتر - المطبعة العصرية - مصر - ١٩٣٤م ط٢.

٦٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد / لأبي عبد الله بن القيم الجوزي المتوفي عام ٧٥١هـ .

٦٧ - سقوط العلمانية / انور الجندي / دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٧٣م ط١.

٦٨ - سنن ابن ماجة / لابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى عام ٢٧٥هـ / دار احياء الكتب العربية - ١٩٥٢م.

٦٩ - سنن ابي داود / لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الآزدي - المتوفى عام ٢٧٥هـ - مطبعة مصطفى محمد - مصر.

٧٠ - سنن الترمذي / ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى عام ٢٩٧هـ / تحقيق - ابراهيم عطوة عوض - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ١٩٧٥م ط٢.

٧١ - سيرة ابن هشام / لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المتوفى عام ٢١٨هـ / تعليق محمد خليل هراس - مكتبة الجمهورية - مصر.

٧٢ - شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار المتوفى عام ٤١٥هـ / تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة - مصر - ١٩٦٥م ط١.

٧٣ - الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية / المهندس الدكتور احمد سوسة / نقابة المهندسين العراقية - بغداد - ١٩٧٤م.

٧٤ - شمس العرب تسطع على الغرب / زيغريد هونكة / ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - ١٩٦٩م ط٢.

٧٥ - صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى عام ٢٥٦هـ / المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٣١٤هـ.

٧٦ - صحيح مسلم / لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى عام ٢٦١هـ / مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.

٧٧ - صحيفة الرياض - السعودية - عدد ٤٦٦٩

٧٨ - الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة / حمود بن عبد الله التويجري / السعودية - ١٣٨٨هـ ط١.

٧٩ - ضحى الاسلام / احمد امين / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٧٤م ط٨.

٨٠ - الطبقات الكبرى / لابن سعد محمد بن سعد المتوفى عام ٢٣٠هـ/ دار صادر - دار بيروت - بيروت - ١٩٥٧م.

٨١ - عرض تاريخي للفلسفة والعلم تاليف / ا.وولف / ترجمة محمد عبد الواحد خلاف - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٤ ط٢.

٨٢ - العلمانية / محاضرة للاستاذ محمد قطب / ضمن البرنامج الثقافي العام لطلاب الدراسات العليا بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٠هـ.

٨٣ - العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي / الدوميلي / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى - دار القلم - ١٩٦٢م ط١.

٨٤ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء / لأبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة المتوفى عام ٦٦٨هـ / تحقيق الدكتور نزار رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٥م.

٨٥ - الغزو الصليبي... والعالم الاسلامي / الدكتور علي عبد الحليم محمود / دار عكاظ - السعودية - ١٩٧٩م.

٨٦ - فتح الباري لشرح صحيح البخاري / للامام احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ/ المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٨٠هـ

٨٧ - فترة الاصلاح الديني / محاضرة للاستاذ السير جون.ا.هامرتن / ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر [مأخوذة من المجلد السادس - تاريخ العالم-] مكتبة النهضة المصرية - مصر.

٨٨ - فتوح مصر والمغرب / لابن عبد الحكم المتوفى عام ٢٥٧هـ / تحقيق عبد المنعم النمر - طبعة لجنة البيان العربي.

٨٩ - فجر الاسلام / احمد امين / مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٥م ط٧.

٩٠ - الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرائيني المتوفى عام ٤٢٩هـ / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة المدني - القاهرة.

٩١ - الفلسفة الاسلامية ومركزها في التفكير الانساني /.د. ريتشارد فالتزر / ترجمة محمد توفيق حسين.

٩٢ ـ الفلسفة في الاسلام دراسة ونقد / د. عرفان عبد الحميد / دار التربية ـ بغداد.

٩٣ - الفهرست / لابي الفرج محمد بن اسحاق النديم المتوفى عام ٣٨٥هـ على الارجح / مطبعة الاستقامة - القاهرة.

٩٤ - فيض القدير شرح الجامع الصغير / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - المتوفى عام ١١٩هـ / شرح عبد الرؤوف المناوي - مطبعة مصطفى محمد - مصر - ١٩٣٨م ط١.

٩٥ - في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق - بيروت - ١٩٧٦م ط٢.

٩٦ - القانون في الطب / لابي علي الحسين بن سينا المتوفى عام ٤٢٨هـ / مكتبة المثنى - بغداد .

٩٧ - القرآن محاولة لفهم عصري / مصطفى محمود / دار المعارف - مصر.

٩٨ - القرآن والعلم الحديث / عبد الرزاق نوفل / دار المعارف - مصر - ١٩٥٩م ط١.

٩٩ - قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام / توفيق الطويل / دار الفكر - القاهرة - ١٩٤٧م.

١٠٠ - قصة الحضارة / ول ديوارنت / ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٦م ط٢.

١٠١ - قصة مالطة / بريان بلويه / ترجمة مصطفى محمد جودة - مكتبة الفرجاني - طرابلس - ليبيا - ١٩٦٩م ط١.

١٠٢ - قصة النزاع بين الدين والفلسفة / توفيق الطويل / مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨م ط٢.

١٠٣ - الكامل في التاريخ / عز الدين ابي الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير المتوفى عام ٦٣٠هـ / دار صادر - دار بيروت - بيروت - ١٩٦٦م.

١٠٤ - لسان العرب / لأبي الفضل جمال الدين بن منظور / دار صادر - دار بيروت - بيروت - ١٩٥٦م.

١٠٥ - لماذا تاخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم / الأمير شكيب ارسلان / مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر - ١٣٥٨هـ ط٣.

١٠٦ - لوثر والاصلاح الديني / محاضرة للاستاذ - ر.هـ.مواري / ترجمة مرقص فهمي فرج [مأخوذة من المجلد السادس - تاريخ العالم] مكتبة النهضة - مصر.

١٠٧ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / لأبي الحسن علي الحسني الندوي / مطبعة التقدم - ١٩٧٧م ط١٠.

١٠٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى عام ٨٠٧هـ / مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٢هـ.

١٠٩ - محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة / دار الفكر العربي ١٩٧٧م ط٥.

١١٠ - مسند الامام احمد / احمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١هـ/ المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ودار صادر - بيروت ١٩٦٩م ط١.

١١١ - المسيحية نشأتها وتطورها / شارل جينيبير - ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود - المكتبة العصرية - بيروت.

١١٢ - معالم تاريخ الانسانية / هـ.ج.ولز / ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٠م ط١.

١١٣ - معالم التاريخ الاوربي الحديث / الدكتور جلال يحيى والدكتور جاد طه / شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ١٩٧٤م.

١١٤ - معالم تاريخ العصور الوسطى / محمد رفعت ومحمد حسونة / المطبعة الرحمانية - مصر ١٩٢٥م ط١.

١١٥ - مغازي رسول الله / لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى عام ٢٠٧هـ / مطبعة السعادة - مصر ١٩٤٨م ط١.

١١٦ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين / لابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى عام ٣٣٠هـ / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٩م ط٢.

١١٧ - مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن محمد بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ / دار الشعب - القاهرة.

١١٨ - المكتبات في الاسلام / د. محمد ماهر حماده / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٨م ط٢.

١١٩ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار [الخطط المقريزية] / احمد بن علي بن محمد المعروف بالمقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ / مكتبة المثنى - بغداد.

١٢٠ - الموافقات في اصول الشريعة / لابي اسحاق الشاطبي المتوفى عام ٧٩٠هـ / دار المعرفة - بيروت ١٩٧٥م ط٢.

١٢١ - الموسوعة الثقافية / باشراف الدكتور حسين سعيد / مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٢م.

١٢٢ - الموسوعة العربية / البرت الريحاني وفريق من الاساتذة / دار ريحاني للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٥م ط١.

١٢٣ - الموسوعة العربية الميسرة / باشراف محمد شفيق غربال / دار القلم - القاهرة ١٩٦٥م.

١٢٤ - الموطأ / مالك بن انس المتوفى عام ١٧٩هـ / دار احياء الكتب العربية - ١٩٥١م.

١٢٥ - النصرانية والاسلام / محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / دار الانصار - القاهرة.

١٢٦ - واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم / لابي الاعلى المودودي / ترجمة محمد كاظم سباق - دار الفكر - لبنان ١٩٦٨م ط٣.

١٢٧ - الوفيات / لابي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ / تحقيق عادل نويهض - المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧١م ط١.

* * * * * * *

* * * * *

* * *

*

فهرس الموضوعات

* * * * * * *

* * * * *

* * *

*